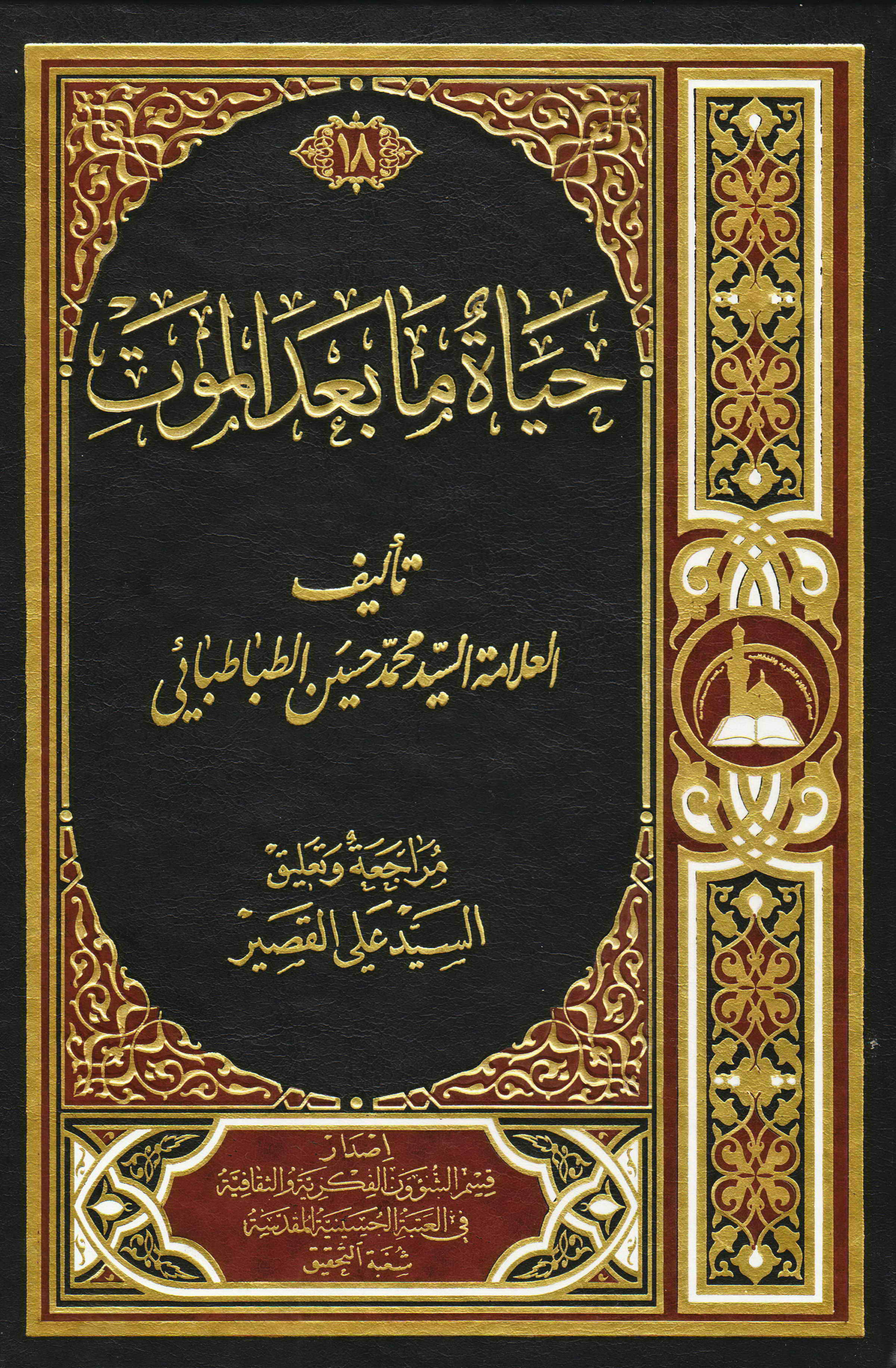

١٨
حياة ما بعد الموت
تأليف
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
مراجعة وتعليق
السيد علي القصير
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

حياة ما بعد الموت



الطباطبائي، محمد حسين، ١٣٢١ ـ ١٤٠٢ ق.

حياة ما بعد الموت / تأليف محمد حسين الطباطبائي؛ مراجعة وتعليق علي القصير. ــ كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ق. ــ ٢٠٠٨م.

٣١٨ ص. ــ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٨).

المصادر: ص. ٣٠١ ـ ٣١٣؛ وكذلك في الحاشية.

١. المعاد ـ من الناحية القرآنية. ٢. الموت ـ من الناحية القرآنية. ٣. البرزخ ـ من الناحية القرآنية. ألف. القصير، علي، ١٩٦٧ ـ م، محقق. ب. العنوان.

BP ١٠٤ / ٢ ط / ٢ ح ٩ .١٤٢٩ق

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

حياة ما بعد الموت

تأليف
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

مراجعة وتعليق
السيد علي القصير

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة التحقيق

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
Web:www .imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة القسم

الحمد لله الذي رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات حمداً لا يقوى على إحصائه إلاّ هو، والصلاة والسلام على شفيع الذنوب وحبيب القلوب أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تظافرت جهود الأخوة في قسم الشؤون الفكرية إبتداءً: بشعبة التحقيق ومروراً بالمنقح اللغوي والمخرج الفني والمصمم لتخرج لنا الكتاب الثاني الموسوم «حياة ما بعد الموت».

فلقد بذلت شعبة التحقيق جهوداً مشكورة في توثيق وتحقيق هذا الكتاب القيم للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان ليكون نافذة يطل من خلالها الباحث أو المثقف الإسلامي على العالم الآخر الذي يختلف تمام الاختلاف عن عالم الدنيا، وقد أخذ هذا الكتاب موضوعه بين الكتب المحققة التي قدمها قسمنا للقارئ الكريم.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

كلمة لا بد منها

كلمات السيد محمد حسين الطباطبائي...

كيف كتبها؟.

وكيف تؤثر في النفس؟.

الكلمة ينبوع يفيض بالمعاني، لاسيما إذا كانت تحمل في طياتها معاني الحكمة.

إن السيد الطباطبائي كان حينما يرسم الكلام يمسك ريشة الحقيقة، مع لون الإبداع؛ لتحيى المعاني بحروف النور، وتشرق بالطيف السامي في النفوس.

ولما كانت الكلمة بذرة تنبت في القلوب لتحيى الروح بهيولانات العلم، أضحت حروفه غديرا.

فلا سراب ولا جهل في كلماته التي هي حب وفضيلة ووطن تنبع من الوجود، ليبقى الوجود فيضا في ظلاله تحيى جواهر النفس وتخلد بآثارها.

فقد كان الفيلسوف ينظم الحروف لتسطع الكلمة كالوحي في الصدور، فيسمو بها الفرد بما يحمل من عبق الفكر بين أمواج الحيرة.

وقد شرّع في كتابه حياة ما بعد الموت منهاجا آثر فيه الإختصار والإقتصار على المفاهيم العامة كما أوضح في مقدمته، وأثبت دعائم بحثهِ مفسرا للآية بآية أخرى وللرواية برواية أخرى.

وكأنه أراد أن يستفيق ذوو الغفلة من سبات بصيرتهم ويتزودوا من دار فانية لدار باقية، مبيناً مع البرهان منازل رحلة الخلود.

وقد قرأنا ما بين السطور في كتابه وجمعنا رفات سارية السطور فأشرقت كلمات الراية...

الكلمة حياة أولها كلمة.

وكانت كلمة العلامة الطباطبائي بلسما يفوح شذاها لمن يطالع كتابه هذا الذي بين أيدينا حيث يدرك الحياة ما بعد الموت ليحيا بالبصيرة في النشأتين.

المحقق / السيد علي القصير

المقدمة

لقد خاضت الأمم السابقة في ماهية «الحياة ما بعد الموت» الغمار، واستخلصت كل أمة رأيا لها، وعندما بزغ فجر الإسلام سلسل مراحل الحياة في النشأتين. ووضع لكل منها نهاية، وكان المعاد هو المرحلة الأخيرة من حياة ما بعد الموت، أي: الرجوع في النشأة الأخرى.

وحينما شغل هذا الجانب من الغيب كافة طبقات المجتمع الإسلامي راح يكتب فيه أرباب الفكر بألوان أقلامهم ما فقهت عقولهم على وفق مراحل التأريخ المختلفة، ثم شرع العلامة الطباطبائي بعدهم ليصنع سفينة حروفه بلون يشع الحياة، تشرق من خلاله المعاني، وأسمى رحلته «حياة ما بعد الموت».

إن المكانة المرموقة للعلامة الطباطبائي في تراثنا الشيعي لا سيما في الفلسفة والعرفان وما تميز به جعلت اللجنة المشرفة على التحقيق والنشر في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة أن تقرر العمل على هذا السفر الرائع من لئاليء العلامة بعد أن اطلعت على جواهره، والرؤى التي مزجت فلسفته مع

تفسيره الآية بالآية والحديث بالحديث، وجعل لواقح أفكاره عبقات زاخرة بالنور عن النبي ﷺ وأهل بيته معدن العلم عليهم السلام. ولما في هذا الكتاب من عبرة للإنسان وكشف الحجب عن الأذهان باليقين لما صار إليه السابقون وما هو كائن فيه بعدهم.

لذلك شرعنا بالتعليق على هذا الرحيق الرائق بعناية نروم من خلالها تثبيت وتوثيق النصوص، وتعريف الاصطلاحات، وشرح الغريب.

هذه شذرات من فيض الجهود، نهلت إخلاصها من عشقها للعلم، ليخرج الكتاب برونقه الجديد ، فتنشرح به أفئدة السالكين صراط النجاة، وتكتحل حدقات عيونهم بمعانيه التي تتلو ذكرها بصمت في مسجد القلب.

العمل في هذا الكتاب

١. تخريج الآيات، والأحاديث، والنصوص، والاقتباسات، وغريب اللغة، وإرجاعها إلى مصادرها.

٢. الاعتماد على مراجع معتمدة في علوم القرآن، والحديث، والرجال، واللغة، والغريب، وقد ذكرناها مفصلا نهاية الكتاب.

٣. الاعتماد على كتب المدرستين الخاصة والعامة.

٤. بيان التفصيل في الحاشية للعنوان، بذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة والباب والفصل ورقم الحديث، وجميع الدلالات التي تيسر للباحث سرعة الوصول إلى المطلب ضمن أية طبعة للكتاب الذي اعتمدنا عليه في الأخذ منه.

٥. عدم تكرار ترجمة العَلَم، أو الغريب من اللغة في حال تكرر وروده.

٦. نذكر في بعض الموارد بعد ذكر المصدر نص الحديث، وهذه حسب أهمية البحث واعتماد المؤلف على النص للتحليل منه، وأحيانا لأهمية الحديث خلال البحث.

٧. إذا ورد في بداية الصفحة نص أوله: (قال عليه السلام) نقول: (الإمام الصادق عليه السلام) مثلا، وإذا كان وسط الصفحة وليس في بدايتها، وقد ذكر في بدايتها قبله معصوم واسترسل المؤلف بالكلام قائلا: (وقال عليه السلام) عاطفا بقوله للمعصوم نكتب: (أي: الإمام الصادق عليه السلام) مثلا.

٨. نذكر المصدر مسبوقا بكلمة (أنظر) تدل على اختلاف يسير في الحديث، أو يكون فيها النص مضمونا.

٩. اعتمدنا في التعليق على هذا الكتاب «حياة ما بعد الموت» للسيد محمد حسين الطباطبائي على النسخة المطبوعة في دار التعارف للمطبوعات ــ بيروت ــ والنسخة من مقتنيات مكتبة العتبة الحسينية المقدسة تحت الرقم ٩ ح ٢ ط / ١٠٤ BP، كربلاء المقدسة.

١٠. تم ذكر المراجع التي اعتمدنا عليها نهاية الكتاب مع بيان هويتها.

السيد علي القصير
شعبة التحقيق
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

ترجمة المؤلف

السيد محمد حسين الطباطبائي

١٣٢١هـ ـ ١٤٠٢هـ

اسمه وشهرته

السيد محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن علي أصغر شيخ الإسلام القاضي الطباطبائي التبريزي[1].

أسرته ونسبه

قال الحسيني: نسب أستاذنا العلامة فإنه من جهة الأب يعود إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهو من سلالة إبراهيم بن إسماعيل الديباج.

---

(١) المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي: ٤٧٢.

وانظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: ٢٤.

ومن جهة الأم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام.

ولهذا نجده في آخر كتبه التي ألفها في شاد آباد تبريز يختم الكلام بالتوقيع التالي: «السيد محمد حسين الحسني الحسيني الطباطبائي».

فهو: السيد محمد حسين بن السيد محمد، بن السيد محمد حسين، بن السيد علي الأصغر، بن السيد محمد تقي القاضي، بن الميرزا محمد القاضي، بن الميرزا محمد علي القاضي، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن الميرزا يوسف نقيب الأشراف، بن الميرزا صدر الدين محمد، بن مجد الدين، بن السيد إسماعيل بن الأمير علي أكبر، بن الأمير عبد الوهاب بن الأمير عبد الغفار، بن السيد عماد الدين أمير الحاج بن فخر الدين حسن، بن كمال الدين محمد، بن السيد حسن، بن شهاب الدين علي، بن عماد الدين علي، بن السيد أحمد، بن السيد عماد بن أبي الحسن علي، بن أبي الحسن محمد، بن أبي عبد الله أحمد، بن محمد الأصغر (المعروف بابن خزاعية) بن أبي عبد الله أحمد، بن إبراهيم الطباطبائي، بن إسماعيل الديباج، بن إبراهيم الغمر، بن الحسن المثنى، بن الإمام أبي محمد الحسن المجتبى، بن الإمام الهمام علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام.

ولأن أم إبراهيم الغمر هي فاطمة بنت الإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، لهذا فإن السادة الطباطبائيين الذين يرجعون إلى إبراهيم الطباطبائي الذي هو حفيد إبراهيم الغمر، جميعهم حسينيون من جهة الأم[1].

---

(١) الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسيني: ٣١ ـ ٣٣.
وانظر: سيرة العلامة الطباطبائي بقلم كبار العلماء والأعلام: ٨١.

وترجع نسبة (الطباطبائي) إلى أحد أجداده في السلالة الحسنية المباركة إبراهيم المعروف بطباطبا بن إسماعيل الديباج، من أحفاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وللعائلة لقب آخر هو (القاضي)، توارثته عن جده السادس المعروف بالسيد الميرزا محمد علي القاضي قاضي القضاة في إحدى مناطق أذربيجان، وهو اللقب الذي كان يعرف به عند مجيئه إلى مدينة قم المقدسة، لكنه اختار بنفسه لقب الطباطبائي فيما بعد.

كان والده السيد محمد القاضي من علماء المنطقة حيث إن سلسلة آباء وأجداد العلامة كانت من العلماء الأعلام المعروفة هناك.

أما الحسني فهو نسبه لجهة الأب، وأما الحسيني فلأن جدته فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) كما أشرنا.

ولاشك أن هذه البيئة العامرة بالعلم إضافة إلى عوامل أخرى قد وفّرت مناخات خصبة لنبوغ السيد العلامة (قدس سره)، رغم الظروف الصعبة التي رافقت طفولته وشبابه، بل لعل الصعوبات تتحول إلى حوافز للإبداع عند أمثاله[(١)].

قال ابن عنبة في عمدة الطالب: أما إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج، ولقب «طباطبا» لأن أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل، فخيره بين قميص وقبا، فقال: طباطبا، يعني قباقبا.

وقيل: بل أهل السواد لقبوه بذلك، وطباطبا بلسان النبطية سيد السادات[(٢)].

---

(١) نظرية المعرفة والإدراكات الإعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين جابر آل صفا: ١٩ـ٢٠.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢١٠ ـ ٢١١.

وانظر: الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: ٢/٤٤١.

قال العامري: الطباطبائية: إسم لجماعة من الهاشميين الكرام ينتسبون إلى جدهم العالي (إبراهيم طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي ابن أبي طالب عليهم السلام سادة حسنيون هاشميون من أصول حجازية وعراقية فقط. من ذرية إبراهيم المذكور وقد تضمنت سلالته الزكية عدداً عظيماً من العظماء والعلماء ونوابع الشعراء وأكابر الأمراء ممن خدموا العلم والأدب وأقاموا شعائر الدين ودونوا لخلفهم تاريخاً مجيداً وتراثاً علمياً خالداً وشرفاً تالداً تعتز الأجيال بها عبر الأجيال.

وقد رزق الله إبراهيم طباطبا بركة في النسل وانتشاراً في الأعقاب فامتدت فروعه الأصلية من الحرمين المحترمين المكي والمدني إلى ممالك الترك وبلاد الري وفارس وأذربيجان وبلاد الأفغان والهند وتخوم الشرق الأقصى إلى جانب المدن العراقية والسورية ومصر والمغرب الأقصى وبطن الجزيرة العربية والبلاد اليمانية.

قد اعتزت بلقبها (طباطبا) اعتزازهم بجدهم الأعلى (إبراهيم طباطبا) وخاصة في اليمن حيث منهم أسرة ملكهم السابق (الإمام يحيى حميد الدين) التي حكمت ذلك القطر لعدة قرون.

و(الطباطبائيون) منتشرون في جميع أرجاء العالم بعدد هائل ولانتشارهم بكرائم الشيم وجميل الخصال وحسن السمعة بين الناس إلى جانب تحليهم بالشهامة والنبل ونصرة المظلوم وكرم النفس واليد والخلق انتسب إليهم كثيرون لمجرد صلة من الأمهات بالمصاهرة فتركوا ألقاب أسرهم وتلقبوا بـ(الطباطبائية) التي هي حسنية النسب بينما هم حسينيون أومن أسر أخرى وفضلوا الاشتهار بهذا اللقب.

ومن أفضل مزايا هذه الأسرة الجليلة (بعد محافظتهم على أنسابهم وأعقابهم) وهو أمر جوهري تمسكوا به من قبل وتسامح فيه سائر الأسر، هو الانتساب إلى الجد البعيد دون القريب، فبينما نرى أكثر الهاشميين يتعرفون بمن بينهم وبينه أقل من قرن أو قرنين كآل الحكيم وآل بحر العلوم وآل الحبوبي وآل الحيدري وآل العطار وأمثالهم، نرى الطباطبائية في مختلف أنحاء الأرض يتعرفون بمن بينه وبينهم أكثر من ألف عام ليصونوا من كل غمز وهمز ويعززوا أسرتهم التي جاوزت بضعة ملايين نسمة في مختلف أنحاء الأرض.

وقد سبقهم إلى هذه الميزة الحسنة السادة الحسنيون وشرفاء الحرمين حيث يتعرفون باسم أسمى آبائهم (هو الإمام الحسن المجتبى ريحانة الرسول ﷺ وأكبر أشبال حيدرة الكرار علي بن أبي طالب عليه السلام).

أما (الطباطبائية) فيعود الفضل في حفظ أنسابهم وتعزيز أعقابهم إلى الشريف أبي الحسن محمد بن أحمد الشاعر أحد أعالي آبائهم الطاهرين.

فإنه بعد انتقاله من مدينة جده المدينة المنورة بالحجاز إلى أصفهان عاصمة بلاد فارس... أوصى بنيه بشدة المحافظة على سجلات الأنساب والأعقاب والتمسك بصلة الرحم وأكد عليهم حبس الأموال والأوقاف على بنيهم وذرياتهم دفعا لعاديات الفقر وصونا لتسلسل نسله ظهراً بعد ظهر فأصبح لهم بتوالي الأوقاف كيان فخم ونسل متوفر وعظيم في مختلف البقاع والضياع وانتشر نسله في تلك الأصقاع[1].

---

(١) موسوعة أنساب العشائر العراقية، العامري: ٢١٨/١ ـ ٢١٩.

ولادته

ولد في قرية تدعى (شادكان) القريبة من مدينة تبريز في المنطقة التركية شمال شرق إيران والمعروفة بأذربيجان، في التاسع والعشرين من ذي الحجة[١] لسنة ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين هجرية (٢٩ذي الحجة ١٣٢١هـ)، المطابق مع ١٢٨١هجري شمسي، و١٩٠٣ميلادي[٢].

نبذة من سيرته

تربيته ونشأته

لقد فقد العلامة الطباطبائي أمه في السنة الخامسة من عمره، ولم يصل إلى السنة التاسعة حتى فقد أباه أيضاً؛ ولم يكن له منهما إلا أخ واحد هو السيد محمد حسن.

وحفاظاً على حياتهما من التداعي، تابع وصيهما رعايتهما كسابق الحال؛ واستخدم لأجل ذلك خادماً وخادمة، وأشرفا بشكل مستمر على أمورهما بدقة. حتى كبرا وأنهيا دراستهما الابتدائية وتابعا دراسة المقدمات في تبريز؛ وحصل كل واحد منهما على قدرة فائقة وفن رائق في الخط.

---

(١) في كتاب نظرية المعرفة، قال علي أمين :(من ذي القعدة) وانفرد به، ولعله خطأ من الناسخ.

(٢) أنظر: تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٣٣. الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسيني: ٢٤. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٦٦. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، على رباني: ٧. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: ٢٤. نظرية المعرفة والادراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين: ١٩.

كان المرحوم الأستاذ يقول: كنت أخرج في أغلب الأيام أنا وأخي من تبريز إلى سفوح الجبال والتلال الخضراء، لنتسلى بكتابة الخط من الصباح إلى الغروب، ومن بعدها هاجرنا سوياً إلى النجف الأشرف.

وفي جميع المراحل وطي المنازل العلمية والعملية، لم يفارق أحدهما الآخر، وبقيا معاً رفيقين شفيقين في السراء والضراء، كأنهما حقاً روح واحدة في جسدين.

كان آية الله الحاج السيد محمد حسن الطباطبائي يشبه أخاه من جميع الجوانب: في نهجه ومسلكه، وسعة صدره وعلو همته، وحياته العرفانية المليئة بالزهد الحقيقي، والبعد عن أبناء الزمان وأهل الدنيا مقرونة بالتفكر والتأمل، والإدراك والبصيرة، والتعلق بحضرة الأحدية، والأنس والألفة في زوايا الخلوات.

ومن جهة أخرى فقد عرف بقدرته الفكرية الواسعة، وعشقه للشرع المطهر وأهل بيت العصمة، والإيثار والتجاوز والصبر على نهجهم؛ وإعلاء كلمة الحق، وخدمة الفقراء والمستضعفين.

كان أنموذجاً بارزاً مشهوراً في أنحاء تبريز وأذربيجان؛ وكانت قداسته وطهارته موضع حديث الخاص والعام في تلك المنطقة.

وحقاً، ما أجمل أن يقال بشأن هذين الأخوين ما أنشده أبو العلاء المعري بحق السيد المرتضى وأخيه الرضي، في قصيدته الطويلة في رثاء والدهما:

أبقيت فينا كوكبين سناهما	في الصبح والظلماء ليس بخاف
متأنقين وفي المكارم أرتعا	متألقين بسؤدد وعفاف
قدرين في الإرداء بل مطرين	في الإجداء بل قمرين في الإسداف

رزقــا العــلاء فأهــل نجــد كلمــا　　　نطقــا الفــصاحة مثــل أهــل ديــاف
ســاوى الرضــي المرتــضى وتقاسمــا　　　خــطــط العــلا بتناصــف وتــصاف

وقد أمضى كل منهما عشرة سنوات في النجف الأشرف، منشغلين في تحصيل الكمال؛ واشتركا معاً في الدروس الفقهية والأصولية، والفلسفية والعرفانية والرياضية.

وبسبب ضيق المعيشة، وعدم وصول الراتب المقرر من مزروعاتهما في تبريز اضطرا للرجوع إلى إيران والاشتغال بالزراعة والفلاحة لمدة عشر سنوات في قرية شاد آباد التبريزية حتى تحسنت أوضاع الزراعة، فهاجر الأستاذ العلامة إلى قم لحفظ عقائد الطلاب من هجمات الحوادث، أما أخوه فقد اختار تبريز مسكناً له وانصرف إلى التدريس.

وفي حوزة تبريز قام آية الله الحاج السيد محمد حسن الإلهي بتدريس الفلسفة من «الشفاء» و«الأسفار» وسائر مؤلفات الملا صدرا، وفي بعض الأحيان كان يأخذ بيد عاشقي طريق الله؛ ويقودهم إلى منزل المقصود.

لقد كان بدوره إنساناً بعيداً كل البعد عن التكلف، متواضعاً، وخلوقا، تملأ قلبه الأسرار الإلهية، عالماً بالضمائر، ومرب عظيم.

كان أستاذنا يمتدحه كثيراً، ويظهر تعلقاً شديداً وحباً جماً له، وكان يقول: عندما كنا في النجف الأشرف حصلنا على نسخة خطية لمنطق «الشفاء» لابن سينا لم تكن قد طبعت بعد، فنسخناها معاً.

ولم تمض بضع سنوات حتى رحل إلى الرفيق الأعلى.

وقد شيعت جنازته في قم حيث وري الثرى في جوار مرقد المعصومة المطهر في المقبرة المعروفة بـ«أبو حسين» قرب الجسر الحديدي المعروف بجسر «آهنجي» وقد ترك رحيله أثراً في نفس أستاذنا وأدى إلى نشوء أو اشتداد ضعف قلبه وأعصابه.

والسبب الآخر الذي ترك أثراً عميقاً في نفسه كان الذبحة القلبية التي أصابت زوجته وأودت بحياتها.

فقد كتب يقول: لكن برحيلها شطر خط البطلان للحياة السعيدة والهادئة التي عشت معها.

وهذه السيدة المؤمنة هي أيضاً من عائلة السادة الأطهار، ومن بنات أعمامه، وهي ابنة المرحوم آية الله الحاج الميرزا مهدي التبريزي الذي كان مع إخوته الخمسة: السيد الميرزا محمد آقا، والسيد الحاج الميرزا علي أصغر آقا، والسيد الحاج الميرزا كاظم آقا (صهر مظفر الدين شاه) والسيد الحاج الميرزا رضا، وأخ آخر من العلماء وأبناء المرحوم آية الله الحاج الميرزا يوسف التبريزي.

وكان يقول: عيالي كانت سيدة مؤمنة وعظيمة، وعندما تشرفت بزيارة النجف الأشرف لتحصيل العلم كانت برفقتي، وكنا أيام عاشوراء نذهب إلى كربلاء للزيارة، وعندما انتهت مدة تحصيلي رجعنا إلى تبريز.

ذات يوم كانت جالسة في البيت ومشغولة بزيارة عاشوراء وكما قالت:

أحسست فجأة أن قلبي انكسر؛ وقلت لنفسي عشر سنوات كنا إلى جانب المرقد المطهر لحضرة الإمام أبي عبد الله الحسين في عاشوراء؛ والآن لقد أصبحنا محرومين من هذا الفيض. وفجأة وجدت نفسي في الحرم المطهر في زاويته مقابل

الضريح المطهر أقرأ الزيارة. وخصوصيات الحرم كما هي ؛ ولأنه يوم عاشوراء، والناس عادة تذهب لرؤية مواكب العزاء التي تقام مقابل الضريح وسائر الشهداء، كان بعض الأشخاص واقفون للزيارة مع بعض الخدم. وعندما انتبهت، وجدت نفسي جالسة في البيت، أقرأ بقية الزيارة!.

نعم، هذه السيدة العظيمة مدفونة كذلك في جوار السيدة المعصومة سلام الله عليها في مقبرة آية الله الحائري اليزيدي[١] في الجانب الأيسر من الجناح الملحق، في إحدى المواقع الخاصة بالعوائل.

وكان أستاذنا يزور هذه المخدرة أولاً ثم أخاه ـ ضمن زيارة أهل القبور ـ كل عصر خميس بدون انقطاع[٢].

قال عبد الكريم: بدأ رحلة العلم الطويلة في مسقط رأسه تبريز، وذلك على أيدي الأفاضل من أسرته، وقد باشر التحصيل بإشراف معلم خاص درّسه اللغة الفارسية ثم درس العلوم العربية والإسلامية حتى أتم مرحلة المقدمات.

ومن ذكريات العلامة في هذه الفترة ما تحدث عنه قائلاً: «عندما كنت طفلاً لم أجد رغبة في التحصيل، ومضت أربع سنوات لم أفهم ماذا أقرأ ولكني فجأة وجدت نفسي مطمئناً وكأني أصبحت على غير ما كنت عليه أمس، ومنذ ذلك اليوم والحمد لله إلى أخريات أيام دراستي زهاء سبع عشرة سنة، ما كسلت وما

---

(١) الصحيح: اليزدي نسبة إلى مدينة يزد، ولعل الخطأ من الناسخ.

(٢) الشمس الساطعة، السيد محمد الحسين الحسيني: ٣٤ ـ ٣٩.

وانظر: تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني: ٤٣٤. نظرية المعرفة، علي أمين: ٢٠ ـ ٢٤. سيرة العلامة الطباطبائي بقلم كبار العلماء: ٨٢ ـ ٨٦.

توانيت في طلب العلم، فقد نسيت حوادث الدهر وملذات الحياة وتعاستها، انقطعت عن كل احد، وكل شيء غير أهل العلم وأصحاب الفضيلة، مقتصراً على الحاجيات الأولى في الليل والنهار، ووقفت نفسي للدرس والتعليم، وطالما قضيت الليل في القراءة خاصة في فصلي الربيع والصيف حتى تطلع الشمس وأنا مشغول بالمطالعة».

وفي عام ١٣٤٣هـ(١٩٢٤م) هاجر إلى النجف الأشرف، وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرين سنة وأقام فيها مدة عشر سنوات انكب أثناءها على تحصيل مختلف العلوم الإسلامية، عازفاً عن كل اهتمام آخر، حتى حاز بهذه الفترة الوجيزة درجة الاجتهاد.

يحدثنا العلامة الطباطبائي عن ذكرياته في هذه الفترة أنه عندما وصل إلى النجف كان متحيراً في أمر الدراسة، في اختياره لنوعية الدروس والأساتذة الذين يحضر عندهم، وذات يوم كان جالساً في البيت يفكر في هذه المسألة ملياً وإذا بالباب تطرق فخرج العلامة لفتح الباب فوجد عالماً ذا هيبة ووقار فرحب به وأدخله البيت ثم تحدث ذلك العالم إليه قائلاً: إن الطالب الذي يهاجر إلى النجف لابد له من التفكير أولا بأمر التزكية والتهذيب ومراقبة النفس فضلاً عن الدراسة والعلم وبعد إتمام الحديث خرج من البيت ولكن حديثه ظل نافذاً في قلب الطالب التبريزي الجديد محمد حسين الطباطبائي، الأمر الذي دفعه إلى ملازمة درس ذلك العالم الكبير الذي تعرف عليه وكان هو الميرزا علي القاضي أحد أبناء عمومته ونتيجة لهذه الملازمة تأثر تأثراً عميقاً بفكر وشخصية القاضي وكان يقول: «كل ما عندنا

مـن المرحـوم القاضـي»، بـل وان مـسلك تفـسير القـرآن بـالقرآن كـان العلامـة الطباطبائي الذي اشتهر به قد تعلمه من درس المرحوم القاضي وجاراه فيه[1].

أخلاقه

إن الخصال الطيبة والأخلاق النبوية التي تحلى بها السيد الطباطبائي قد أدهشت كل من عرفه عن قرب.

فابنته السيدة نجمة السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدي، لم يكن ينفعل ولا يغضب أبداً، كما أني لم أسمعه يتحدث بصوت عالٍ في أي وقت من الأوقات، ولكن في الوقت الذي كان فيه ليناً في طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً. على سبيل المثال كان مواظباً على أداء الصلاة أول وقتها ولا يتهاون في ذلك، كما كان يذكر الآخرين وينهاهم عن التهاون بشكل صريح جداً».

وقد بلغ تأثيره في تلامذته ومن عاشره حداً عجيباً فيقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهراني: «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الرباني هو موت العالم، لأنه كان علامة العالم».

تواضعه

أنه كان يرفض الجلوس خلال إلقاء الدرس على فراش خاص يعطيه امتيازاً عن طلابه وحينما يعترض عليه يجيب:

(١) من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٦٦ ـ ٣٦٨.

«لو صرت أعلى منكم بمقدار سمك السجادة أو الفراش الإضافي لما استطعت أن أتحدث».

وحينما لاحظ في أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. إذهب إلى الحرم لوحدك وليس ثمة ضرورة بأن ترافقني!».

وما ذلك إلا حذراً من مرض خفق النعال خلف الرجال الذي يصيب الكثيرين.

زهده

إن المغريات المادية غالباً ما تعرض على الإنسان بعد بلوغه مرتبة علمية عالية وخصوصاً الروحانيين منهم. وتأتي المغريات بصور مختلفة: حقوق شرعية ــ هدايا... لكن السيد الطباطبائي رفض أخذ شيء من سهم الإمام الذي يدفع عادة في الحوزات واقتصر في معيشته على نتاج أرضه الزراعية في تبريز وعائدات كتبه التي طبعت، لزهد خاص في سجيته لا انتقاصاً من قدر من يأخذ.

وعندما حاول بعض الأغنياء أن يشتري له داراً من ماله الخاص بدل داره البسيطة والمتواضعة أبى إلا أن يرجع المال لصاحبه.

وهو بذلك مصداق قول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها»[1].

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٣٠٤، الخطبة رقم ١٩٣.

قلة الكلام

في صمته تأمل وحكمة وسعي إلى التذكر الدائم، ولذا كان قليل الكلام، وهذا من وصاياه حيث يقول: «إن كثرة الكلام تبعث على قلة الذاكرة».

أب عطوف وزوج مثالي

في حياة العظماء الربانيين بساطة عيش بليغة تذكر بقيمة الإنسان الحقيقية التي تتجاوز المظاهر المصطنعة. فلم يكن السيد الطباطبائي ليجد في مساعدته لأهله في العمل المنزلي منقصة، ولا لتباسطه وملاعبته للأطفال منافاة لمقامه العلمي بل كان يقول بحكمته: «الله هوالذي يهب الشخصية، أما الأمور الدنيوية فلا تمنح الإنسان الشخصية أبداً».

أما علاقته بزوجته فتملؤها مشاعر الود والاحترام والمديح لصبرها وتضحيتها معه. وحينما مرضت مرض الموت طوال سبعة وعشرين يوماً عطل كل عمله وراح يبذل لها كل العناية، وحينما توفيت واظب على زيارة قبرها يومياً طيلة سنوات عديدة.

الاهتمام بالوقت

عرف عن السيد الطباطبائي اهتمامه الشديد بالوقت والحرص على تحصيل الاستفادة القصوى من فرصة العمر، وكذلك التنظيم الدقيق لأموره بحيث إنه كان يقول: «منذ ست وعشرين سنة وأنا ألتزم ببرنامج يومي لم يضطرب طوال هذه السنوات».

وتتحدث عن ذلك ابنته فتقول: «كان يبدأ العمل منذ الصباح ويستمر فيه حتى الساعة الثانية عشر ظهراً. وبعد أن يؤدي الصلاة ويتناول طعام الغداء ويستريح لمدة نصف ساعة، يستأنف العمل ويواصل السعي مجدداً حتى الغروب».

السيرة الروحية

إن الشخصية العرفانية الكبيرة للسيد الطباطبائي تستدعي الوقوف قليلاً أمام ملامح سيرته الروحية واستكشاف منابع عرفانه العملي التي صنعت أسوة حسنة ذكرت بالأنبياء والأولياء السابقين.

وتتمثل هذه الينابيع الروحية بشكل رئيسي بأربعة هي:

علاقته بالله تعالى.

علاقته بالقرآن الكريم.

علاقته بأهل البيت (عليهم السلام).

وعلاقته بأساتذته ولاسيما الميرزا علي القاضي.

فالسيد العلامة ينتمي إلى مدرسة عرفانية كان من رموزها الكبار الميرزا السيد علي القاضي، وتعرف بالمدرسة الهمدانية نسبة إلى العارف المرحوم الآخوند حسين قلي الهمداني. وقد اشتهر عن هذه المدرسة التمسك والالتزام الشديد بالآداب الشرعية إلى درجة تسمح للسالك فيها الوصول إلى مرتبة العصمة[1]. فالسيد الطباطبائي مثلاً يوصف بأنه «لم يرتكب مكروهاً في حياته».

---

(١) المقصود ههنا هي: العصمة الصغرى.

في حين كان أستاذه السيد علي القاضي حريصاً على الالتزام بكل المستحبات والآداب الشرعية وهكذا أيضاً تلميذه العارف السيد هاشم الحداد.

أسراره الروحية

لا غرابة أن يكون للسيد الطباطبائي أسراره الروحية والتي تتوزع على مكاشفات وإلهامات وإشراقات روحية شأنه شأن سائر العرفاء الكبار الذين لا يكشف الستار عن أسرارهم إلا بعد رحيلهم ولا يحدثون بشيء منها إلا لأخص خواصهم.

وينقل أحد تلامذته أن السيد الطباطبائي قال لهم ذات مرة: إني أعرف شخصاً لا ينام الليل لسماعه تسبيح الأشياء من حوله، ويضيف هذا التلميذ: «إننا بعد مدة أدركنا أن ذلك الشخص ليس سوى العلامة نفسه».

وتحكي ابنته زوجة الشهيد آية الله الشيخ علي قدوسي كيف أن والدها كان يتهيأ ويمضي الوقت في انتظارها في يوم زيارتها له قادمة من طهران دون أن تعلمه مسبقاً بذلك. وحينما كانت تسأله: «من أين تعرف أني سآتي اليوم؟» لم يكن يرد جواباً.

ومن أبرز المكاشفات المنقولة ما حكاه السيد الطهراني عنه أثناء تعبده في مسجد الكوفة حينما شاهد حورية تقدم نفسها مع كأس شراب إليه فأعرض عنها مستذكراً إرشادات أستاذه فتألمت وانصرفت.

وهذه دلالة على استحكام القوة الروحية وعلو المرتبة العرفانية للسيد الطباطبائي، فيتمكن من الإعراض عن الحور العين واستذكار صوت شيخه في هذا الطريق الميرزا علي القاضي، في تواصل بين عالمي الغيب والشهادة ليصبح الكل شهوداً[1].

(١) نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٢٣ ـ ٣٢.

عبادته

لم يكن الصمت الذي اشتهر من السيد الطباطبائي سوى تفكرٍ في الله سبحانه وتأملٍ في الحقيقة المطلقة وسيرٍ بالعقل والقلب للوصول إليها وهو أرقى ألوان العبادة، رغم أنه كان كثير الصلاة وحريصاً على أداء الفرائض في أول الوقت، ومواظباً على صلاة الليل.

ويروي أولاده أنه كان «يشرع بالصلاة نافلة حال خروجه من المنزل وينشغل بالصلاة إلى أن يبلغ المكان الذي يقصده، ولم يكن ثم من يعلم ذلك منا».

قارئ القرآن

شكل نص الوحي الإلهي المعجز مصدراً روحياً وفكرياً عظيماً للسيد الطباطبائي وارتبط به ارتباطاً يومياً وثيقاً فهام في تلاوته في كل وقت وكان يعجبه أن يقرأه بصوت عالٍ كما يذكر أهل بيته.

إن هذه المعايشة اليومية لآيات القرآن الكريم نغماً روحياً صوفياً[1]، وتأملاً عقلياً، تمنح النفس صفاءً باطنياً تدرك بواسطته حقائق الغيب وتخرق الحجب لتصل إلى الحقيقة.

---

(١) في اللغة، التصوف يعني: ارتداء الصوف وهذا نتيجة الزهد وترك الدنيا، وفي نظر أهل العرفان: تطهير القلب من محبة ما سوى الخالق، وتقويم الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالتكليف أو المأمور به، والابتعاد عن المنهي عنه والالتزام بما قاله رسول الله ﷺ فهؤلاء الجماعة المتصوفة المحقة. وتوجد جماعات أخرى متصوفة باطلة، يحسبون أنفسهم من الصوفية، ولكنهم ليسوا من الصوفية الحقة وهم عدة فرق.
كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١/ ٨٤١.

ويـذكر الـسيد محمـد بـاقر الموسـوي الهمـداني، تلميـذ الـسيد الطباطبـائي، والمترجم من العربية إلى الفارسية لمعظم أجزاء تفسيره الشهير «الميزان»، إن السيد كان إذا انشغل بالقرآن وتفسيره ذهل عن أي عمل آخر.

عاشق أهل البيت عليهم السلام

إن علاقة السيد الطباطبائي بأهل البيت النبوي عليهم السلام، وهي المكون الروحي الأساسي الثاني بعد القرآن الكريم، تنبع من ناحيتين تكمل إحداهما الأخرى وتلتقيان لإعطاء عرفانيته زخماً مميزاً:

الأولى: ذاتية السيد الطباطبائي العاشقة والمتعلقة بأهل البيت عليهم السلام. حتى أن الشهيد مرتضى المطهري، وهو تلميذه المقرب إليه، يقول:

«لقد رأيت الكثير من الفلاسفة والعرفاء، بيد أن احترامي للعلامة الطباطبائي لم يكن بداعي كونه فيلسوفاً بل لأنه عاشق لأهل البيت ولهٌ بهم».

ولذا كان ملتزماً بزيارة عاشوراء خصوصاً في شهري محرم وصفر، وبقراءة الزيارة الجامعة الكبيرة ودعاء التوسل ويحث على ذلك كله كما ينقل عنه صهره الشهيد علي قدوسي.

والناحية الثانية تعود إلى المبنى العرفاني في مدرسة العارف الهمداني والقائل بأن العرفان الحقيقي لا يمكن الوصول إليه بدون الولاية.

فالمرحوم الميرزا القاضي كان يرى بأن العارف الحقيقي لابد وأن تنكشف له حقيقة الولاية وكان يقول: «إن الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولاية؛ الولاية والتوحيد هما حقيقة واحدة».

ويظهر في بعض كلمات السيد الطباطبائي أن لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام خصوصية في هذه الرؤية العرفانية حيث يقول: «لم يقدر لأحد أن يبلغ أية مرتبة من المراتب المعنوية وأن يصل إلى مرحلة تفتح باب القلب إلا في حرم الإمام الحسين (عليه السلام) أو من خلال التوسل به».

قيل له مرة وهو يزور الإمام الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد: هل تقبّل ضريح الإمام كعامة الناس؟ فرد عليهم قائلاً: «ليس الضريح وحده، بل ألثم الأرض والخشب في الحرم وكل ما يرتبط بالإمام».

منزلته العلمية

كان الأستاذ مفكراً عميقاً؛ لم يكن ليمر على المطالب العلمية بسهولة؛ فإذا لم يصل إلى عمق المطلب ويكشف جميع جوانبه لم يكن يرفع عنه أبداً.

وفي العديد من المرات عندما كان يسأل سؤالاً بسيطاً في مسألة فلسفية أو تفسيرية أو روائية بحيث يمكن الإجابة عنها بعدة كلمات مباشرة وينهي الموضوع؛ كان يسكت ويتأمل ملياً ثم يبدأ بتقديم الاحتمالات وعرض جوانب القضية وما قيل، فيكون ذلك عبارة عن درس تعليمي.

لم يكن ليخرج عن دائرة البرهان في الأبحاث الفلسفية؛ وكان يفصل جيداً بين المغالطة والجدال، والخطابة والشعر، وبين القياسات البرهانية، لا يرفع يده إلا بعد انتهاء القضية بأولياتها ونظائرها. ولم يخلط أبداً بين المسائل الفلسفية والمسائل الشهودية والعرفانية والذوقية ولا يدخل أية مسألة شهودية حين التدريس في المسائل الفلسفية؛ وبذلك كان يختلف عن صدر المتألهين وعن الحكيم السبزواري بشكل عام.

وكان يود كثيراً أن ينحصر البحث في كل فرع من العلوم حول مسائل ذلك العلم وعن موضوعاته وأحكامه، دون الخلط بين العلوم.

وكان ينزعج كثيراً من الذين يمزجون الفلسفة بالتفسير والأخبار؛ فإذا لم ينجحوا في البرهان وعجزوا عن الخروج من المسألة اعتمدوا على الروايات والتفسير في محاولة لإتمام برهانهم.

كان العلامة يمجد ذكر المرحوم الملا محسن الفيض القاساني[1]، ويقول عنه: إنه رجل جامع للعلوم، أو يندر أن نجد مثيلاً له في الجامعية داخل العالم الإسلامي؛ ومع ملاحظة أنه كان يرد في كل علم بصورة مستقلة ولا يخلط بين أي واحد منها.

ففي تفاسيره «الصافي» و«الأصفى» و«المصفى» التي تنحو نحواً تفسيرياً روائياً، لم يدخل أبداً في المسائل الفلسفية والعرفانية والشهودية.

والذي يطالع كتابه المسمى بـ«الوافي» في الأخبار، يراه واحداً من الإخباريين الذين لم يدرسوا الفلسفة أبداً.

وهكذا كان في كتبه العرفانية والذوقية لا يميد عن هذا النهج أبداً؛ ولا يخرج عن الموضوع بتاتاً.

هذا، رغم أنه كان أستاذاً في الفلسفة وأحد أبرز تلامذة صدر المتألهين.

كان أستاذنا يجلل ابن سينا ويعتبره أقوى من صدر المتألهين في فن البرهان والاستدلال الفلسفي.

---

(١) المشهور بالفيض الكاشاني.

ولكنه كان معجباً جداً بصدر المتألهين ومنهجه الفلسفي في هدم الفلسفة اليونانية، والإتيان بأسلوب جديد وحديث كـ أصالة الوجود والوحدة والتشكيك في الوجود، وإيجاد مسائل جديدة كقضية إمكان الأشرف، واتحاد العاقل والمعقول، والحركة الجوهرية، والحدوث الزماني للعالم على هذا الأصل، وقاعدة «بسيط الحقيقة كل الأشياء» ونظائرها.

كان العلامة الطباطبائي يرى فلسفة صدر المتألهين أقرب للواقع.

وكان يقدر خدمته لعالم العلم والفلسفة غاية التقدير، بسبب زيادة عدد المسائل الفلسفية. (فقد رفع عددها من مائتي إلى سبعمائة مسألة).

وكان يشيد بصدر المتألهين كثيراً، لأنه لم يندفع نحو المدرسة المشائية فقط؛ بل جمع بين الفلسفة الفكرية الذهنية والإشراق الباطني والشهود القلبي، وطبقهما على الشرع الأنور.

وقد أثبت صدر المتألهين في كتبه كـ«الأسفار الأربعة» و«المبدأ والمعاد» و«العرشية» والعديد من الرسائل الأخرى عدم وجود الاختلاف بين الشرع (الذي يحكي عن الواقع) وبين المنهج الفكري، والشهود الوجداني؛ وأن هذه الينابيع الثلاثة تنبع من منبع واحد؛ وكل واحد يؤيد الآخر ويعضده.

وكانت هذه أعظم خدمة قدمها هذا الفيلسوف إلى عالم الوجدان وعالم الفلسفة وعالم الشرع.

ولم يغلق باباً من أبواب الدخول أمام المؤهلين لنيل الكمال، وقبول الفيوضات الربانية، بل فتح أمامهم جميع السبل المؤدية.

ومع أن أساس وجذور هذه النظرية مشهودة في كلمات المعلم الثاني أبو نصر الفارابي، وابن سينا، وشيخ الإشراق، والخواجة نصير الدين الطوسي وشمس الدين بن تركة، ولكن الذي نجح في أداء هذا الأمر المهم بحيث أوصله المقصود إلى نهايته بأسلوب بديع وطريقة رفيعة، هو هذا الفيلسوف صاحب القلب الحي والمتشرع العظيم.

كان الأستاذ المرحوم يعتقد أن صدر المتألهين قد أخرج الفلسفة من الضياع والاندراس، ونفخ فيها روحاً جديدة؛ ولهذا يمكن عده محي الفلسفة الإسلامية.

وإذا تجاوزنا كل ما سبق فإن أستاذنا كان كثيراً ما يشيد بمقام الزهد وترك الدنيا، ومنهج التعلق بالله، وتصفية الباطن، والرياضات الشرعية، والعزلة التي كان ينهجها صدر المتألهين؛ وكان يمدح طريقته في تصفية السر وإبلاءه الاهتمام الأكبر لطهارة النفس في«كهك»[1] قم.

وكان يعتقد: إن أغلب الإشكالات التي كانت ترد على صدر المتألهين وفلسفته، تعود إلى عدم الفهم وعدم الوصول إلى إدراك لب المسائل التي كان يطرحها.

ومع أنه كان يملك بعض التعليقات على بعض استدلالاته؛ ولكنه بشكل عام كان يعتبره مجدد الفلسفة الإسلامية، وأحد فلاسفة الطراز الأول في الإسلام كابن سينا والفارابي وكان يعتبر الخواجة نصير الدين وبهمنيار وابن رشد وابن تركة من فلاسفة الدرجة الثانية.

---

(١) كهك: إحدى قرى مدينة قم الطيبة.

كان أستاذنا يعتقد: بالوجود التشكيكي في أبحاث الوجود، وكان يؤمن بالوحدة التي ينادي بها العرفاء، ولا يراها منافية للتشكيك؛ بل هي في الدرجة العليا والمقام الأرفع من التشكيك عند العارف؛ لأنه بوجود التشكيك يجد الوحدة.

وقد درس في الحوزة العلمية لمدينة قم عدة دورات في الفلسفة سواء من «الأسفار» أم «الشفاء» حتى عد الفيلسوف الأوحد في عالم الإسلام.

وفي السنوات الأخيرة قام بتدريس بعض الطلاب الخواص دورة في مستوى بحث الخارج في الفلسفة، وكانت ثمرتها إعداد كتابي: «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» اللذين طبعا ونشرا ليستفيد منهما الجميع.

ولم يكن الصديق والعدو ليختلف على أنه الأخصائي الوحيد في الفلسفة الشرقية في كل العالم[1].

قال عبد الكريم: يشتمل المشروع الفكري للعلامة الطباطبائي على جوانب متعددة هي:

١. الاهتمام بالقرآن الكريم وطرح تفسير جديد له يحرص على الأصالة ويتسم بالعصرية والعمق والاستيعاب في آن واحد وبشكل يناسب مكانة القرآن الكريم كمصدر وحيد وخالد لهداية الإنسان في الفكر والسلوك، وهذا ما أنجزه العلامة الطباطبائي من خلال تفسير «الميزان» الشهير، الذي اعتبره الشهيد آية الله مرتضى المطهري بأنه أفضل تفسير كتبه المسلمون منذ صدر الإسلام وحتى

---

(١) الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: ٤٠ ـ ٤٣.

الآن، وان كثيراً من أبحاثه تعد إلهامات غيبية وإن المشاكل التي لم أجد مفتاح حلها في الميزان قليلة جداً».

٢ . صقل وتجذير الفلسفة الإسلامية وتمكينها من الوقوف على قدميها أمام تحديات الفكر الغربي وذلك من خلال التأكيد على درس الفلسفة في الحوزة وتربية عدد من العلماء المتطلعين فيها، وتأليفه ما يزيد على العشرة كتب في الفلسفة والعقيدة يأتي في مقدمتها كتابه «أصول الفلسفة» الذي وضعه في خمسة أجزاء طبعت مع تعليقات قيمة لتلميذه البارز الشهير آية الله مرتضى المطهري.

٣ . التأليف حيث قدم العلامة الطباطبائي للمكتبة الإسلامية «٣٥» رسالة وكتاباً ودورة ذات أجزاء عديدة، كتفسير الميزان ذي العشرين جزءاً وذلك في عدة مجالات من المعرفة الإسلامية، كالتفسير والفلسفة، والعقائد والتاريخ والحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والعرفان والثقافة الإسلامية العامة إضافة إلى الرياضيات.

٤ . إيصال الفكر الإسلامي الأصيل إلى أوروبا كما في المحادثات التي أجراها سماحته مع المستشرق الفرنسي هنري كوربان والتي بدأت سنة ١٣٧٨هـ «١٩٥٨م» وتواصلت أكثر من عشرين عاماً، وكانت اللقاءات تجري في طهران وكان سماحته يسافر إليها من قم في الشهر مرتين وبفضلها اقترب كوربان من المذهب الإمامي ودوّن المحاورات ونشرها في بلاده كما نشر أفكار التشيع، حيث أصبح يعتقد إن المذهب الإمامي هو المذهب الحي الوحيد في العالم لأنه المذهب الذي يعتقد باستمرار العلاقة مع السماء عبر الإمام المهدي عليه السلام خلافاً لبقية

الأديان والمذاهب التي أنهت هذه العلاقة بوفاة نبيها أو إمامها، بل إن هنري كوربان صار يقرأ الصحيفة السجادية ويبكي، وقد سأله العلامة الطباطبائي يوماً، إننا في الإسلام نعتقد بأسماء حسنى نخاطب بها الله سبحانه وتعالى ونناجيه في كل حاجة من خلال الإسم الذي يناسبها، فماذا يفعل المحتاج منكم؟.

فأجاب كوربان:

أنا أناجي بقراءة الصحيفة المهدوية وقد طبعت هذه المحاورات في مجلدين وترجما إلى الإنكليزية والفرنسية والعربية.

٥ . تخريج جيل من العلماء والأساتذة والمفكرين والكتاب الذين لعبوا أدوارا فكرية وسياسية رفيعة جداً، أمثال آية الله الشيخ المنتظري وآية الله الشهيد المطهري وآية الله البهشتي، والإمام موسى الصدر وآية الله ناصر مكارم الشيرازي والشيخ الشهيد محمد مفتح وآية الله السيد عبد الكريم الأردبيلي والشيخ محمد تقي مصباح وآية الله جوادي الآملي وآية الله حسن زاده آملي وآخرون[١].

قال الفتلاوي:

تضلع في علوم التفسير والفلسفة والحديث ودرس بها مدة طويلة تخرج عليه فيها جمع من النابهين وحملة العلم، عاد إلى تبريز سنة ١٣٥٤ واشتغل بها بالتدريس والتأليف ثم انتقل إلى مدينة قم سنة ١٣٦٥وصار من أساتذتها وأركان الحوزة العلمية في المعقول والمنقول إلى وفاته[٢].

---

(١) من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٧١ ـ ٣٧٣.

(٢) المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: ٤٧٢.

قال علي أمين آل صفا: تمتاز شخصية السيد الطباطبائي بجامعية علمية هي وليدة المواهب المتعددة التي يملكها، فجمع بين المنقول والمعقول والمعنويات والعلوم الأخرى الغريبة كالرمل والجفر وحساب الجمل والأبجد بطرقه المختلفة، ولكنه لم يمارسها.

كما كانت له مهارة في علم الأعداد والجبر والمقابلة والهندسة الفضائية والسطحية والرياضيات.

ومضافاً إلى ذلك كان أستاذاً في علم الهيئة القديمة والأدب العربي وعلوم البلاغة من المعاني والبيان والبديع.

لقد جمع السيد الطباطبائي كل ذلك إلى جانب فقاهته وأصوليته الحوزوية وتبحره في فهم القرآن الكريم وتفسيره.

وتحدث ابنته عن توق والدها إلى الرسم فقد «كان يبذل جميع ما يملكه في شراء الورق ومستلزمات الرسم ليمارس هوايته هذه».

ولقد أفادت مواهبه الفنية الحوزة العلمية في قم بصورة مباشرة، حينما عزم آية الله حجت (رحمه الله) على بناء مدرسة دينية كبيرة ونموذجية تعرف اليوم بمدرسة الحجتية، وقام العديد من المهندسين في طهران بتقديم خرائط وتصاميم لم تحظ بموافقة آية الله.

وصادف قدوم السيد الطباطبائي من تبريز فعرض تصميماً هندسياً للمدرسة نال موافقة آية الله السريعة[١].

---

(١) نظرية المعرفة، علي أمين آل صفا: ٣٤ ـ ٣٥.

قال السبحاني وهو يعدد إنجازات العلامة العلمية:

تتجلى شخصية الإنسان بأعماله وآثاره التي يتركها في جيله، وقد ترك السيد الطباطبائي بصمات واضحة على الفكر الشيعي وأوجد تحولاً جذرياً في الجامعة الإسلامية ونحن نشير إلى أهمها:

١ . وضع أسساً بديعة لتفسير القرآن الكريم حتى صار أسوة للآخرين.

٢ . إشاعة التفكير الفلسفي في الأوساط العلمية.

٣ . السعي في تبيين المسائل الفلسفية بصورة واضحة وملموسة.

٤ . السعي في نشر آثار أئمة أهل البيت عليهم السلام والحث على مطالعتها بدقة وإمعان كما شارك في تحشية «بحار الأنوار» في طبعتها الجديدة إلى الجزء الخامس.

٥ . الجمع بين الحقائق القرآنية وما أثر عن أئمة أهل البيت في تفسير الآيات، فقد قام باستخراج ما جاء في الروايات حول تفسير الآيات ـ بعد الإمعان فيها عن نفسها.

٦ . إشاعة الفكر الشيعي في العالم، من خلال اللقاءات التي كان يجريها مع الشخصيات العالمية ومراسلتهم.

٧ . صب الاهتمام لحل مشكلات الآثار.

٨ . الحث على تهذيب النفس وتربية جيل مؤهل إلى كسب الفضائل الأخلاقية.

٩ . تربية شخصيات علمية وفكرية عديدة بين مدرس ومفكر.

١٠ . الآثار العلمية والتآليف القيمة وهي بين مطبوع وغير مطبوع[1].

---

(١) تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

قالوا فيه

١ . يقول أحد تلامذته : عاشرته السنوات الطوال فلم أجده يرتكب مكروهاً.

٢ . يذكر تلميذه الأستاذ إبراهيم الأميني إنني «لم أجده يوماً طيلة أكثر من ثلاثين عاماً تشرفت بمعاشرته فيها قد غضب على أحد، أو تحامل عليه، ولو لمرة واحدة إذ كان وقوراً هادئاً متيناً دمث الأخلاق حتى مع أصغر وأبسط طلابه، يستمع إلى حديث الجميع ويظهر للجميع حبه على حد سواء وحينما كنا نخاطبه أحيانا بـ«سماحة الأستاذ» كان يرد علينا قائلاً : «لا أحب هذا التعبير إننا تجمعنا هنا للتدبر في أمور ديننا بالتعاون والتفاهم».

٣ . يقول الشيخ محمد تقي مصباح : «على مدى ثلاثين عاماً تشرفت خلالها بالاستزادة من علم العلامة الطباطبائي لم أكن اسمع منه كلمة أنا، بينما كثيراً ما كنت أسمع منه عبارة لا أعلم».

٤ . آية الله الشهيد مرتضى مطهري فيقول عن أستاذه : «إنني اعتقد إن العلامة الطباطبائي قد بلغ في مرتبة كماله الروحي والمعنوي درجة التجرد البرزخي بحيث يمكنه أن يطلع على كثير من الصور الغيبية التي يعجز الناس العاديون، عن تصورها أو مشاهدتها».

٥ . يقول تلميذه المرحوم السيد محمد حسين الطهراني : «ما لم أكن أتصوره هو فقدان هذا الرجل، فموت هذا الرجل الرباني هو موت العالم، لأنه كان علامة العالم».

٦ . السيدة نجمة السادات تصفه فتقول:

«كانت له أخلاق وسلوك محمدي، لم يكن ينفعل ولا يغضب أبداً، كما أني لم أسمعه يتحدث بصوت عالٍ في أي وقت من الأوقات، ولكن في الوقت الذي كان فيه ليناً في طبعه وخلقه، كان حاسماً وحازماً أيضاً»[١].

أولاده

لم نجد في التراجم التي أوردت سيرته قدس سره ما فيه التفصيل حول ذريته سوى ما عثرنا عليه بين السطور، ومنها:

١. حديث ابنته السيدة نجمة السادات أنه بقي في النجف مدة إحدى عشرة سنة ونصف مات له خلالها ثمانية أولاد بعد ولادتهم وكانت زوجته وحيدة في البيت حين انشغاله بالدراسة مما يعني أنه قد أنجب بعد عودته من النجف الأشرف إلى إيران وخلال إقامته في «شاد آباد» تلك المدة المديدة.

٢. وحينما لاحظ في أواخر حياته أن ابنه يتبعه وهو ذاهب إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) خوفاً عليه. التفت إليه سائلاً: إلى أين؟ فأجابه ابنه: وأنا أريد الذهاب إلى الحرم أيضاً، فرد السيد قائلاً: «لم تعد صغيراً. اذهب إلى الحرم لوحدك وليس ثمة ضرورة بأن ترافقني»![٢].

---

(١) أنظر: من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٧٩ ـ ٣٨٠. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٢٣ ـ ٢٤. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: ٢٨.

(٢) نظرية المعرفة والإدراكات الإعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٢٢ و٢٤.

٣. وينقل عن العلامة قدس سره أنه قال: حل السيد القاضي ضيفا علي وكانت بيننا وبينه صلة رحم وقرابة، والتفت إلى عقيلتي التي لم ترزق طفلا إلا وقد مات، مخاطبا إياها قائلا: يا ابنة العم: هذا الذي يحتضنه رحمك يبقى وهو ذكر سمّه «عبد الباقي»، قال ذلك ولم أكن أنا يومذاك مطلعا على حملها، ثم إنه سبحانه تبارك وتعالى رزقنا ذكرا أسميناه عبد الباقي[1].

٤. وذكرنا تحت عنوان أسراره الروحية حكاية ابنته زوجة الشهيد آية الله الشيخ علي قدوسي.

إجازاته بالاجتهاد والرواية

١. له إجازة الاجتهاد والرواية عن أستاذه الآية العظمى النائيني.

٢. وإجازة الرواية عن الآية الحاج شيخ علي القمي (رحمه الله) عن شيخه النوري صاحب المستدرك.

٣. وعن الراوي المتضلع الحاج شيخ عباس القمي صاحب المفاتيح عن شيخه النوري صاحب المستدرك بجميع طرقه المذكورة في آخر المستدرك.

٤. وعن الآية العظمى البروجردي (رضي الله عنه) عن شيخه الخراساني صاحب الكفاية بطرقه المتصلة بالآية السيد بحر العلوم.

٥. وعن الآية السيد محمد الحجة (رضي الله عنه).

٦. وعن الآية الحاج الميرزا علي أصغر الملكي عن الآية السيد حسن الصدر (رضي الله عنه).

---

(١) تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٣٦.

٧. وعن رجال أخر غيرهم رضي الله عنهم. انتهى[١].

مشايخه

روافد كثيرة صنعت من العلامة نهره الذي لا ينضب من العطاء نذكر منهم أشهر من فاح شذاه في روحه فأبدع:

١ ـ السيد أبو الحسن الأصفهاني.

٢ ـ السيد أبو القاسم الخونساري.

٣ ـ الشيخ أحمد الأشتياني.

٤ ـ السيد حسين البادكوبي (بادكوبه اى).

٥ ـ الميرزا علي أصغر ملكي.

٦ ـ الميرزا علي آقا التبريزي.

٧ ـ الميرزا علي الإيرواني.

٨ ـ السيد علي القاضي الطباطبائي.

٩ ـ السيد محمد حجت.

١٠ ـ الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني[٢].

١١ـ الشيخ محمد حسين النائيني[٣].

---

(١) نظرية المعرفة والإدراكات الإعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٣٦.

(٢) قال عبد الكريم آل نجف في كتابه من أعلام الفكر: الشيخ محمد حسن الكمباني، وانفرد به ولعله خطأ من الناسخ.

(٣) تم جمع أسماء المشائخ للسيد العلامة وأساتذته من المصادر التالية:

←

تلامذته

نجوم لمعت لا تحصى أعدادها شعت بينهم لفيف من الأسماء نذكر منها :

١ ـ الشيخ إبراهيم الأميني.

٢ ـ الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي.

٣ ـ الشيخ جعفر السبحاني.

٤ ـ السيد جلال الدين الأشتياني.

٥ ـ الشيخ حسن زاده الآملي.

٦ ـ الشيخ حسين علي المنتظري.

٧ ـ الشيخ حسين النوري.

٨ ـ الشيخ عباس اليزدي الأصفهاني.

٩ ـ الشيخ عبد الحميد الشربياني.

١٠ ـ السيد عبد الكريم الأردبيلي.

١١ ـ الشيخ عبد الله جوادي الآملي.

تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٣٤ ـ ٤٣٥. الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: ٢٠ ـ ٢١. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٦٧ ـ ٣٦٨. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي رباني: ١/ ٨ ـ ٩. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٢٨، و٣٥ ـ ٣٦. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: ٢٤ ـ ٢٥. سيرة العلامة الطباطبائي بقلم كبار العلماء الأعلام: ٢١ـ ٢٦.

١٢ ـ السيد عز الدين الزنجاني.

١٣ ـ الشيخ علي الدواني.

١٤ ـ الشيخ علي الميانجي.

١٥ ـ السيد محمد باقر الأبطحي.

١٦ ـ السيد محمد البهشتي.

١٧ ـ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.

١٨ ـ السيد محمد حسين الطهراني.

١٩ ـ السيد محمد علي الأبطحي.

٢٠ ـ الشيخ محمد فاضل اللنكراني.

٢١ ـ الشيخ محمد المفتح.

٢٢ ـ الشيخ مرتضى المطهري.

٢٣ ـ السيد مهدي الروحاني.

٢٤ ـ السيد موسى الزنجاني.

٢٥ ـ السيد موسى الصدر.

٢٦ ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٢٧ ـ الشيخ يحيى الأنصاري.

٢٨ ـ الشيخ يحيى السدارابي[١].

---

(١) تم جمع أسماء تلامذة العلامة من المراجع التالية:

←

تصانيفه ومؤلفاته

نتاجات العلامة الطباطبائي تزخر في القلوب قبل المكتبات، وقد أولدت أفكاره كواكباً في سماء العلم، وتناثرت حروفه وأقواله بين مخطوط ومطبوع، وباللغتين العربية والفارسية، وفي الصحف والمجلات، وأدركنا منها الآتي مع ذكر المراجع التي اعتمدنا عليها في جمعها:

١ ـ إثبات الذات.

٢ ـ أسرار الفلسفة.

٣ ـ أسس الفلسفة والمذهب الواقعي(بالفارسية) في أربع أجزاء، ترجم منها أول جزئين إلى العربية.

٤ ـ الإسلام والإنسان المعاصر.

٥ ـ الإسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، بالفارسية، ترجم إلى العربية.

٦ ـ أصول الفلسفة: دراسة المسائل الفلسفية مقارنة مع الفلسفة الغربية في خمسة أجزاء.

٧ ـ الإعجاز.

٨ ـ الأعداد الأولية في الرياضيات.

→ تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٥٦ ـ ٤٥٧. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: ٤٧٢. من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف: ٣٧٣. المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي: ٢٨.

٩ ـ الإنسان: كتاب يحتوي على ثلاث رسائل هي:

أ. الإنسان قبل الدنيا.

ب. الإنسان في الدنيا.

ج. الإنسان بعد الدنيا.

١٠ ـ بداية الحكمة (بالعربية): ألفه للمبتدئين في دراسة الفلسفة.

١١ ـ تعليقة على أصول الكافي للكليني (بالعربية).

١٢ ـ تعليقة على بحار الأنوار للعلامة المجلسي (بالعربية).

١٣ ـ تعليقة على الحكمة المتعالية (الأسفار) (بالفارسية) إلا أن النسخة في بيروت هي بالعربية دون ذكر مترجم.

١٤ ـ تعليقة على الكفاية: تعليقة موجزة على الجزئين منها، فرغ عنها ١٣٦٨هـ وهي مطبوعة.

١٥ ـ الحكومة في الإسلام.

١٦ ـ حياة ما بعد الموت.

١٧ ـ دروس من الإسلام على حلقتين (بالفارسية).

١٨ ـ رسالة الأسماء (بالعربية)[١].

١٩ ـ رسالة الأفعال(بالعربية).

٢٠ ـ رسالة التشيع في العالم المعاصر (بالفارسية)ترجم إلى العربية.

---

(١) قال الجياشي في المجتمع الديني: رسالة في الأسماء والصفات.

٢١ ـ رسالة في الاعتباريات (بالعربية).

٢٢ ـ رسالة في الإعجاز(بالفارسية).

٢٣ ـ رسالة في البرهان(بالعربية).

٢٤ ـ رسالة في التحليل (بالعربية).

٢٥ ـ رسالة في التركيب (بالعربية).

٢٦ ـ رسالة في التوحيد (بالعربية).

٢٧ ـ رسالة في علم الإمام(بالفارسية)[١].

٢٨ ـ رسالة في القوة والفعل (بالعربية).

٢٩ ـ رسالة في المبدأ والمعاد.

٣٠ ـ رسالة في المشتق.

٣١ ـ رسالة في المغالطة (بالعربية).

٣٢ ـ رسالة في المنامات والنبوات (بالعربية).

٣٣ ـ رسالة في الوحي (وحي يا شعور مرموز)(بالفارسية).

٣٤ ـ رسالة في الولاية (بالعربية): تبرهن آخر السير الإنساني في حضرة الأحدية وفناءه في الذات، وحيازته على مقام العبودية.

٣٥ ـ رسالة نظم الحكم (بالفارسية)، ترجم إلى العربية.

---

(١) قال الفتلاوي في كتابه المنتخب من أعلام الفكر: رسالة في علم النبي ﷺ والإمام عليه السلام بالغيب.

٣٦ ـ رسالة الوسائط (بالعربية)[١].

٣٧ ـ سلسلة آباء الطباطبائي في أذر بيجان.

٣٨ ـ سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٩ ـ الشيعة (نص الحوار مع هنري كوربان)(بالفارسية)، ترجم إلى العربية.

٤٠ ـ الشيعة في الإسلام (بالفارسية) ترجم إلى العربية.

٤١ ـ الشيعة في القرآن.

٤٢ ـ الصفات الإلهية.

٤٣ ـ علي والفلسفة الإلهية (بالعربية).

٤٤ ـ القرآن في الإسلام (بالفارسية) ترجم إلى العربية.

٤٥ ـ ماذا بعد الموت.

٤٦ ـ مجموعة مقالات (برشها وباسخها)، (بالفارسية).

٤٧ ـ المحاكمات.

٤٨ ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مرآة الإسلام.

٤٩ ـ المخلوقات الخفية في القرآن(بالعربية).

٥٠ ـ مدرسة التشيع.

٥١ ـ المذهب الواقعي (روش رئاليسم) (بالفارسية).

٥٢ ـ المرأة في الإسلام (بالعربية).

---

(١) قال محمود نعمة الجياشي في كتابه المجتمع الديني: رسالة في الوسائط بين الله والإنسان.

٥٣ ـ مرجعيت وروحانيت (باللغة الفارسية) رسالة في الأسس الواقعية للحكومة الإسلامية.

٥٤ ـ مسائل إسلامية.

٥٥ ـ معنوية التشيع (بالفارسية).

٥٦ ـ من روائع الإسلام (بالفارسية).

٥٧ ـ منتخبات أز نهج البلاغة(بالفارسية).

٥٨ ـ منظومة في قواعد الخط الفارسي.

٥٩ ـ الميزان في تفسير القرآن (بالعربية: في عشرين جزءا، وقد ترجم إلى اللغة الفارسية في ٤٠ جزءا كما ترجم إلى لغات أخرى).

٦٠ ـ النبوة والإمامة: رسالة.

٦١ ـ النبوة والمقامات.

٦٢ ـ نظرية السياسة والحكم في الإسلام (بالفارسية) وقد ترجم إلى العربية.

٦٣ ـ نهاية الحكمة (بالعربية)، جامع للمسائل الفلسفية بأحدث أسلوب[1].

(١) إعتمدنا في جمع تصانيف العلامة الطباطبائي على المراجع التالية:
تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٣٦، و٤٥١، و٤٥٥ ـ ٤٥٦. الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: ٦٧ـ ٦٨، و٧٣ ـ ٧٤. المنتخب من أعلام الفكر والأدب، الفتلاوي: ٤٧٢ ـ ٤٧٣. نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين آل صفا: ٤٤ ـ ٤٦. المجتمع المدني عند العلامة الطباطبائي، الجياشي: ٢٩ ـ ٣٢. سيرة العلامة الطباطبائي بقلم كبار العلماء والأعلام: ٣٩ ـ ٤٠، و١٠٧.

وفاته

قال السبحاني: عاش ثمانين سنة وثمانية عشر يوماً، وخلف تراثاً علمياً ضخماً، وربى جيلاً كبيراً من المفكرين أوجد من خلالها تحولات عظيمة في العلوم الإسلامية، ولقى ربه بنفس مطمئنة يوم الأحد الثامن عشر من محرم الحرام من شهور عام ١٤٠٢هـ، (١٩٨١م) قبل الظهر بثلاث ساعات ووري جثمانه الطاهر في حرم السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام تجد صخرة قبره إلى جنب قبر السيد النقي الورع السيد أحمد الخونساري ـ قدس الله سرهما ـ فاقترن الكوكبان في مضجعهما كما كان بينهما ألفة في حال حياتهما[١].

قال السيد محمد الحسين الحسيني: المدهش تساوي عمر العلامة مع أستاذه القاضي، فقد عاش كل منهما ٨١ سنة.

كما في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقد عاش كل منهما ٦٣سنة[٢].

---

(١) تذكرة الأعيان، السبحاني: ٤٣٣.

(٢) الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني: ٢٣ ـ ٢٤.

مقدمة المترجم

يشغل الحديث عن الموت، والدعوة إلى استذكاره، حيّزاً كبيراً في أحاديث النبي ﷺ، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وعلماء الأخلاق، باعتبار الموت، يمثل حداً فاصلاً بين عالمين: الدنيا التي يحيا فيها الإنسان، والآخرة التي يحاسب فيها على ما عمله في حياته، ليؤول بعدها إلى المصير الخالد، أما في جنات النعيم أو في سعير جهنم.

وعند ما يتذكر الإنسان الموت، فإنه يستحضر المراحل التي ستبدأ بعده، بدءاً بالقبر ومروراً بالبرزخ، وانتهاء بيوم الحساب وما يترتب عليه من تحديد المصير النهائي للإنسان. وفي كل مرحلة من هذه المراحل، يتحدد وضع الإنسان فيه، شقاءً أو سعادة، عذاباً أو تكريماً، على أساس ما قدّم في حياته.

من هنا فإن في ذكر الموت، تحذير للإنسان، من عواقب السيء من اعماله، فيتجنبه، والصالح منها، فيزيد منه ما استطاع. لا أن يتحول ذكر الموت إلى عامل سلبي، يغرس الحزن والهلع واليأس في النفوس، فتشل حركة الإنسان ويتراجع نشاطه وتبرد همته.

الكتاب الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ يضم بين دفتيه بحثاً (أو رسالة كما يسميها المؤلف) يخوض في تفاصيل أحوال مرحلة ما بعد الموت، من القبر وحتى قيام الساعة، وحال الإنسان في كل منها، وقد اعتمد المؤلف المفسر الكبير والفيلسوف الرباني السيد الطباطبائي ﵀ على الآيات القرآنية في وصفه لتلك «الحياة»، وما يجري فيها، متبعاً أسلوبه الشهير القائم على تفسير القرآن بالقرآن والبرهان على آية، بآية أخرى. وبدورنا حاولنا ـ خلال الترجمة ـ تبسيط ما أمكن من العبارات معقدة الأسلوب، مع المحافظة على المعنى، لتكون في متناول إدراك عامة القراء. سائلين المولى أن يجعلنا جميعاً من أهل السعادة، بعد الموت، إنه سميع مجيب.

سالم مشكور

شوال ١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أوليائه المقربين محمد وآله الطاهرين.

هذا الكتاب يتضمن رسالة كتبناها في موضوع المعاد[1]، نخوض فيها ـ بعون من الله سبحانه وتعالى ـ بحال الإنسان في مرحلة ما بعد الحياة الدنيا، استناداً إلى ما

(١) قال الجوهري: المعاد: المصير والمرجع.

الصحاح، الجوهري: ٢/ ٥١٤، مادة «عود».

قال الطريحي: المعاد، هو: بعث الأجسام البشرية، وتعلق أنفسها بها للنفع، أو الانتصاف والجزاء.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ٢٧٢، مادة «عود».

قال الشيخ كاشف الغطاء: المعاد، هو: الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان.

أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء: ٢٣٢، المعاد.

قال الطباطبائي في تفسيره الميزان: «المعاد، هو: رجوع الإنسان بشخصه وعينه لا بمثله فإن مثل الشيء غيره».

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤/ ٨٧، تفسير سورة مريم.

يوصلنا إليه البرهان[١]، وما يقدمه لنا القرآن والسنة في هذا المجال. وقد آثرنا الاختصار والاقتصار على المفاهيم العامة. ذلك أن المنهج[٢] الذي نتبعهُ، والقائم على تفسير الآية بآية أخرى، والرواية برواية أخرى[٣]، منهج عميق ليس من السهل بلوغ مداركه[٤].

وطبيعي أن الاكتفاء في هذا الموضوع، بذكر نموذج واحد من بين النظائر[٥] المتعددة، لن يساعدنا على بلوغ الفائدة الكاملة. وسيقف القارئ على صحة قولنا خلال قراءته لهذا البحث.

---

(١) البرهان: بيان الحجة وإيضاحها.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٤٩، مادة «بره».

(٢) المنهج والمنهاج: الطريق الواضح.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٩٨ / الرقم ١١٩٦ الفرق بين الشرعة والمنهاج.

(٣) أشار السيد المؤلف ﺭﺣﻤﻪ الله في مقدمة تفسيره الميزان حول أسلوبه ومنهجه التفسيري للقرآن، فقال:

«نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها، بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق، ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات».

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ١١.

(٤) الدرك: إدراك الحاجة والطلبة.

كتاب العين، الفراهيدي: ٥ / ٣٢٧، مادة «درك».

(٥) نظير الشيء: مثله، لأنه إذا نظر إليها كأنهما سواء في المنظر، وفي التأنيث نظيرة، وجمعه: نظائر.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨ / ١٥٦، مادة «نظر».

ولابد من القول هنا أن مفسري الأخبار والروايات لم يعتمدوا الأسلوب السالف[١] الذكر، لاستنباط[٢] معاني الآيات والروايات ومكنوناتها[٣]. وبالنتيجة، لم يتركوا لنا حتى القليل من الآثار في هذا المجال.

من هنا، فإن من يريد اعتماد هذا الأسلوب سيواجه صعوبة بالغة، وسيكون كالذي يدخل ساحة القتال دون سلاح، والله المستعان.

محمدّ حسين الطباطبائي

---

(١) سلف: سلف يسلف سلفا وسلوفا: تقدم.

السالف: المتقدم.

لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١٥٨، مادة «سلف».

(٢) استنبط الفقيه، أي: استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده.

تاج العروس، الزبيدي: ٥/ ٢٣٠.

(٣) الكن والكنة والكنان: وقاء كل شيء وستره، والجمع أكنان وأكنة.

كن الشيء يكنه كنا وكنونا وأكنه وكنه: ستره.

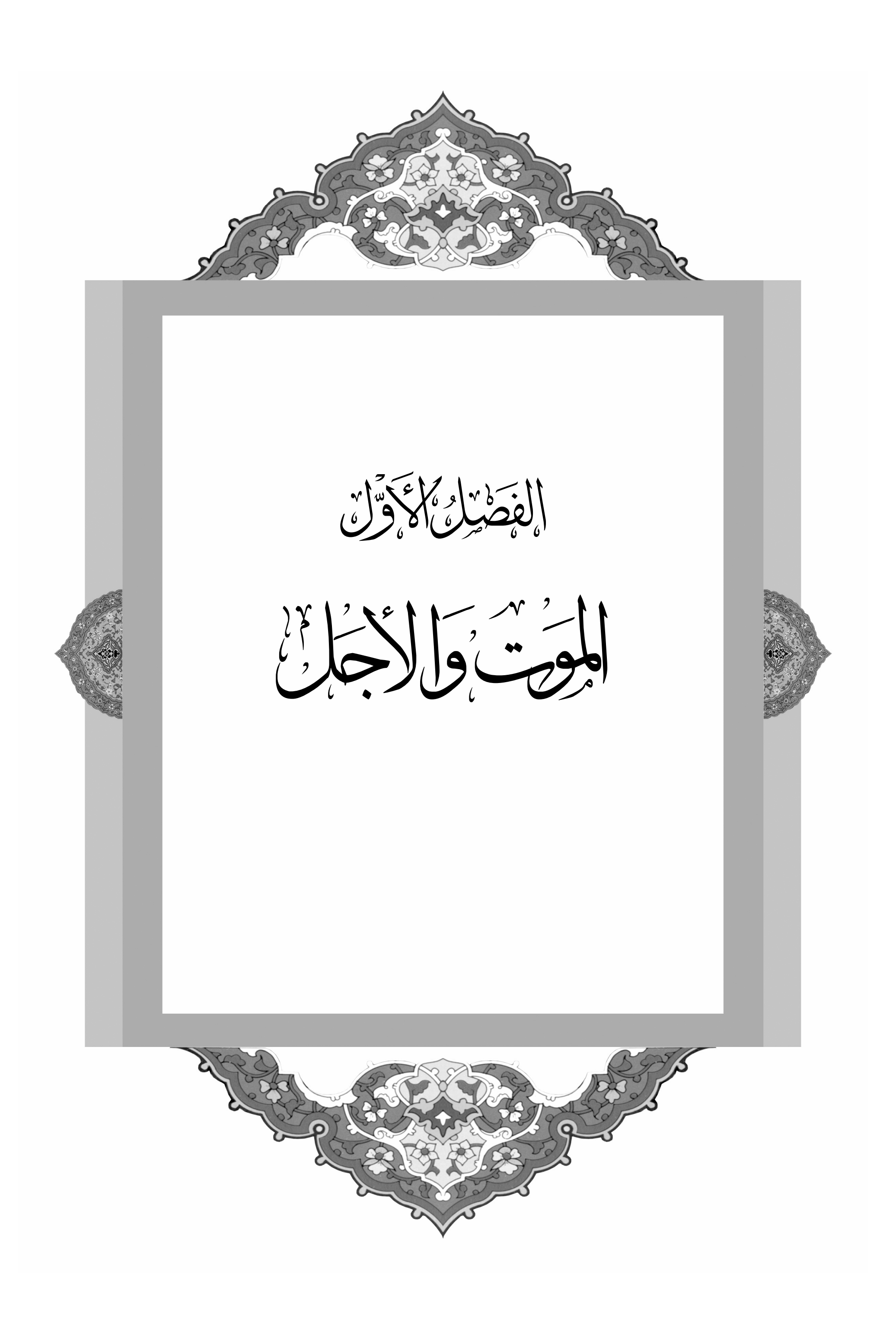
لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٣٦٠، مادة «كنن».

الكن: السترة.

أكننته في نفسي أسررته.

اكتن واستكن أي: استتر.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٧٧، مادة «كنن».



الفصل الأوّل

الموت والأجل

الموت[١] والأجل[٢]

(١) قال ابن الأثير: الموت: النوم الثقيل.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٤ / ٣٦٩، مادة «موت».

قال الجرجاني: الموت: صفة وجودية خلقت ضدا للحياة.

التعريفات، الجرجاني: ١٢٩، باب الميم، الموت.

قال الزبيدي: الموت: السكون، يقال مات سكن، وكل ما سكن فقد مات.

تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٥٨٦.

قال الطباطبائي: الموت: زهاق الروح وبطلان حياة البدن.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٤/ ٣٧، تفسير سورة آل عمران، كلام في الامتحان وحقيقته.

وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا: الموت: انتقال من عالم إلى آخر.

وقال أيضا، الموت: هو الخروج من النشأة الأولى (الدنيا)، ودخول النشأة الأخرى (الآخرة).

وقال أيضا: الموت: الأجل الثابت الذي هو حق إلهي.

وقال أيضا: الموت: جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعة والنعيم الدائم.

وقال أيضا: الموت: هو يوم العودة إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال أيضا: الموت: جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم.

أنظر: الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

(٢) عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سورة ←

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1].

الأنعام / ٢ ، قال: فقال: هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم.

تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، تفسير سورة الأنعام / ح ٧.

عن أبي عبد الله عليه السلام في توضيح قوله تعالى: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام/٢، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق.

تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٣٥٥، تفسير سورة الأنعام / ح ٩.

قال الفراهيدي:

الأجل: غاية الوقت في الموت.

كتاب العين، الفراهيدي: ٦ / ١٧٨، مادة «أجل».

قال الطباطبائي:

أن المراد بالأجل والأجل المسمى، هو: آخر مدة الحياة لإتمام المدة كما يفيده قوله: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ سورة العنكبوت / ٥.

الأجل: أجلان: الأجل على إبهامه، والأجل المسمى عند الله تعالى، وهذا هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقييده.

إن الأجل المسمى هو: الذي وضع في أم الكتاب، وغير المسمى من الأجل هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والإثبات.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧ / ٩، تفسير سورة الأنعام.

وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في الفصل الأول الموت والأجل: الأجل نوعان، الزماني الدنيوي، والأمر الإلهي.

(١) سورة الروم / ٨.

وهذه الآية توضح أن لكل موجود، من السماء وحتى الأرض وما يوجد بينهما، أجلٌ وصفه البارئ عز وجل بأنه «مسمى» أي محدد ومقدّر بحيث لا يتعداه أي موجود[١]، كما يتضح من الآية الكريمة:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٢].

وكذلك الآية:

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾[٣].

والكثير من الآيات الأخرى المنطوية على نفس المعنى[٤].

---

(١) قال مغنية: الأجل المسمى: الأمد المعلوم.

التفسير الكاشف، ابن مغنية: ٣ / ٢٠٠، تفسير سورة الأنعام.

وقال أيضا: الأجل المسمى: العمر المقدر.

التفسير الكاشف، ابن مغنية: ٢٠٣/٤، تفسير سورة هود.

وقال الطباطبائي أيضا، الأجل المسمى: هو الوقت المعلوم عند الله الذي لا يتخطاه حياة الإنسان الدنيوية.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣٠/٧ ـ ١٣١، تفسير سورة الأنعام.

قال الطباطبائي: الأجل المسمى: هو الوقت الذي ينتهي إليه الحياة لا تتخطاه البتة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠ / ١٤١، تفسير سورة هود.

وقال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في الفصل الأول الموت والأجل، الأجل: هو من عند الله وهو أمر إلهي، و(عند الله)، يعني: أنه ثابت ومصون من كل تأثير.

(٢) سورة الأعراف / ٣٤.

(٣) سورة الحجر / ٥.

(٤) ورد ذكر الأجل مكررا في الكتاب العزيز، ومن الآيات أوردنا ما يلي:

←

إن «أجل» الشيء، هو الزمان الذي ينتهي عنده[(١)]، ولهذا يستخدم هذا المصطلح في موضوع الدَّيْن، الذي يحدد له «أجل مسمى»[(٢)]. وفي الآية:

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[(٣)]؛ ورد الـ«يوم» للدلالة على «الأجل»[(٤)].

→

سورة الأنعام /٢، ونصها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

سورة الأعراف / ٣٤، ونصها: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

سورة يونس / ٤٩، ونصها: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

سورة غافر / ٦٧، ونصها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(١) الأجل: مدة الشيء.

الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٦٢١، مادة «أجل».

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة/ الآية ٢٨٢، ونصها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ...﴾.

(٣) سورة سبأ / ٣٠.

(٤) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ سورة سبأ/٣٠،

←

وفي الآية الكريمة:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[(١)].

يخبرنا الباري عز وجل أن «الأجل المسمى» هو عنده[(٢)].

ثم نقرأ في آية كريمة أخرى:

أي: لا تتأخرون عن ذلك اليوم، ولا تتقدمون عليه بان يزاد في آجالكم، أو ينقص منها.

تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٨ / ٢١٧، تفسير سورة الأحزاب.

وقال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ سورة سبأ /٣٠، وقت حضور الموت، أي: لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٤ / ٣٠١، تفسير سورة سبأ.

(١) سورة الأنعام / ٢.

(٢) عن حصين عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام/٢، قال: الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق.

تفسير العياشي، العياشي: ١/٣٥٥، تفسير سورة الأنعام / ح ٩.

قال ابن شهر آشوب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام /٢، الظاهر أنه قضى أجلا وأن عنده أجلا مسمى.

متشابه القرآن، ابن شهر آشوب: ٢ / ٩٣، باب المفردات.

قال الطباطبائي: الأجل المسمى: هو الذي لا يقع فيه تغير لمكان تقيده بقوله: ﴿عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام/٢.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧/ ٩، تفسير سورة الأنعام.

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[١]، أي أن الذي عنده، خالد وثابت لا يتأثر بعوامل الدهر وظروف الزمان[٢].

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[٣].

فهو يخبرنا أنه حدد أجلاً لزينة الأرض، وأن هذا الأجل، إنما هو بأمره، وكذا الحال بالنسبة للحياة الدنيا، أي أن الأجل الدنيوي إنما هو محدد بأمر الله.

إذن، فإن الأجل نوعان، أو على الأقل نوع واحد له وجهان: الأجل الزماني الدنيوي، والأمر الإلهي[٤]، وهما ما تشير إليهما الآية:

---

(١) سورة النحل / ٩٦.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ سورة النحل / ٩٦، إن ما عنده ثابت لا يزول ولا يتغير عما هو عليه، فهذه الخزائن كائنة ما كانت أمور ثابتة غير زائلة ولا متغيرة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ١٤٥، تفسير سورة الحجر.

(٣) سورة يونس / ٢٤.

(٤) عن قتادة والحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام / ٢، قضى أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت، وأجل مسمى عنده: يوم القيامة.

←

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[١].

من هنا يمكن إدراك حقيقة أن «الأجل المسمى» هو من عند الله وهو أمر إلهي، و«عند الله» يعني أنه ثابت ومصون من كل تأثير. وهذا ما يتضح في الآية الشريفة:

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ﴾[٢].

ولهذا فإن الباري عز وجل عبر عن «الأجل» في العديد من الآيات بعبارات «العودة إلى الله»[٣] و«لقاء الله»[٤].

→

تفسير القرآن، الصنعاني: ٢ / ٢٠٣، تفسير سورة الأنعام.

عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ سورة الأنعام / ٢، يعني: أجل الموت. والأجل المسمى: أجل الساعة، الوقوف عند الله.

جامع البيان، ابن جرير: ٧/ ١٩٦، تفسير سورة الأنعام / ح ١٠١٧٧.

(١) سورة الأنعام / ٢.

(٢)سورة العنكبوت / ٥.

(٣) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ سورة الأنعام / ٦٠، وهو الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم.

تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ١/ ٥٧٧، تفسير سورة الأنعام.

والآية ٦٠ من سورة الأنعام فيها إشارة إلى العودة إلى الله عز وجل، ونصها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(٤) ومضات حول لقاء الله في القرآن الكريم:

←

الموت انتقال من عالم إلى آخر

العودة هي الخروج من النشأة الأولى (الدنيا)[1]، ودخول النشأة الأخرى

→

سورة البقرة/ ٢٢٣، ونصها: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

سورة يونس /١٥، ونصها: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾.

سورة الكهف / ١١٠، ونصها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

سورة العنكبوت /٥، ونصها: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

سورة فصلت / ٥٤، ونصها: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾.

سورة الإنشقاق/ ٦، ونصها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

(١) قال الشوكاني: النشأة الأولى: هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعا واختراعا.

فتح القدير، الشوكاني: ٣ / ٣٤٣، تفسير سورة مريم.

عن قتادة في قوله: ﴿عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ سورة الواقعة/ ٦٢، قال: هو خلق آدم.

تفسير القرآن، الصنعاني: ٣/ ٢٧٢، تفسير سورة الواقعة.

أنشأه الله: خلقه.

أنشأ الله الخلق، أي: ابتدأ خلقهم.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٧٠، مادة «نشأ».

(الآخرة)[١]، إنه الموت الذي يصفه الباري عز وجل، وليس الذي يعني التوقف عن الحركة والإحساس، وزوال الحياة الظاهرية.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[٢].

إذ وصف الموت بـ«الحق»[٣] في إشارة إلى الأجل الثابت الذي هو حق إلهي. وكذلك يقول:

---

(١) قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ سورة النجم / ٤٧، أي: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة، يعني عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء.

مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩/ ٣٠٤، تفسير سورة النجم.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ سورة النجم / ٤٧، أي: إعادة الأرواح في الأشباح للبعث.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٧/ ١١٨، تفسير سورة النجم.

قال ابن منظور: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ سورة النجم/ ٤٧، أي: البعثة.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ١٧٠، مادة «نشأ».

(٢) سورة ق/ ١٩.

(٣) في المجمع: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ سورة ق/١٩، قيل، معناه: جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت.

مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٢٤٠، تفسير سورة ق.

قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ سورة ق / ١٩، قيل: الحق هو الموت، سمي حقاً إما لإستحقاقه وإما لإنتقاله إلى دار الحق.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٧/ ١٢، تفسير سورة ق.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ...﴾ إلى أن يقول: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[١].

وهي إشارة صريحة إلى أن الموت هو يوم العودة إلى الله سبحانه وتعالى[٢].

وينقل الشيخ الصدوق[٣] وآخرون[٤] رواية عن النبي ﷺ يؤكد فيها أن الإنسان خلق للبقاء وليس للفناء، وإنما الموت، انتقال من عالم إلى آخر[٥].

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام وصفه للإنسان بأنه خلق بشأنين: الدنيا والآخرة، فجعل الله سبحانه وتعالى، حياة الإنسان على الأرض، بعدما أنزل هذه

---

(١) سورة القيامة / ٢٦ ـ ٣٠.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ سورة القيامة /٣٠، المساق مصدر ميمي، بمعنى السوق، والمراد بكون السوق يومئذ إليه تعالى انه الرجوع إليه.
فهو مسوق مسير من يوم موته، حتى يرد على ربه يوم القيامة.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ١١٣، تفسير سورة القيامة.

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، يكنى أبا جعفر، كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنف.
الفهرست، الطوسي: ١٥٦ ــ ١٥٧، باب الميم/ الرقم ٦٩٥ محمد بن علي بن الحسين.

(٤) ذكر المعنى الشيخ الصدوق في المعاني، والشيخ المفيد في الإرشاد والشيخ الطوسي في أماليه.

(٥) قد أورد مضمون الحديث الشيخ الصدوق كما أشار إلى ذلك المؤلف في معاني الأخبار.
أنظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق :٢٨٨ ــ ٢٨٩، باب معنى الموت / ح٣. الإرشاد، الشيخ المفيد :١ / ٢٣٨، باب طرف من أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله. الأمالي، الطوسي: ٢١٦، المجلس الثامن/ ح٢٩.

الحياة من السماء إلى الأرض، وعندما يوجد الباري عز وجل الفراق بين هذين الشأنين، يحدث الموت، وعند ذاك يعود شأن الآخرة إلى السماء. إذن فالحياة هي على الأرض، والموت في السماء، ذلك أن الموت يعني الفصل بين الروح والجسد. فتعود الروح إلى القدس الأول[١]، ويبقى الجسد على الأرض لكونه من شأن الدنيا[٢].

ينقل عن الإمام الحسن العسكري قوله عن الإمام علي الهادي عليهما السلام أنه دخل على أحد أصحابه وكان مريضاً يبكي خوفاً من الموت. فقال له الإمام:

أنت تخاف الموت لأنك لا تعرفه. أخبرني ـ لو كان بدنك مليئاً بالجراح والجرب ـ وتعلم أن علاجه يكمن في استحمامك في حمام معين يريحك من كل ما يؤلمك، أكنت تكره دخول هذا الحمّام، وتفضل البقاء على معاناتك؟.

فقال الرجل: كلا، بل أفضّل الحمّام يا ابن رسول الله، فرد عليه الإمام:

إذن، إعلمْ أن الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر فرصة لتطهر نفسك من ذنوبها وذاتك مما علق بها من سيئات، فإن وردت على الموت، ستنجو من كل همّ

(١) قال المجلسي: القدس الأولى وهو: عالم الأرواح التي هي أولى مخلوقاته تعالى، وهي القدرة الأولى، أي: جوهره الأول قبل الامتزاج لكل من الروح والجسد.
بحار الأنوار، المجلسي: ٥٨/ ٢٩٧، كتاب السماء والعالم، باب ٤٧ ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه، بيان حديث رقم / ٦.

(٢) أنظر: تحف العقول، الحراني: ٣٥٥، روي عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليهم أجمعين في طوال هذه المعاني، كلامه عليه السلام في خلق الإنسان وتركيبه. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٨ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦، كتاب السماء والعالم، باب ٤٧ ما به قوام بدن الإنسان.

وغمّ، وستبلغ الفرح والبهجة. هنا أحس المريض بالسكون والاطمئنان واستسلم للموت، وأغمض عينيه وودع الدنيا[١].

وفي رواية أخرى، ينقل الإمام الجواد عليه السلام عن آبائه الطاهرين عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أن الأمر لما اشتد على الإمام الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء[٢]. نظر إليه أصحابه، فوجدوه في وضع يختلف تماماً عما هم فيه من قلق

(١) أنظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٩، باب معنى الموت / ح٩.

(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقبر ابني بأرض يقال لها كربلاء هي البقعة التي كانت فيها قبة الإسلام التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان.

كامل الزيارات، ابن قولويه: ٢٦٩، الباب الثامن والثمانون فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام /ح٨.

قال الحموي كربلاء بالمد: وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه، في طرف البرية عند الكوفة، فا لكربلة رخاوة في القدمين.

فيجوز على هذا أن تكون ارض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك.

ويجوز أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك.

معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٤٤٥، كربلاء.

قال الخليلي: ذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني: ان (كربلاء) منحوتة من كلمتي (كور بابل) بمعنى مجموعة قرى بابلية، وقال الأب اللغوي أنستاس الكرملي: (والذي نتذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و(إل) أي حرم الله أو مقدس الله).

موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي: ٨ / ٩ ـ ١٠، كربلاء قديما، معنى كربلاء.

وقال الخليلي أيضاً: تصف دائرة المعارف البريطانية كربلا فتقول: إنها بلدة من بلدان العراق الشهيرة تقع على درجة ٣٢ و٤٠ ثانية شمالا، و٤٤ثانية شرقا، وتبعد عن بغداد بمسافة ستين ميلا في اتجاه جنوبي غربي وعن فرع الهندية من الفرات بعشرين ميلا، على حاشية بادية الشام. وسكانها كلهم من المسلمين الشيعة.

←

واضطراب. فكلما كان الأمر يشتد عليهم، كانوا يصابون بالذعر، وترتجف أرجلهم[1]، أما الحسين عليه السلام، وبعض المقربين والقريبين منه، فكانوا على العكس

موسوعة العتبات المقدسة، الخليلي: ٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، كربلاء في المراجع الغربية، كربلاء في دائرتي المعارف البريطانية والإسلامية.

قال أبو لحمة: تقع مدينة كربلاء في جنوب غربي نهر الفرات وتبعد عن بغداد حوالي (١٠٥ كم) والفرق الزمني بينهما أربع دقائق، وتقع على خط الطول ٤٣ درجة و٥٥ دقيقة شمال خط الاستواء في المنطقة المعتدلة الشمالية، وكما تقع على خط العرض ٣٤ درجة و٤٥ دقيقة.

كربلاء منذ العهد البابلي حتى استشهاد الإمام الحسين، علي أبو لحمة: ١٠، الموقع الجغرافي لمدينة كربلاء.

قال عامر الكربلائي: كربلاء: إحدى مدن العراق، تقع جنوب بغداد، تتصف بنقاوة هوائها وسماحة نفوس أهلها، وتشغلها عدة أقضية ونواحي، وفيها عدة من الأحياء السكنية والمناطق الخصبة بالزراعة، حيث يجري في وسطها نهر الفرات الذي جعله الله شفاء من كل داء.

مزارات الأولياء في ارض كربلاء، عامر الكربلائي: ١٢، كربلاء.

(١) هذه نخبة من الكلمات التي ذكرت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وفيها بيان حالهم المشهود لهم به:

حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق رضي الله عنه قال: حدثنا عبد العزيز ابن يحيى الجلودي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد ابن عمارة عن أبيه عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قلت له اخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام واقدامهم على الموت فقال انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها والى مكانه من الجنة.

علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٢٩ باب ١٦٣ علة إقدام أصحاب الحسين عليه السلام على القتل/ح١.

ورد في زيارة عاشوراء المروية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام:

اللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيتي، اللهم ارزقني

شفاعة الحسين يوم الورود، وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٧٧٦.

قال ابن طاووس: إن الحسين يوم الطف ثبت هو وأصحابه على القتل في الله ومكابدة الموت وتقطيع الأعضاء في ذات الله وما كان دون بعض من سماه وغيرهم من الصحابة والتابعين والصالحين قطعوا أعضاء وعذبوا أحياء وما ردهم ذلك عن الإيمان ولا ظهر عليهم ضعف في قلب ولا لسان ولا جنان.

سعد السعود، ابن طاووس: ١٣٦، الباب الثاني فيما وقفناه من كتب تفاسير القرآن الكريم.

سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازي، عن النصر، عن عاصم بن حميد، عن الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: كنت مع أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جنة فان القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم وأنتم في حل وسعة، فقالوا: والله لا يكون هذا أبدا فقال: إنكم تقتلون غدا كلكم ولا يفلت منكم رجل، قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك. ثم دعا فقال لهم: ارفعوا رؤسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزلته من الجنة.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/ ٢٩٨.

قال الإمام الحسين عليه السلام يصف أصحابه: أما والله لقد نهرتهم وبلوتهم وليس فيهم الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني أستئناس الطفل بلبن أمه.

الدمعة الساكبة، البهبهاني: ٤/٢٧٣، الفصل الحادي عشر فيما وقع بعد نزوله عليه السلام كربلاء.

حمل شمر بن ذي الجوشن في المسيرة على أهل الميسرة فثبتوا له فطاعنوه وأصحابه وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب فقتل الكلبي وقد قتل رجلين بعد الرجلين الاولين وقاتل قتالا شديدا فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حي التيمي من تيم الله بن ثعلبة فقتلاه وكان القتيل الثاني من أصحاب الحسين وقاتلهم أصحاب الحسين قتالا شديدا وأخذت

من ذلك[١]... تعلو وجوههم علامات السكون والاطمئنان[٢]، وكان الأصحاب يقولون: إنه لا يخاف أبداً، فيجيبهم الإمام الحسين عليه السلام:

أيها العظام، عليكم بالصبر، فما الموت إلا جسر ينقلكم من عالم الشدائد والمصاعب إلى الجنة الواسعة والنعم الدائمة.. إنه ينقلكم من السجن إلى قصر كبير، واعلموا أن الموت لأعدائكم ليس إلاّ جسراً ينقلهم من القصر

→

خيلهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارسا وأخذت لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة أن خيله تنكشف من كل جانب بعث إلى عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن فقال أما ترى ما تلقى خيلي مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث إليهم الرجال والرماة فقال لشبث بن ربعي ألا تقدم إليهم فقال سبحان الله أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامة تبعثه في الرماة لم تجد من تندب لهذا ويجزى عنك غيري.

تاريخ الطبري، الطبري: ٤ / ٣٣٢.

فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسينا ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان فقالا يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك قال مرحبا بكما ادنوا مني فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريبا منه.

تاريخ الطبري، الطبري: ٤/ ٣٣٧.

(١) قال حميد بن مسلم: فو الله ما رأيت مكثورا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشا ولا أمضى جنانا منه عليه السلام ... الحديث.

الإرشاد، المفيد: ٢ / ١١١، باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليهما السلام.

(٢) اطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمئنت نفسه: إذا سكن واستأنس.

كتاب العين، الفراهيدي: ٧/ ٤٤٢، مادة «طمن».

إلى السجن والعذاب[1].

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٨ ـ ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٣، وفيه النص: «قال علي بن الحسين عليهما السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجبت قلوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدئ جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام: صبرا بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت».

سند الرواية التي أوردها العلامة الطباطبائي هو الآتي: حدثنا محمد بن القاسم المفسر الجرجاني رضي الله عنه، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي الناصري، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين: وقد أوردنا فيما يلي ترجمة المفسر الجرجاني محمد بن القاسم، لبيان حال الرواية، وفيما جمعه السيد الخوئي قدس سره الكفاية في بيان ما أردنا بيانه.

محمد بن القاسم الاسترآبادي: من مشايخ الصدوق ـ قدس سره ـ، ذكره في المشيخة، وفي باب التلبية. الفقيه: الجزء ٢، الحديث٩٦٧.

وذكره مترضيا عليه في العيون: الجزء١، الباب ٢٨، فيما جاء عن الامام علي بن موسى عليهما السلام من الاخبار المتفرقة، الحديث ١٩.

أقول: هذا هو محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي، الذي روى عنه الصدوق كثيرا، ففي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم الاسترآبادي كما تقدم، وفي بعض الموارد عبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر. العيون الجزء ١، الباب ١١، فيما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام، في التوحيد، الحديث ٣٦.

←

وقد يجمع بين الامرين فيعبر عنه بمحمد بن القاسم الاستراآبادي المفسر. العيون: الجزء ١، الباب ٢٨، الحديث ٣٠.

وقد يعبر عنه بمحمد بن القاسم المفسر، المعروف بأبي الحسن الجرجاني. العيون: الجزء١، الباب ٢٦، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار النادرة في فنون شتى، الحديث ٤، وقد جمع بين الجميع، وقال: حدثنا محمد بن القاسم الاستراآبادي المعروف بأبي الحسن الجرجاني المفسر(رضي الله عنه). المعاني: باب معنى الحروف المقطعة ١٦، الحديث ٤. ووصفه بالخطيب، كما هو مذكور في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام.

وقال ابن الغضائري: «محمد بن القاسم المفسر الاستراآبادي: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير». (إنتهى).

وذكر العلامة مثل ذلك في (٦٠) من الباب (١). من حرف الميم، من القسم الثاني، وقال: «محمد بن القاسم، وقيل: ابن أبي القاسم المفسر الاستراآبادي...» (إلى آخر ما ذكرناه).

بقي هنا أمور: الاول: ان محمد بن القاسم تكرر ذكره في رواية الصدوق ـ قدس سره ـ عنه في كتبه، وليس في شيء من هذه الموارد التعبير عنه بمحمد بن أبي القاسم، فلم يظهر وجه لما ذكره العلامة، وقيل: ابن أبي القاسم. الثاني: أن محمد بن القاسم هذا لم ينص على توثيقه أحد من المتقدمين، حتى الصدوق ـ قدس سره ـ الذي أكثر الرواية عنه بلا واسطة. وكذلك لم ينص على تضعيفه، إلا ما ينسب إلى ابن الغضائري، وقد عرفت غير مرة أن نسبة الكتاب إليه لم تثبت، وأما المتأخرون فقد ضعفه العلامة، والمحقق الداماد، وغيرهما، ووثقه جماعة آخرون على ما نسب إليهم، والصحيح أن الرجل مجهول الحال، لم تثبت وثاقته، ولا ضعفه، ورواية الصدوق عنه كثيرا لا تدل على وثاقته، ولا سيما إذا كانت الكثرة في غير كتاب الفقيه، فإنه لم يلتزم بأن لا يروي إلا عن ثقة، نعم لا يبعد دعوى أن الصدوق كان معتمدا عليه لروايته عنه في الفقيه، المؤيد بترضيه وترحمه عليه كثيرا، ولكن اعتماد الصدوق لا يكشف عن الوثاقة، ولعله كان من جهة أصالة

العدالة، وعلى كل حال فالتفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام بروايته لم يثبت، فإنه رواه عن رجلين مجهول حالهما، وقد أشرنا إلى ذلك في ترجمة علي بن محمد بن يسار.

الثالث: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير رواه يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن يسار (سيار)، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وفي هذا سهو من جهتين:

الاولى: أن الرجلين رويا هذا التفسير عن الامام عليه السلام، بلا واسطة، لا بواسطة أبويهما، وإنما ذكر الصدوق أنهما كانا من الشيعة، عن أبويهما، كما تقدم في ترجمة علي بن محمد بن سيار، وصرح بذلك في أول التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام. نعم ورد في موارد رواية الصدوق، عن محمد بن القاسم الاسترآبادي، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي الامام العسكري عليه السلام، كما في الحديثين المتقدمين من الفقيه والمعاني، وكما في الحديث ١، من الباب ٢٧، فيما جاء عن الرضا عليه السلام، في هاروت وماروت من العيون: الجزء ١، وغير بعيد أن تكون كلمة عن أبويهما، في هذه الموارد من زيادة النساخ، أو أن جملة: وكان من الشيعة، ساقطة قبل كلمة: عن أبويهما.

الثانية: أنهما نسبا التفسير إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام، مع أنه منسوب إلى أبي محمد العسكري عليه السلام.

الرابع: أن المذكور في كلام ابن الغضائري، والعلامة، أن التفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه، بأحاديث من هذه المناكير، وهذه العبارة لا نعرف لها معنى محصلا، فإن سهلا لم يقع في سند هذا التفسير، وإنما رواه الصدوق ـ قدس سره ـ، عن محمد بن القاسم، عن يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن الإمام العسكري عليه السلام، وغير بعيد أن تكون في العبارة تحريف، أو سقط من النساخ.

معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٨/ ١٦١ ـ ١٦٤ / الرقم ١١٦١٣ محمد بن القاسم الاسترآبادي.

راجع المقدمة والرسالة الرجالية في نهاية التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام طبعة مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٩ هـ ـ قم المقدسة. إذ ورد فيها تحليل وتفصيل مستند حول تفسير الإمام العسكري عليه السلام ورواته لم نذكره لعدم ارتباطه في بحثنا وتجنباً للإطالة.

ويورد الإمام الحسين لأصحابه ما نقله له أبوه الإمام علي عليه السلام عن رسول الله من إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت، جسر يوصل المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى جهنم[١].

وينقل الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام السجاد عليه السلام سئل عن الموت فقال بأنه للمؤمن كخلع ملابس قذرة وفك قيود وسلاسل ثقيلة، والاستعاضة عنها بملابس نظيفة معطرة ومراكب مريحة ومساكن واسعة. وأنه بالنسبة للكافر، كخلع الملابس الفاخرة وترك المسكن النظيف الواسع، إلى مسكن بعيد قذر حيث العذاب واللباس القذر[٢].

وعندما يُسأل الإمام الباقر نفسه عن الموت، يجيب بأنه النوم الذي يأتي الإنسان كل ليلة، إلا أنه أطول منه مدة، بحيث لا يفيق منه الإنسان إلاّ يوم القيامة ويشبّه الإمام، الموت، بما يراه الإنسان في منامه من أحلام جميلة أو كوابيس مرعبة، ثم يدعو الناس إلى التهيؤ له[٣].

ونكتفي بهذا القدر من الإيضاح للتوقف في الرواية؛ لعلة راويها دون احتمال الأصالة في العدالة، مع التواتر في جرحه على لسان جهابذة علماء الرجال.

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٨ ـ ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٣.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٤، وفيه النص «وقال محمد بن علي عليهما السلام قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام ما الموت قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفك قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل والكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب».

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٥، وفيه النص: «وقيل

الروح تنتقل مع الموت

إن تشبيه الإمام الباقر عليه السلام للموت، بالنوم، مستوحى من الآية الكريمة:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[1].

إذ نلاحظ أن الله عز وجل وصف الحالتين بـ«الوفاة»، ثم استخدم «الإمساك» للتعبير عن الأولى، أي التي تعود فيها الروح إلى ربها، ونلاحظ أنه لم يقل «يقبض» بدلاً عن «يمسك»[2].

لمحمد بن علي عليهما السلام ما الموت قال: هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه هذا هو الموت فاستعدوا له».

(١) سورة الزمر / ٤٢.

(٢) قال القشيري في قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ سورة الزمر/ ٤٢، يقبض الله الروح في حالين، في حالة النوم وحالة الموت، فما قبضه في حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض، وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ سورة الزمر/ ٤٢، أي: يزيل الحابس عنه فيعود كما كان. فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك. وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٥ / ٢٦١، تفسير سورة الزمر.

أما قول الأئمة الأطهار أن الروح، تفارق الجسد عند الموت، فهو مستوحى من الآية الكريمة:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[١]، ذلك أن الباري عز وجل نسب «التوفي» إلى «الأنفس» باعتبار ذلك، استيفاء كاملاً للحق المطلوب، وكذلك في الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم ﴾[٢]، نسب «التوفي» لـ«كم»، وهي الضمير المعبر عن الأنفس والتي يذكرها الإنسان بكلمات «أنا» و«نحن»[٣]. إذن فالذي ينتقل من الإنسان إلى النشأة[٤] الأخرى[٥] ـ هو الروح[٦] ـ والآية الكريمة:

---

(١) سورة الزمر / ٤٢.

(٢) سورة الأنعام / ٦٠.

(٣) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا ٱفْتَرَىٰهُ .. ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ السجدة / ١٠ ــ ١١، يقول إنكم بالموت لا تضلون في الأرض ولا تنعدمون بل الملك الموكل بالموت يأخذ الأمر الذي تدل عليه لفظة (كم) و(نا)، وهي: النفوس.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١ / ٢٩٩، تفسير سورة الرعد.

(٤) أنشأه الله: خلقه. وأنشأ الله الخلق أي: ابتدأ خلقهم.

لسان العرب، ابن منظور: ١ / ١٧٠، مادة «نشأ».

(٥) النشأة الأخرى: مر تعريفها في الفصل الأول، الموت انتقال من عالم إلى آخر.

(٦) قال عبد الغفار الأسلمي في قول الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ سورة الزمر / ٤٢، فليس ترى الأرواح كلها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء، فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنما يصير إليه أرواح العقول فأما أرواح الحياة فإنها في الأبدان لا ←

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[١].

تشير إلى هذا الأمر بوضوح، فالكدح هو السعي باتجاه شيء، والإنسان هو الساعي إلى الله، وهو الذي يسير إليه منذ بدء خلقه[٢]، ولهذا فإن آيات عدة

→

تخرج إلا بالموت ولكنه إذا قضى على نفس الموت فقبض الروح الذي فيه العقل... الحديث.

جامع الأخبار، الشعيري: ١٧١، الفصل ١٣٦ في الروح.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ سورة الزمر/ ٤٢، التي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس.

وقال أيضا: قبض النوم يكون الروح معه وقبض الموت يخرج الروح من البدن.

تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٨/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤، تفسير سورة الزمر.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السجدة /١١، أن الروح عند الموت مأخوذ من البدن والبدن على حاله من غير أن ينقص منه شيء.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ١٥٤، تفسير سورة الحجر.

وقال الطباطبائي أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ سورة الزمر/٤٢، المراد بالأنفس الأرواح المتعلقة بالأبدان لا مجموع الأرواح والأبدان لان المجموع غير مقبوض عند الموت وإنما المقبوض هو الروح.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ٢٦٩، تفسير سورة الزمر.

(١) سورة الإنشقاق / ٦

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ سورة الانشقاق/ ٦، قال الراغب: الكدح السعي والعناء. ففيه معنى السير، وقيل: الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها. وعلى هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديه بإلى، ففي الكدح معنى السير على أي حال.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ٢٤٢، تفسير سورة الانشقاق.

←

تتحدث عن إقامة الإنسان في الدنيا بكلمات «لبث»[١] أو «مكث»[٢] كما في الآية:

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾[٣].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ سورة الانشقاق / ٦، الكدح في كلام العرب السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيرا أو شرا، والمعنى أنك ساع إلى ربك في عملك أو إلى لقاء ربك.

فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٤٠٦، تفسير سورة الإنشقاق.

(١) وردت في القرآن كلمة (لبث) في أكثر من ثلاثين موضعا، نذكر منها الآتي:

سورة البقرة / ٢٥٩، ونصها: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

سورة يونس / ١٦، ونصها: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

سورة العنكبوت / ١٤، ونصها: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾.

(٢) وردت كلمة (مكث) في كتاب الله العزيز في موارد عدة، نذكر منها ما له علاقة بإقامة الإنسان في الأرض: سورة طه / ١٠، ونصها: ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾.

سورة النمل / ٢٢، ونصها: ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾.

(٣) سورة المؤمنين / ١١٢.

من الذي يتوفى الأنفس؟

يقول الباري عز وجل:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾[(١)] وهي إشارة صريحة إلى أن «لتوفي» منسوب إليه[(٢)]. وفي آية أخرى:

﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ﴾[(٣)].

نجد أن «لتوفي» منسوب إلى ملك الموت[(٤)].

---

(١) سورة الزمر / ٤٢.

(٢) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾ سورة الزمر / ٤٢، انه تعالى يتوفى الأنفس التي لم تمت.

مجمع البيان، الطبرسي: ٣ / ٤٦١، تفسير سورة المائدة.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ سورة الزمر / ٤٢، أي: يقبضها عند فناء آجالها.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٥ / ٢٦٠، تفسير سورة الزمر.

(٣) سورة السجدة / ١١.

(٤) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ سورة السجدة / ١١، إن الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله.

التبيان، الطوسي: ٩/ ٣١، تفسير سورة الزمر.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ﴾ سورة السجدة/١١، فنسبه (الموت) إلى ملك الموت.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣/ ١٩١، تفسير سورة آل عمران.

←

وفي آية ثالثة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[١] نجد أن «لتوفي» نسب إلى «الملائكة المرسلين»[٢].

طبيعي أن المرجع والمصدر لكل هؤلاء واحد، ذلك أن جميع ذلك يتم بإرادة الله وأمره، لكن التنفيذ يتم على مستويات متعددة، طبقاً لمستوى الفئة التي تجرى بحقها عملية «الوفاة»[٣].

→

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ سورة السجدة / ١١، أي: وكل بإماتتكم وقبض أرواحكم، وقد نسب التوفي في الآية إلى ملك الموت.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٦/ ٢٥١، تفسير سورة السجدة.

(١) سورة الأنعام / ٦١.

(٢) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ سورة الأنعام/٦١، هم الملائكة.

تفسير القمي، القمي: ١ / ٢٠٣، تفسير سورة الأنعام.

قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ سورة الأنعام/٦١، يعني: وقت الموت، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ سورة الأنعام / ٦١، يعني: قبضت الملائكة روح المتوفي، وهم رسل الله الذين عناهم الله.

التبيان، الشيخ الطوسي: ٤ / ١٥٨، تفسير سورة الأنعام.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ سورة الأنعام/٦١، فنسبه (الموت) إلى جمع من الملائكة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣ / ١٩١، تفسير سورة آل عمران.

(٣) الوفاة: المنية. وتوفي فلان، وتوفاه الله: إذا قبض نفسه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨ / ٤١٠، مادة «وفي».

←

وهناك العديد من الروايات والأخبار التي تؤيد ذلك، فقد نقل عن الإمام الصادق أن ملك الموت سُئل كيف يستطيع قبض أرواح أناس متوزعين على مشارق الأرض ومغاربها فأجاب بأنه يستدعي هذه الأرواح، وهي تستجيب له.

ثم قال[1] أن الدنيا بين يديه، كما الإناء بيد الإنسان يأكل من أي جانب منه يشاء، وأن الدنيا بين يديه (أي: ملك الموت) كما الدرهم بيد الإنسان يديره كيفما يشاء[2].

وفي رواية أخرى أن جماعة من المؤمنين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن الآيات التالية:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[3] و﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[4] و﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[5] و﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[6] و﴿ لَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[7]

الوفاة: الموت.

لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٤٠٠، مادة «وفي».

(١) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٢) أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٣٤، باب غسل الميت / ح ١٢.

(٣) سورة الزمر / ٤٢.

(٤) سورة السجدة / ١١.

(٥) سورة النحل / ٣٢.

(٦) سورة الأنعام / ٦١.

(٧) سورة الأنفال / ٥٠.

سألوه: كيف يمكن أن تكون هذه الآيات صحيحة، بينما نحن نعرف أنه قد يموت عدد كبير من الناس، من أنحاء العالم، وفي آن واحد، فأجاب:

بأن الله تبارك وتعالى، جعل لملك الموت مساعدين من الملائكة، يتولون قبض الأرواح مثلما يتخذ قائد الحرس، أفراداً مساعدين له.

فالملائكة المساعدون يقومون بتوفي الأشخاص المختلفين، ثم يقوم ملك الموت باستلامهم إلى جانب الذين يتوفاهم بنفسه، ثم يتوفاهم الله عز وجل جميعاً[١].

وقد وردت رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام تتضمن نفس هذا المعنى، وورد في نهايتها تأكيد من الإمام بأنه لا يمكن لكل صاحب علم أن يعطي علمه ويشرحه لكل الناس، لأنهم مختلفين في استيعابهم لبعض العلوم وإدراكهم لها، لأن بعض هذه العلوم ـ والحديث للإمام علي ـ لا يقوى على تحملها إلا من أوتي عوناً إلهياً خاصاً لإدراكها وفهمها. ثم يقدم الإمام علي عليه السلام نصيحته فيقول بأنه يكفي للإنسان أن يعرف أن الله هو المحيي والمميت[٢]، وأنه يتوفى الأنفس[٣]، على يد من يريد، سواء كانوا ملائكة أو غير الملائكة[٤].

---

(١) أنظر: من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١ / ١٣٦ ـ ١٣٧، باب غسل الميت / ح٢٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى من سورة آل عمران / ٢٧. ونصها: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى من سورة الزمر/ ٤٢. ونصها: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

(٤) أنظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٦٨ ـ ٢٦٩، باب ٣٦ الرد على الثنوية والزنادقة / قطعة من الحديث رقم ٥.

وللوهلـة الأولى يفهـم الـسامع مـن عبـارة «غـير الملائكـة» الـواردة في كـلام الإمام عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يتوفى بعض الأنفس أحياناً على يد غير الملائكة، وهذا يحمل علامات استفهام واستغراب.

فقد يكون المقصود بـ«غير الملائكة» هم بعض الأولياء المقربين الذين يتمتعـون بمرتبة أعلى من الملائكة[1]. وقد يكـون المقـصود بـذلك، أولئـك الـذين يتوفـاهم الله مباشرة دون وساطة الملائكة، هذا مع أن خلفية هذين الاحتمالين واحدة.

لقد ورد في «الكافي» رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقـول فيهـا أن الإمـام علـي بن الحسين عليه السلام كان يقول دائماً أن كلام الباري عز وجل:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[2] يقصد به موت العلماء[3]. وقـال بعـض العلمـاء أن «أطـراف» الـتي هـي جمـع «طـرف»، يقـصد بهـا العلمـاء والأشراف[4].

---

(١) عـن ابـن عبـاس في تفـسير قولـه تعـالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ سـورة الأنعـام / ٦١، قال: الرسل توفي الأنفس، ويذهب بها ملك الموت.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٧/ ٢٨٣، تفسير سورة الأنعام / ح١٠٣٨٦.

وعـن قتـادة في تفـسير قولـه تعـالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ سـورة الأنعـام / ٦١، قـال: يلـي قبـضها الرسل، ثم يدفعونها إلى ملك الموت.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٧ / ٢٨٤، تفسير سورة الأنعام /ح١٠٣٨٨.

(٢) سورة الرعد / ٤١.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣٨، كتاب فضل العلم، باب فقد العلماء / ح ٦.

(٤) قال الأزهري: أطراف الرجال: أشرافهم.

←

وعموماً، فكما أنّ لـ «الأنفس»[1]، مراتب ودرجات حقيقية بلحاظ قربها من

لسان العرب، ابن منظور: ٩ / ٢١٨، مادة «طرف».

قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ سورة الرعد / ٤١، الأطراف: جمع طرف، أو طرف بالتسكين: بمعنى العلماء والأشراف.

تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣/ ٧٦، تفسير سورة يوسف.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه سأله إعرابي عن النفس فقال عليه السلام: «أي الأنفس تسأل؟ فقال: يا مولاي هل النفس أنفس عديدة؟ فقال عليه السلام: نفس نامية نباتية وحسية حيوانية وناطقة قدسية وإلهية كلية ملكوتيه، قال: يا مولاي ما النامية النباتية؟ قال عليه السلام: قوة أصلها الطبايع الأربع، بدو إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطايف الأغذية فعلها النمو والزيادة سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجة لا عود مجاورة، فقال: يا مولاي ما النفس الحيوانية؟ قال عليه السلام: قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك بدو إيجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغلبة واكتساب الشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب افتراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها، فقال: ما النفس الناطقة القدسية؟ قال عليه السلام: قوة لاهوتية بدو إيجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود مجاورة لا عود ممازجة، فقال: ما النفس الإلهية الملكوتية الكلية؟ فقال عليه السلام: قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات أصلها العقل منه بدت وعنه دعت واليه دلت وأشارت وعودها إليه إذا كملت وشابهت ومنها بدت الموجودات واليها تعود بالكمال وهي ذات العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ضل وغوى... الحديث».

شرح الأسماء الحسنى، هادي السبزواري: ٢/ ٤٥ ــ ٤٦. وأنظر: التعليقة على الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي: ١٠٥ ـ ١١٥.

الباري عز وجل[١] ، فإن الوفاة تتناسب ودرجة كل نفس ، فبعضها يتوفاها الله تعالى بنفسه[٢] ، ولذا فإن هذه النفس لا تدرك غير الله ، وهناك أنفس يتوفاها ملك الموت ، وهذه لا تدرك الملائكة الذين هم دون ملك الموت ، أما القسم الثالث فيتوفاه الملائكة المساعدون لملك الموت[٣].

وبغض النظر عمّن يتوفى الأنفس ، فإن المهم أن الذي «يُتوفى» هو «النفس» وليس البدن[٤] ، فالله أقرب للنفس ، من النفس ذاتها ، والملائكة يأتمرون بأمره ، وينفذون ما يريد. وكذلك النفس ، فهي من عالم الأمر[٥] ، وليس في عالم الأمر

---

(١) حسب ترتيب الأمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصفه للأنفس ، تعتبر النفس الإلهية أفضلها وأقربها إلى العلو والكمال والقرب من الله ، ثم النفس الناطقة ، ثم النفس النباتية ، وأخيرا الحيوانية.

(٢) أنظر : البحث المتقدم «من الذي يتوفى الأنفس».

(٣) راجع البحث السابق.

(٤) قال الطبرسي في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ سورة الزمر/ ٤٢ ، أي : يقبضها إليه وقت موتها وانقضاء آجالها.

التي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس.

مجمع البيان ، الطبرسي : ٨/ ٤٠٣ ، تفسير سورة الزمر.

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ سورة الزمر / ٤٢ ، أي : يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان.

فتح القدير ، الشوكاني : ٤/٤٦٥ ، تفسير سورة الزمر.

(٥) عالم الأمر : ما وجد عن الحق من غير سبب ، ويطلق بإزاء الملكوت.

نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام ، نظلة الجبوري : ١٥٠.

قال المازندراني : عالم الأمر : وهو عالم الروح والروحانيات.

شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣/ ١٢٤.

حجاب[1] زماني[2] أو مكاني[3]. إذن فالتوفي يتم من داخل النفس وليس من

(١) الحجاب: الستر.
الصحاح، الجوهري: ١/ ١٠٧، مادة «حجب».
الحجاب: كل ما يستر مطلوبك. وهو عند أهل الحق: انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق.
التعريفات، الجرجاني: ٥٠، باب الحاء، الحجاب.
الحجاب: حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده.
نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، نظلة الجبوري: ٤٠.

(٢) الزمان عند المتكلمين: زعموا أن الزمان أمر اعتباري موهوم. وعرفه الأشاعرة بقولهم: إنه متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم.
وقال الرازي: إن للزمان كالحركة معنيين: أحدهما أمر موجود في الخارج، غير منقسم، وهو مطابق للحركة، وثانيهما أمر متوهم لا وجود له في الخارج.
والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماض أو مستقبل. وليس عندهم زمان حاضر، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضي والمستقبل.
ومن معاني الزمان في الفلسفة الحديثة أنه وسط لا نهائي غير محدود، شبيه بالمكان، تجري فيه جميع الحوادث، فيكون لكل منها تاريخ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم، سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك «نيوتون» و«كلارك»، أو كان موجوداً في الذهن فقط كما ذهب إلى ذلك «ليبنيز» و«كانت».
قال «ليبنيز»: الزمان تصور مثالي.
وقال «كانت»: إن الزمان صورة قبلية محيطة بالأشياء الحدسية، وإن المقادير المحدودة من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائي واحد. فكأن الزمان إطار محيط بالأشياء، إلا أنه ذو بعد واحد وهو الطول.
وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود، كل نقطة من نقاطه مجانسة للأخرى.
المعجم الفلسفي، صليبا: ١/ ٦٣٧، باب الزاي، الزمان.

(٣) قال الجرجاني: المكان عند المتكلمين: «الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده».
←

خارجها أو من البدن، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1] وكـذلك ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[2].

→

التعريفات، الجرجاني: ١٢٥، باب الميم، المكان.

والمكان عند الحكماء الاشراقيين هو: البعد المجرد الموجود، وهو ألطف من الجسمانيات، وأكثف من المجردات، ينفذ فيه الجسم، وينطبق البعد الحال فيه على ذلك البعد في أعماقه وأقطاره، فعلى هذا يكون المكان بعداً منقسماً في جميع الجهات، مساوياً للبعد الذي في الجسم، بحيث ينطبق احدهما على الآخر، سارياً فيه بكليته.

والمكان عند المحدثين: وسط مثالي غير متداخل الأجزاء، حاو للأجسام المستقرة فيه، محيط بكل امتداد متناه. وهو متجانس الأقسام. متشابه الخواص في جميع الجهات، متصل، وغير محدود، وله عند علماء الهندسة صفتان أخريان:

الأولى قولهم: إن المكان ذو ثلاثة أبعاد، ومعنى ذلك انه لا يلتقي في نقطة واحدة من المكان إلاّ ثلاثة خطوط عمودية.

والثانية قولهم: إن أجزاء المكان مطابقة بعضها لبعض، بحيث يمكنك، ان تنشئ فيه أشكالا متشابهة على جميع المقاييس، ولا سبيل إلى إنكار هاتين الصفتين الا في الهندسة اللااقليدسية التي تقرر إن للمكان عدداً غير محدود من الأبعاد.

وقد فرق «هوفدينغ» بين المكان النفسي والمكان المثالي، فقال ان المكان النفسي الذي ندركه بحواسنا مكان نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين ان المكان المثالي الذي ندركه بعقولنا مكان رياضي مجرد ومطلق، وهو وحده متجانس ومتصل.

المعجم الفلسفي، صليبا: ٢/ ٤١٢ ـ ٤١٣، باب الميم، المكان.

(١) سورة سبأ / ٥١.

(٢) سورة الواقعة / ٨٣ ـ ٨٥.

الموت يكشف الحقيقة للإنسان

قلنا أن النفس، لا تفنى بالتوفي، وبما أنها عاشت الدنيا واستقرت فيها لفترة، ومرّت بحالة الغرور الدنيوي وتعودت عليه، فإن «الوفاة» ستكشف للنفس، بطلان كل ما كان في الدنيا، من تصورات وأوهام، وبانكشاف الأسباب الظاهرية للأمور، ستتحول كل التطلعات والطموحات الدنيوية إلى سراب[1]، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2] إن الإنسان يتعامل مع نوعين من الأمور والموجودات

---

(١) السراب: الذي يكون نصف النهار لاطئا بالأرض، لاصقا بها، كأنه ماء جار.

السراب: الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار.

لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٤٦٥، مادة «سرب».

قال الطريحي في قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ سورة النور/ ٣٩، السراب: ما يرى في شدة الحر كالماء، ويقال: السراب ما رأيته في أول الشمس يسرب كالماء ونصف النهار.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢ / ٣٥٦ ـ ٣٥٧، مادة «سرب».

(٢) سورة الأنعام / ٩٣ ـ ٩٤.

في الدنيا، الأول: مباهج[1] الحياة وأدواتها التي يتصور أنه يملكها، وأنها توصله إلى طموحاته وأهدافه، والثاني: الناس الذين يتصورهم شفعاءَ له، فيتصور أنه لا يستطيع بلوغ حاجاته ومرامه، بدون مساعدة هؤلاء، كالزوجة والأبناء والأقرباء والأصدقاء وكل الذين لهم قوة تأثير في مجرى الأمور.

لكن الباري عز وجل يشير في الآية ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ...﴾[2] بشكل إجمالي إلى بطلان النوعين[3]، ففي ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ...﴾[4] يشير

---

(١) البهجة: السرور. بهجة لا تشبه بهجات الدنيا، أي: مسرة لا تشبه مسرات الدنيا.

مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٢٥٦، مادة «بهيج».

(٢) سورة الأنعام / ٩٤.

(٣) قال الطباطبائي في الشفعاء: المزاعم التي انضمت إلى حياته من التكثر بالأسباب والاعتضاد والانتصار بالأموال والأولاد والأزواج والعشائر والجموع، وكذا الاستشفاع بالأرباب من دون الله المؤدى إلى الإشراك كل ذلك مزاعم وأفكار باطلة لا أثر لها.

وفي تبيين قوله: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ سورة الأنعام / ٩٤، بيان لبطلان الأسباب الملهية له عن ربه المتخللة بين أول خلقه وبين يوم يقبض فيه إلى ربه.

وفي تفسير قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ سورة الأنعام/ ٩٤، بيان لسبب انقطاعه من الأسباب وسقوطها عن الاستقلال والتأثير، وان السبب في ذلك انكشاف بطلان المزاعم التي كان الإنسان يلعب بها طول حياته الدنيا. فيتبين بذلك أن ليس لهذه الأسباب والضمائم في الإنسان من النصيب إلا أوهام ومزاعم يتلهى ويلعب بها الانسان.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٧/ ٢٨٦ ــ ٢٨٧، تفسير سورة الأنعام.

(٤) سورة الأنعام / ٩٤.

إلى زوال النوع الأول وفي ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ... ﴾[١] يشير إلى زوال النوع الثاني.

أما ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ...﴾[٢] فهي إشارة إلى سبب بطلان النوعين وزوالهما، ﴿وَضَلَّ عَنكُم ... ﴾[٣] إشارة إلى نتيجة هذا البطلان.

المهم، فإن ما في الدنيا يبقى في الدنيا، أما الإنسان فيبدأ منذ وفاته، حياة جديدة، مجردة عما كان في الدنيا ـ ومن هنا وصف الموت بأنه «القيامة الصغرى»[٤] التي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام أن كل من يموت، تقوم قيامته[٥].

---

(١) سورة الأنعام / ٩٤.

(٢) سورة الأنعام / ٩٤.

(٣) سورة الأنعام / ٩٤.

(٤) قال المازندراني: الموت: وهو القيامة الصغرى.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠/ ٤٤٠.

قال الفيض الكاشاني: الموت: هو القيامة الصغرى للأكثرين والكبرى للآخرين.

التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١/ ١٢٠، تفسير سورة البقرة.

(٥) إرشاد القلوب، الديلمي: ١/ ١٨، في الحكم والمواعظ، الباب الثاني في الزهد في الدنيا.

وقد ورد أصل النص عن النبي صلى الله عليه وآله ضمن حديث طويل نذكر منه موضع الحاجة: «أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق وسعة عليكم فرضيتم به فأثبتم وإن كنتم في غنى نغصه إليكم فجدتم به فأجرتم فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته».

التبشير بالسعادة أو الشقاء بعد الموت

عندما تغادر «النفس» جسم الإنسان، تفقد صفة الاختيار والقدرة على فعل شيء أو تركه، وهنا يُرفع التكليف[١] عن الإنسان ـ النفس ـ فالله تعالى يقول:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾[٢].

وفي هذه المرحلة، يقف الإنسان أمام مفترق طريقين، طريق السعادة وطريق الشقاء[٣]، وعندها يتحدد الطريق الذي سيسلكه، فإما أن يتسلم بشارة السعادة،

(١) الكلفة: المشقة والتكليف: الأمر بما يشق عليك وتكلف الشيء: ما يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناله في تعاطيه وصارت الكلفة في التعارف اسماً للمشقة والتكلف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبع ولذلك صار التكلف على ضربين: محمود وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى ان يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصير كلفاً به ومحباً له وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات والثاني: مذموم وهو ما يتحراه الإنسان مراءة.

والتكاليف: المشاق الواحدة: تكلفة والتكليف: ما كان معرضاً للثواب والعقاب وهو في عرف المتكلمين: بعث من تجب طاعته على ما فيه مشقة ابتداء بشرط الإعلام.

القاموس الجامع، عبدالله الغديري: ٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦، باب الكاف، كلف.

(٢) سورة الأنعام / ١٥٨.

(٣) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام أنه قال: حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء.

الخصال، الشيخ الصدوق: ١/ ٥، باب الواحد، حقيقة السعادة واحدة وحقيقة الشقاء واحدة/ح١٤.

أو وعيد الشقاء[١]، يقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[٢] و﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] وكذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٤].

إن عبارة «كنتم توعدون»[٥] تعني أن البشارة[٦] تتحقق بعد الدنيا، أي في الآخرة.

---

(١) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِساً وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لَحِقَ الشَّقَاءُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عليه السلام: أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ فَلَمَّا حَكَمَ بِذَلِكَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقْلَ الْعَمَلِ بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ أَهْلُهُ وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ وَمَنَعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَأْتُوا حَالًا تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَهُوَ سِرُّهُ.

الكافي، الكليني: ١/ ١٥٣، كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاء / ح٢.

(٢) سورة الأنعام / ٩٣.

(٣) سورة النحل / ٣٢.

(٤) سورة فصلت / ٣٠.

(٥) سورة الأنبياء / ١٠٣.

(٦) البشارة: الإخبار بما يسر به المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٠٠، حرف الباء / الرقم ٣٩٦ الفرق بين البشارة والخبر.

وطبيعي أن التبشير بشيء يعني الإخبار عن أمر قبل أن يحدث[١]، وهذا ما يصدق على التبشير بالجنة الذي يحدث قبل دخولها[٢].

من جانب آخر، فإن التبشير، يعني الإخبار عن أمر حتمي الوقوع. وبما أن الإنسان يظل حر الاختيار حتى لحظة وفاته[٣].

(١) قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾ سورة النحل/ ٥٨، التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور.

تاج العروس، الزبيدي: ٣/ ٤٥.

(٢) تضمن النص القرآني الكثير من آيات البشرى، نذكر منها ما يلي:

سورة البقرة / ٢٥، ونصها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

سورة التوبة / ٢١، ونصها: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾.

سورة الحديد / ١٢، ونصها: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

(٣) عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو فقلت له يا ابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ما معناه فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال: بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت يا ابن رسول الله فما أمر بين الأمرين فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه قلت وهل لله مشية وإرادة في ذلك فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها وإرادته ومشيته في المعاصي النهي عنها ←

ويظل أمام احتمال سلوكه أحد الطريقين السالفي[1] الذكر، تبعاً لعمله وسلوكه، فإن البشارة بالجنة لا يمكن أن تتحقق في الدنيا، ومن ملاحظة الآية الكريمة:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[2] نرى أن الباري عز وجل، يثبت ولايته على هؤلاء، ثم يخبرنا بأنهم لا خوف عليهم ولا يحزنون[3]. والولاية هذه تعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تدبير أمور

والسخط لها والخذلان عليها قلت فلله عز وجل فيها القضاء قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء قلت ما معنى هذا القضاء قال: الحكم عليهم بما يستحقونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٤١٤، احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في التوحيد والعدل.

(١) السلف: المتقدم.

قال الجوهري: سلف يسلف سلفا، مثال طلب يطلب طلبا، أي: مضى.

لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ١٥٨، مادة «سلف».

(٢) سورة يونس / ٦٢ ـ ٦٤.

(٣) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة يونس / ٦٢، فهؤلاء لا يخافون شيئا ولا يحزنون لشيء لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا إن يشاء الله، وقد شاء أن يخافوا من ربهم وان يحزنوا لما فاتهم من كرامته إن فاتهم وهذا كله من التسليم لله. فإطلاق الآية يفيد اتصافهم بهذين الوصفين: عدم الخوف وعدم الحزن في النشأتين الدنيا والآخرة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠/ ٩٠، تفسير سورة يونس.

المؤمنين دون تدخل منهم[١]، وفي هذه الحالة فقط، تكون البشارة في الدنيا لهؤلاء، أمراً صحيحاً ومنطقياً مادام الله تعالى هو المتولي والمدبر لأمور المؤمنين ومن هنا نرى أن الباري تعالى يغيّر سياق الآية عندما يصف تقوى هؤلاء المؤمنين فيقول جل وعلا ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٢]، بينما السياق الطبيعي هو ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾[٣]، وهذا التغيير في السياق، إشارة واضحة إلى أن إيمان هؤلاء المؤمنين بعد إيمانهم الأول[٤]، إنما جاء بفعل التقوى، وهو تعبير عن نقاء الإيمان من كل شوائب الشرك المعنوي، الناتجة عن الاعتماد على غير الله[٥].

---

(١) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة يونس / ٦٢، الولاية: لها معاني كثيرة، لكن الأصل في معناها ارتفاع الواسطة الحائلة بين الشيئين. فالله سبحانه ولى عبده المؤمن، لأنه يلي أمره ويدبر شأنه فيهديه إلى صراطه المستقيم ويأمره وينهاه فيما ينبغي له أو لا ينبغي وينصره في الحياة الدنيا وفي الآخرة والمؤمن حقا ولي ربه لأنه يلي منه إطاعته في أمره ونهيه ويلي منه عامة البركات المعنوية من هداية وتوفيق وتأييد وتسديد وما يعقبها من الإكرام بالجنة والرضوان. فأولياء الله ـ على أي حال ـ هم المؤمنون فان الله يعد نفسه وليا لهم في حياتهم المعنوية.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠/ ٨٨ ـ ٨٩، تفسير سورة يونس.

(٢) سورة يونس/ ٦٣.

(٣) سورة البقرة / ١٠٣.

(٤) في البحار: قيل: إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي يختص المكلف ولا يتعداه والإيمان الأول: الإيمان بالله تعالى وبما أوجب الله الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها.

بحار الأنوار، المجلسي: ٦٢ / ١١٤، كتاب السماء والعالم، أبواب الصيد والذبائح وما يحل وما يحرم من الحيوان، باب١ جوامع ما يحل وما يحرم من المأكولات.

(٥) عن أبي عبدالله عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ سورة النساء / ٧١، فسماهم مؤمنين و«ليسوا
←

ونفس هذا المعنى نجده في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[1] وهذا ما منّ به الخالق عز وجل على المؤمنين. ووصفه بـ«النعمة» ثم يقول سبحانه وتعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[2]، فالمؤمنون يرجعون أمرهم إلى الله بشكل كامل دون أن يتدخلوا فيه[3].

→ هم بمؤمنين» ولا كرامة، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا... إلى قوله فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء / ٧١ ــ ٧٣، ولو أن أهل السماء والأرض قالوا قد أنعم الله علي إذ لم أكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين (وإذا أصابهم فضل من الله) قال: يا ليتني كنت معهم فأقاتل في سبيل الله.

تفسير العياشي، العياشي: ١ / ٢٥٧، تفسير سورة النساء.

قال الطباطبائي في تعليقه على الحديث: عن أبي عبدالله عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سورة النساء / ٧١، فسماهم مؤمنين وليسوا هم بمؤمنين ولا كرامة... الحديث.

المراد بالشرك في كلامه عليه السلام الشرك المعنوي لا الكفر.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٤ / ٤٢١، تفسير سورة النساء.

(١) سورة الحديد / ٢٨.

(٢) سورة آل عمران / ١٧٣.

(٣) قال الطباطبائي: إن ولاية أمرنا لله ونحن مؤمنون به، ولازمه أن نتوكل عليه ونرجع الأمر إليه من غير أن نختار لأنفسنا شيئاً من الحسنة والسيئة فلو أصابتنا حسنة كان المنّ له وإن أصابتنا سيئة كانت المشية والخيرة له.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٩ / ٣٠٦، تفسير سورة التوبة.

بعد ذلك تقول الآية الكريمة:

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾[١]، إذ حالت هذه النعمة التي منحها الله للمؤمنين، دون إصابتهم بأي سوء، وصانتهم من كل خطر، وهذا مالا يدرك إلا في ظل الولاية الإلهية للمؤمنين، الذين يتدبر كل أمورهم. ويتكرر نفس المعنى في الآية الكريمة:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ فَعَلَنَا أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا ﴾[٢] إذ نلاحظ الإشارة إلى الولاية الإلهية والتثبيت الإلهي للمؤمنين بكلمة «النعمة»[٣].

---

(١) سورة آل عمران / ١٧٤.

(٢) سورة إبراهيم / ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) قال الطباطبائي: الآيات تدل على إن هذه الأشياء المعدودة نعما، إنما تكون نعمة إذا وافقت الغرض الإلهي من خلقتها لأجل الإنسان، فإنها إنما خلقت لتكون إمدادا إلهيا للإنسان يتصرف فيها في سبيل سعادته الحقيقية، وهي القرب منه سبحانه بالعبودية والخضوع للربوبية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات/٥٦.

وقال الطباطبائي أيضا: فالأشياء في نفسها، عزل، وإنما هي نعمة لاشتمالها على روح العبودية، ودخولها من حيث التصرف المذكور تحت ولاية الله التي هي تدبير الربوبية لشؤون العبد، ولازمه أن النعمة بالحقيقة هي الولاية الإلهية، وأن الشيء إنما يصير نعمة إذا كان مشتملا على شيء منها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ ﴾ سورة البقرة/ ٢٥٧.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٥/ ١٨٠ـ ١٨١، تفسير سورة المائدة.

وفي آية أخرى يخبر الباري بمآل[1] المطيعين لأوامره، حيث يحشرهم مع الذين أنعمَ عليهم:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2].

فالشخص المطيع لا يمتلك إرادة فعل شيء، خارج إرادة المطاع، وفي النتيجة، يقوم المطاع بالتحكم في إرادة وأفعال المطيع، وينوب عنه في كل ذلك، وعلى هذا يكون المطاع ولياً للمطيع[3]. كما أن هذا المطيع الخاضع للإرادة الكاملة

---

(١) آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع.

أَوَلْ إليه الشيء: رجعه.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٣٢، مادة «أول».

(٢) سورة النساء / ٦٩.

(٣) قال السبزواري: المطيع علمه وإرادته ومشيته وقدرته وأفعاله متلاشية في صفة المطاع وفعله ولم يبق لنفسه شيئا من ذلك.

شرح الأسماء الحسنى، السبزواري: ١/ ٢٨٤.

قال الطباطبائي: يعد المطيع عبدا للمطاع لأنه بإطاعته يتبع إرادته إرادة المطاع فهو مملوكه المحروم من حرية الإرادة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٦ / ٣٦١، تفسير سورة المائدة، الآيات (١١٦ ــ ١٢٠) هل يعد المطيع عبدا للمطاع (بحث قرآني).

وقال الطباطبائي أيضا: فإن المطيع يجعل إرادته وعمله تبعا لإرادة المطاع، فتقوم إرادة المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلقا لإرادة المطاع صادرا منها اعتبارا.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩/ ٣٠٦، تفسير سورة التغابن.

للمطاع، يكون ولياً لمن أطاعهُ وسلم أمره إليه، لأنه سيكون في النتيجة قد أطاع المطاع الأول. ولهذا نرى الباري عز وجل جعل بعض أوليائه، أولياء لآخرين:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١] وهذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٢]. وبالتأكيد ليس المقصود بالولاية هنا، الولاء القلبي والعاطفي، بسبب وجود كلمة «إنما»، وكذلك وجود عبارة «وليكم الله...» فالآية إذن تقوم بالتبيين[٣] خلافاً للآيات:

---

(١) سورة المائدة / ٥٥.

(٢) قال فرات: حدثني الحسين بن سعيد عن جعفر عليه السلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ سورة المائدة/ ٥٥، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

تفسير فرات، فرات الكوفي: ١٢٥، تفسير سورة المائدة / ح ١٣٧ ـ ١٧.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ...فهل فيكم أحد أتى الزكاة وهو راكع فنزلت فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ سورة المائدة/٥٥، غيري قالوا: لا... الحديث.

إرشاد القلوب، الديلمي: ٢/٢٦٠ـ٢٦١، في فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام.

أخبرنا مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ سورة المائدة / ٥٥، قال: نزلت في علي عليه السلام.

بناء المقالة الفاطمية، أحمد بن طاووس: ٢٦٩.

(٣) بان الشيء يبين بيانا: اتضح، فهو بين، وكذا أبان الشيء فهو مبين، وأبنته أنا، أي: أوضحته. مختار الصحاح، الرازي: ٤٤، مادة «بين».

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[١]،
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٢].

ومن هذه الآيات، ندرك لماذا يلحق الله المطيعين، بأوليائه، فهو ولي كل هؤلاء، وبعض أوليائه المقربين أولياء آخرين أقل مرتبة، وليس على أحد من هؤلاء، خوف ولا هم يحزنون[٣]، بل أن الجميع يدخلون الجنة ويسعدون بصحبة الصالحين.

وهناك الكثير من الأخبار والروايات التي تؤكد هذا المعنى فقد ورد عن سدير الصيرفي[٤]. أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هل يكره المؤمن أن تقبض روحه؟ فيجيبه الإمام عليه السلام بالنفي، ويقول له:

أن ملك الموت يأتي إلى الإنسان ليقبض روحه، فيبدي هذا الإنسان امتعاضاً[٥] في البداية، ثم يطمئنه ملك الموت ويقسم له بالله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة المائدة / ٥٦.

(٢) سورة التوبة / ٧١.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة / ٦٢.

(٤) قال الشيخ في رجاله: سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، يكنى أبا الفضل، من الكوفة، مولى.
رجال الشيخ، الشيخ الطوسي: ١١٤، باب السين / الرقم٤.
سدير بن حكيم، بالفتح، أبو الفضل: ممدوح.
رجال ابن داود، ابن داود: ١٦٦، باب السين المهملة / الرقم ٦٦٢.

(٥) معض من ذلك الأمر: يمعض معضا ومعضا وامتعض من: غضب وشق عليه وأوجعه.
قال ثعلب: معض معضا: غضب.
لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ٢٣٤، مادة «معض».

بالرسالة، أنه أرحم به من أبيه، ثم يطلب منه أن يفتح عينيه وينظر، فيفعل الرجل، فإذا به يرى أمامه الرسول وأمير المؤمنين والحسن والحسين وأبناؤهم المعصومين، فيعرّفهم ملك الموت للإنسان ويخبره بأنه سيكون جليسهم ثم يسمع الرجل منادياً من جانب الحق أن ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾[١] بمحمد وأهل بيته[٢]، ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴾[٣] مشمولة بولاية الأئمة مسرورة بها، ومرضية من قبل الباري عز وجل، فادخلي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي أعددتُها.

---

(١) سورة الفجر / ٢٧.

(٢) عن محمد بن سليمان الديلمي قال حدثنا أبي قال سمعت الإفريقي يقول: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المؤمن أيستكره على قبض روحه قال: لا والله قلت وكيف ذاك قال: لأنه إذا حضره ملك الموت عليه السلام جزع فيقول له ملك الموت: لا تجزع فوالله لأنا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك افتح عينيك فانظر قال ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة من بعدهم وفاطمة عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام قال: فينظر إليهم فيستبشر بهم فما رأيت شخصته تلك قلت بلى قال: فإنما ينظر إليهم قال قلت جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر قال: ويحك إن الكافر يشخص منقلبا إلى خلفه لأن ملك الموت إنما يأتيه ليحمله من خلفه والمؤمن ينظر أمامه وينادي روحه مناد من قبل رب العزة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ إلى محمد وآله ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي فيقول ملك الموت: إني قد أمرت أن أخيرك الرجوع إلى الدنيا والمضي قال: فليس شيء أحب إليه من انسلال روحه.

تفسير فرات، فرات الكوفي: ٥٥٤ ـ ٥٥٥، تفسير سورة الفجر / ح ٧٠٩. وأنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ١٢٧، كتاب الجنائز، باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه/ ح٢.

(٣) سورة الفجر / ٢٨.

هنا لن يبقى لهذا الإنسان المؤمن ما يتعلق به، ويصبح همه الوحيد، أن يتعجل الموت[(١)].

وينقل عبد الرحيم الأقصر[(٢)] عن الإمام الباقر أن الروح عندما تصل إلى حلقوم[(٣)] الإنسان حين الوفاة، ينزل عليه ملك الموت ويسأله عن رغباته ويضمن له تحقيق ما يريد، وإبعاد ما يكره، ثم يفتح له باباً على منزله في الجنة، ويطلب منه أن ينظر إلى داخله، ليرى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بانتظاره[(٤)]. وهذه الروايات هي تجسيد لقول الباري عز وجل:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[(٥)].

---

(١) أنظر: تفسير فرات، فرات الكوفي: ٥٥٣ ـ ٥٥٤، تفسير سورة الفجر / ح ٧٠٨.

(٢) عبد الرحيم بن روح القصير، الأسدي بالولاء، الكوفي. محدث إمامي حسن الحال، جليل القدر، روى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً. روى عنه إسحاق بن عمال، وزياد القندي، وعبد الله ابن مسكان وغيرهم. توفي بعد سنة ١٤٨هـ.

الفائق في رواة، عبد الحسين الشبستري: ٢٢٧/٢، حرف العين / الرقم ١٨١٧.

(٣) قال أبن سيده: الحلقوم: مجرى النفس والسعال من الجوف، وهو إطباق غراضيف، ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد، وطرفه الأسفل في الرئة وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت، وجمعه حلاقم وحلاقيم.

في التهذيب: قال في الحلقوم والحنجور: مخرج النفس لا يجري فيه الطعام والشراب يقال له المرئ.

لسان العرب، ابن منظور: ١٢ / ١٥٠، مادة «حلقم».

(٤) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢ /١٢٤ ـ ١٢٥، تفسير سورة يونس / ح٣٢.

(٥) سورة يونس / ٦٣ـ ٦٤.

في الحوار الذي جرى بين حارث الهمداني[1] وأمير المؤمنين عليه السلام والذي ينقله أصبغ بن نباتة[2]، جاء أن أمير المؤمنين بشر حارث بأنه سيرى الإمام، عند الموت، على الحوض وفي المقاسمة، فيسأله حارث عن المقاسمة، ويجيبه الإمام بأنه يتقاسم مع نار جهنم الوافدين، فيقول لها، هذا حارث من أصحابي فاتركيه، وذلك من أعدائي فالتهميه[3].

وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة[4]، رواه العديد من الرواة

---

(١) الحارث الأعور: صاحب أمير المؤمنين عليه السلام: وهو الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمداني، كان احد الفقهاء، له قولاً في الفتيا، وكان صاحب علي عليه السلام، وإليه تنسب الشيعة الخطائب.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٤٢ ـ ٤٣، الحارث الأعور ونسبه.

الحارث الهمداني: من أصحاب علي عليه السلام.

نقد الرجال، التفرشي: ١/ ٣٩٣ / الرقم ٥٠ الحارث الهمداني.

(٢) قال النجاشي في الأصبغ: كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر بعده. روى عنه عهد الأشتر ووصيته إلى محمد ابنه.

رجال النجاشي، النجاشي: ٨، ذكر الطبقة الأولى/ الرقم ٥ الأصبغ بن نباتة المجاشعي.

الأصبغ بن نباتة: كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وهو مشكور.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٢٤ القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل الأول في الهمزة، الباب الثالث عشر في الآحاد/ الرقم ٩ الأصبغ بن نباتة.

(٣) أنظر: كتاب الأمالي، الشيخ المفيد: ٣ ـ ٧، المجلس الأول مجلس يوم السبت/ ح ٣.

(٤) قال الشهيد الثاني: المشهور: وهو ما شاع عند أهل الحديث، بان نقله رواة كثيرون، أو عندهم وعند غيرهم، كحديث: «إنما الأعمال بالنيات»، أو عند غيرهم خاصة، وهو كثير.

الرعاية لحال البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني: ٣٢، الباب الأول في أقسام الحديث.

←

الثقاة[١]، وأيّده عدد من الأئمة[٢].

قال ابن عابدين: الحديث المشهور: هو الذي يكون في القرن الأول أحادى ثم انتشر فصار في القرن الثاني ومن بعدهم متواترا.

تكملة حاشية رد المختار، ابن عابدين: ١/ ٣٧٣، كتاب الفرائض.

قال احمد فتح الله: الحديث المشهور: الذي كثرت رواته على وجه لا يبلغ حد التواتر وقد يطلق عليه مستفيض.

معجم الفاظ الفقه الجعفري، د أحمد فتح الله: ١٥٦، باب الحاء.

(١) قال أكرم العاملي في الدلالة على الراوي الثقة: الكلام المهم في هذا اللفظ: هو في دلالته على العناصر الثلاثة المعتبرة في الخبر الصحيح وهي العدالة، الإمامية، والضبط.

وقد ذكر العناصر الثلاثة وهي:

١ ـ كون الراوي ضابطا: لفظ الثقة: يفيد دلالته على الضبط.

٢ ـ كون الراوي إماميا.

قال البهبهاني: ان «ثقة»: تعني الإمامي، وان كانوا يطلقون على غير الإمامي انه ثقة، لكن مع القرينة.

أ ـ قول النجاشي في محمد بن عبدالله بن غالب: «ثقة في الرواية على مذهب الواقفة».

٣ ـ كون الراوي عادلا: تقدم للعدالة اطلاقين:

الإطلاق الأول: العدالة بالمعنى الخاص، وهي لا تشمل غير الإمامي.

الإطلاق الثاني: العدالة بمعنى العام: وهي تشمل كل مسلم تحقق فيه معنى العدالة على حسب مذهبه. ودلالته على العادل غير الإمامي لا ينفع.

دروس في علم الدراية، أكرم العاملي: ١٢٩ ـ ١٣٤، الفصل السابع الألفاظ المستعملة في التعديل والجرح، القسم الأول: ألفاظ التعديل والمدح، ٢ ثقة.

(٢) أنظر: كتاب الأمالي، المفيد: ٤ ـ ٦، المجلس الأول / ح٣. أمالي الطوسي، الطوسي:

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه أن أحداً من محبيه لا يموت إلا ويراه الإمام في المكان الذي يحب، وأن أحداً من أعدائه لا يموت إلا ويراه الإمام في المكان الذي يكرهه هذا الإنسان[1].

كما يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الإنسان عندما تحضره الوفاة، يوكل إبليس عدداً من شياطينه المساعدين له، لزعزعة[2] إيمان ذلك الإنسان ومحاولة دفعه نحو الكفر، لكن هؤلاء لا يتمكّنون من المؤمن الحقيقي، ومن هنا يقوم الناس بتلقين المحتضر شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، حتى يغادر الدنيا[3].

ويمكن إدراك مضمون الرواية السالفة من خلال استعراض الآيات التالية:

٦٢٥ـ٦٢٧، المجلس ٣٠ / ح٥. بشارة المصطفى، عماد الدين الطبري: ٤ ـ ٥. كشف الغمة، الأربلي: ١/ ٤١١ ـ٣١٣، ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. إرشاد القلوب، الديلمي: ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧، في فضائله من طريق أهل البيت.

(١) عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ مِيثَمٍ عَنْ عَبَايَةَ الأَسَدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيّاً عليه السلام يَقُولُ: وَاللَّهِ لا يُبْغِضُنِي عَبْدٌ أَبَداً يَمُوتُ عَلَى بُغْضِي إلا رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يَكْرَهُ وَلا يُحِبُّنِي عَبْدٌ أَبَداً فَيَمُوتُ عَلَى حُبِّي إِلا رَآنِي عِنْدَ مَوْتِهِ حَيْثُ يُحِبُّ فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام نَعَمْ ورَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْيَمِينِ.

الكافي، الكليني: ٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر/ ح٥.

(٢) الزعزعة: تحريك الشيء لتقلعه وتزيله.

كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ٧٧، مادة «زع».

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ١٢٣، كتاب الجنائز، باب تلقين الميت / ح ٦.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١] و﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] ويبدو من هذه الآية أن قوليّ ﴿أَكْفُرْ﴾[٣] و﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ ﴾[٤] قد حدثا في زمان واحد، وهما من نوع واحد، وبما أن الآية تتحدث عن خطاب فلا يمكن أن يكون كلا القولين، لسان حال الشيطان أبداً[٥].

وينقل العياشي[٦] في تفسير، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول فيها أن

---

(١) سورة إبراهيم / ٢٧.

(٢) سورة الحشر / ١٦.

(٣) سورة الحشر / ١٦.

(٤) سورة الحشر / ١٦.

(٥) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾ سورة الحشر / ١٦، ضرب الله هذه القصة لبني النضير، حين اغتروا بالمنافقين، ثم تبرأوا منهم عند الشدة وأسلموهم.

مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٤٣٨، تفسير سورة الشورى.

أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود في قوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ سورة الحشر / ١٦، قال ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله كمثل الشيطان اذ قال للإنسان أكفر.

فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٢٠٦، تفسير سورة الحشر.

(٦) محمد بن مسعود العياشي: من أهل سمرقند. وقيل: أنه من بني تميم. يكنى أبا النضر. جليل ←

الشيطان يحيط بأصحابنا حين الوفاة، من اليمين والشمال، ليحرفهم عن إيمانهم ونهجهم لكن الله يمنعه من ذلك، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[١][٢].

وهناك الكثير من الروايات المنقولة عن الأئمة في هذا المجال[٣].

ما تقدم من مفاهيم، يمكن استنباطها من القرآن والسنة ـ وسنتحدث في فصل لاحق ـ عن البراهين التي تثبت تجرّد النفس[٤].

القدر، واسع الأخبار بصير بالرواية مطلع عليها. له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف. منها كتاب التفسير، وكتاب الصلاة.

الفهرست، الطوسي: ١٣٦ ـ ١٣٧، باب الميم / الرقم ٥٩٣ محمد بن مسعود العياشي.

(١) سورة إبراهيم / ٢٧.

(٢) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٢٢٥، تفسير سورة إبراهيم / ح ١٦.

(٣) أنظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥، باب غسل الميت/ ح٣٦٠. كتاب الأمالي، الطوسي: ٣٧٧، المجلس١٣ /ح ٥٨. تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني: ٢٤٧، تفسير سورة إبراهيم. بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ١٨٨ـ ١٨٩، أبواب الموت وما يلحقه إلى وقت البعث والنشور، باب ٧ ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة/ ح٣١.

(٤) قال النراقي في تجرد النفس:

الأول: عدم كونها جسما وجسمانية، وذكر عدة وجوه تدل عليها.

الثاني: أعني بقاءها بعد المفارقة عن البدن، فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها: إن المجرد لا يتطرق إليه الفساد، لأنه حقيقة والحقيقة لا تبيد كما صرح به المعلم الأول وغيره.

وعدم فنائها[١] بالموت، وانفصالها عن الجسد[٢].

جامع السعادات، النراقي: ١/ ٣٧ ـ ٤٠، الباب الأول في المقدمات، تجرد النفس وبقائها.

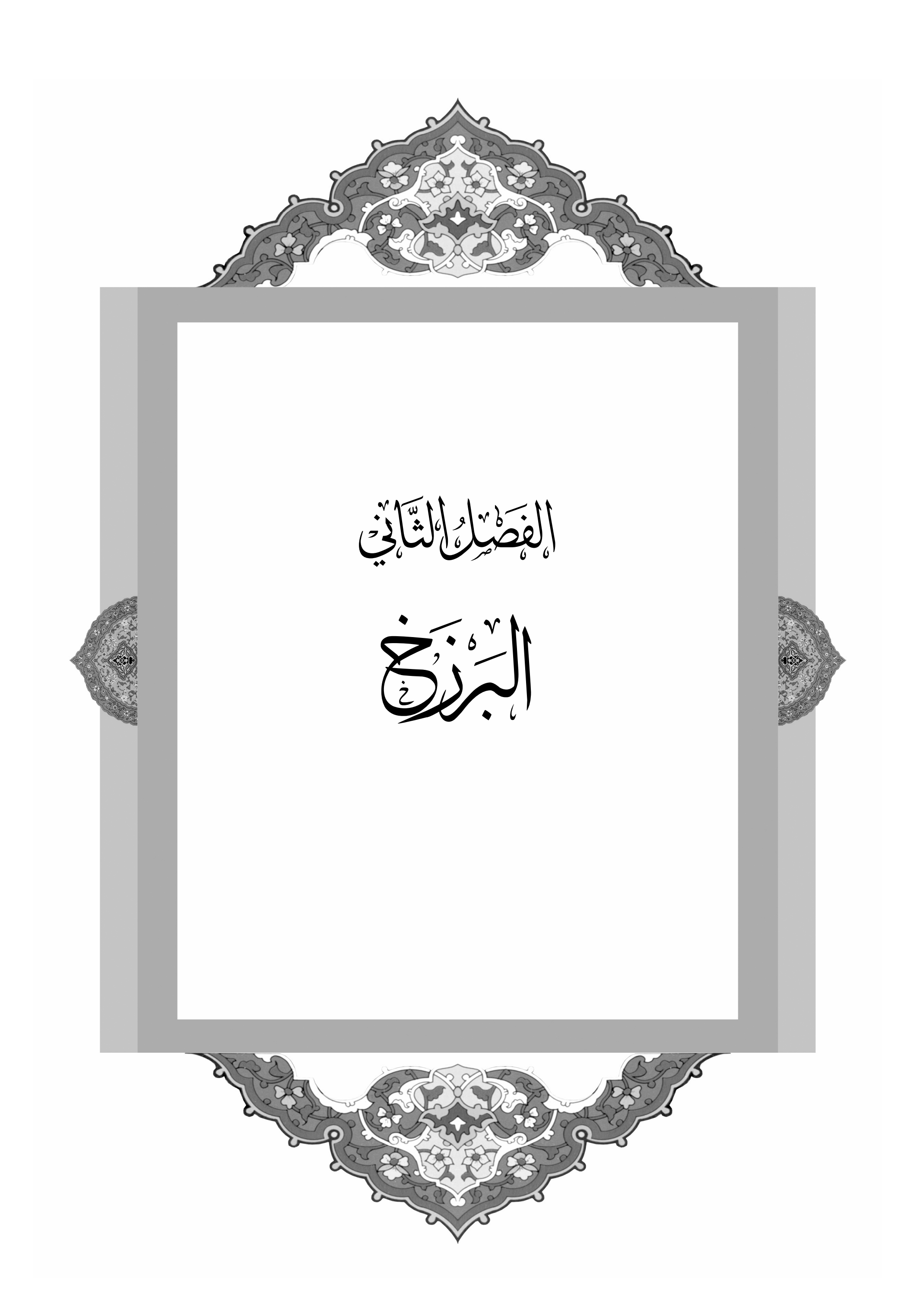
قال الطباطبائي: تجرد النفس، بمعنى كونها أمرا وراء البدن وحكمها غير حكم البدن وسائر التركيبات الجسمية، لها نحو اتحاد بالبدن تدبرها بالشعور والإرادة وسائر الصفات الإدراكية. أن الإنسان بشخصه ليس بالبدن، لا يموت بموت البدن، ولا يفنى بفنائه، وانحلال تركيبه وتبدد أجزائه، وأنه يبقى بعد فناء البدن في عيش هنيء دائم، ونعيم مقيم، أو في شقاء لازم، وعذاب أليم، وأن سعادته في هذه العيشة، وشقائه فيها مرتبطة بسنخ ملكاته وأعماله، لا بالجهات الجسمانية والأحكام الاجتماعية.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ٣٥٠، تفسير سورة البقرة، تجرد النفس.

(١) الفناء: نقيض البقاء.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٣٧٦، مادة «فني».

(٢) أنظر: الفصل الثاني من كتابنا هذا، البرزخ.



الفَصلُ الثّاني

البَرزَخ

البرزخ[1]

هناك عالمان يقعان بين عالم الجسم[2]،

(١) البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة.

البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق.

يقال البرزخ: فسحة ما بين الجنة والنار.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٣٣٨، مادة «برزخ».

البرزخ: مابين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٤١٩، مادة «برزخ».

وأما تعريف البرزخ اصطلاحاً قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت اليه، وهو الخيال المنفصل.

وقال أيضا، البرزخ: هو الحائل بين الشيئين. ويعبر به عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة ،أعني الدنيا والآخرة.

التعريفات، الجرجاني: ٣١، الباء، مادة «برزخ».

(٢) قال المازندراني: عالم الخلق: وهو عالم الجسم والجسمانيات.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ٣/ ١٢٤.

قال اليزدي: الجسم: جوهر ذو امتداد في ثلاث جهات، ولازم ذلك أنه:

أولاً: قابل للتقسيم إلى ما لا نهاية في كل واحدة من الجهات الثلاث. ثانياً: هو ذو مكان. ثالثاً: قابل للأشارة الحسية. رابعاً: له امتداد زماني.

المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، اليزدي: ٢/ ١٢٩، القسم الخامس المجرد والمادي، الدرس الحادي والأربعون المجرد المادي، خصائص الجسمانيات والمجردات.

والجسمانيات[١]، وعالم أسماء الله[٢]، وهما عالم العقل[٣] وعالم المثال[٤].

(١) قال اليزدي: الجسماني: عبارة عن الموجود الذي يكون تابعاً لوجود الأجسام، وهو لا يتحقق ولا يبقى مستقلاً عنها، وأهم ميزة له أنه يقبل الانقسام تبعاً للجسم.
المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، اليزدي: ٢/ ١٢٩، القسم الخامس المجرد والمادي، الدرس الحادي والأربعون المجرد المادي، خصائص الجسمانيات والمجردات.

(٢) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ سورة طه / ٨، أي: الأسماء الدالة على توحيده، وعلى إنعامه على العباد، وعلى المعاني الحسنة.
مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٨، تفسير سورة طه.
قال السبزواري: سمى العرفاء، أسماء الله أرباب الأنواع.
شرح الأسماء الحسنى، السبزواري: ١/ ٢٦٤.

(٣) قال أفلاطون: عالم العقل: فيه المثل العقلية والصور الروحانية.
الملل والنحل، الشهرستاني: ٢/ ٨٩، الباب الثاني الفلاسفة، الفصل الأول الحكماء السبعة، ٧ رأي أفلاطون الإلهي.
قال السبزواري: عالم العقل: هو دار اليقين.
شرح الأسماء الحسنى، السبزواري: ١/ ١٣٢.
قال الطباطبائي: عالم العقل ثالث العوالم: وهو فوق عالم المثال وجودا، وفيه حقائق الأشياء وكلياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة وله نسبة السببية لما في عالم المثال.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٢٧١، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقة.

(٤) قال المجلسي: عالم المثال: عالم متوسط بين عالمي الحس والعقل، له صور جسمانية موجودة، وهي قائمة بذاتها معلقة لا في محل ولا في مكان، لها مظاهر كالمرآة في الصور المرئية المرآتية والخيال في الصور الخيالية.
إن أشخاص هذا العالم صور مثالية، وأشباح برزخية، مجردة عن الطائع والمواد نورانية.
قال القيصري في شرح الفصوص: العالم المثالي: هو عالم روحاني من جوهر نوراني شبيه ←

وكل موجود، لابد وأن يعود في النهاية إلى نقطة بدايته. وفي بحث لنا، أثبتنا أن لجميع هذه العوالم؛ ابتداء من عالم الجسمانيات وحتى عالم أسماء الله الحسنى «أساس العالم كله»، مراتب متباينة، على أساس نقص أو كمال كل منها، لكنها جميعاً، تملك وجوداً متساوياً في النفس. ومعنى ذلك أن صاحب المرتبة العليا ينزل إلى المرتبة الواطئة، والوطئة تكون كالمرآة، تعكس ما يسقط عليها من أضواء وألوان، وفي النتيجة فإن ما يظهر من عالي المرتبة، هو ذلك المقدارالذي تتمكن هذه المرآة، من عكسه، وهكذا فإن طبيعة وكيفية العالي، تظل مرهونة[1] بنقص المرآة أو كمالها[2].

→

بالجوهر الجسماني في كونه محسوسا مقداريا، وبالجوهر المجرد العقلي في كونه نورانيا، وليس بجسم مركب مادي ولا جوهر مجرد عقلي.

بحار الأنوار، المجلسي: ٢٦٦/٥٨ ــ ٢٦٧، كتاب السماء والعالم، باب ٤٦ قوى النفس ومشاعرها من الحواس الظاهرة والباطنة وسائر القوى البدنية، تذنيب.

قال الطباطبائي: عالم المثال: ثاني العوالم، وهو فوق عالم الطبيعة وجودا، وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود، وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٢٧١، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقة.

(١) قال ابن عرفة: الراهن: الشيء الملزوم، يقال هذا راهن لك أي: دائم محبوس عليك، ونفس رهينة أي: محبوسة بكسبها.

الأمور مرهونة بأوقاتها، أي: مكفولة.

تاج العروس، الزبيدي: ٩/ ٢٢٣.

(٢) قال الطباطبائي: إن العوالم ثلاثة:

←

كما أن من الأمور التي أثبتناها في بحوث أخرى، هناك عالم، كالبرزخ[١]،

ـ أولها: عالم الطبيعة: وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه والأشياء الموجودة فيها صور مادية تجرى على نظام الحركة والسكون والتغير والتبدل.

ـ ثانيها: عالم المثال: وهو فوق عالم الطبيعة وجودا وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية واليها تعود، وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

ـ ثالثها: عالم العقل: وهو فوق عالم المثال وجودا، وفيه حقائق الأشياء وكلياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة، وله نسبة السببية لما في عالم المثال. والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانخة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل فإذا نام الإنسان وتعطل الحواس انقطعت النفس طبعا عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان. فان كانت النفس كاملة متمكنة من إدراك المجردات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية. وان لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٢٧١، تفسير سورة يوسف، المنامات الحقة.

(١) البرزخ: ما بين كل شيئين. والميت في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة.

البرزخ: أمد ما بين الدنيا والآخرة بعد فناء الخلق.

يقال البرزخ: فسحة ما بين الجنة والنار.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤ / ٣٣٨، مادة «برزخ».

البرزخ: مابين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ.

الصحاح، الجوهري: ١ / ٤١٩، مادة «برزخ».

وأما تعريف البرزخ اصطلاحا قال الجرجاني: العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية. والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصلت اليه، وهو الخيال المنفصل.

يقع بين العقل المجرد[1]، والمجردات المادية[2]، وبناءً على هذا فإنه عالم موجود،

→

قال أيضا، البرزخ: هو الحائل بين الشيئين. ويعبر به عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة.

التعريفات، الجرجاني: ٣١، باب الباء، البرزخ.

قال العلامة الطباطبائي في كتابه بداية الحكمة: المثال، ويسمى: «البرزخ» لتوسطه بين العقل المجرد والجوهر المادي، و«الخيال المنفصل» لاستقلاله عن الخيال الحيواني المتصل به. وهو مرتبة من الوجود مفارق للمادة دون أثارها، وفيه صور جوهرية جزئية صادره من آخر العقول الطولية، وهو العقل الفعال عند المشائين، أو من العقول العرضية على قول الاشراقيين، وهي متكثرة حسب تكثر الجهات في العقل المفيض له، متمثلة لغيرها بهيئات مختلفة، من غير أن ينثلم باختلاف الهيئات في كل واحد منها وحدته الشخصية.

بداية الحكمة، الطباطبائي: ٢٢٠ ـ ٢٢١، المرحلة الثانية عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى من اثبات ذاته وصفاته وأفعاله، الفصل الثالث عشر في المثال.

(١) قال محمد جواد البلاغي: العقل المجرد، هو: ممثل القضايا العقلية الكلية الفطرية البديهية. بها يسير سيره وعليها تبتني أدلته وبراهينه. وهي الحجر الأساسي لبناء العلوم واستنتاج كلياتها النظرية المدونة فيه وتمشي أحكامها للموارد الجزئية في مقام استثمار العلوم. ولا يجدي الحس في أدلة العلم شيئا لولا هذه القضايا التي تمتاز بها فطرة العقل المجرد المشرف على الحقائق بنورانيته.

الرحلة المدرسية، البلاغي: ٣ / ٤٢٥، كرامة العقل وتسويلات الإلحاد.

(٢) المجرد: ما لا يكون محل لجوهر، ولا حالا في جوهر آخر ولا مركبا منهما.

التعريفات، الجرجاني: ١١٣، باب الميم، المجرد.

قال المازندراني: عالم المجردات، يسمى: العرش العقلاني والعرش الروحاني.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ١ / ٢٠٥.

وقال ايضا، الملكوت الاعلى: وهو عالم المجردات الصرفة.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ٦ / ٧٦.

لكنه ليس مادة[١]، رغم أنه يحمل بعض صفات المادة، مثل المقدار والشكل والعرض الفعلي.

بهذه المقدمة يمكن توضيح حال الإنسان حين انتقاله من الدنيا إلى الآخرة في مرحلة ما بعد الموت.

وهنا أرى من الضرورة أن يمعن القراء وبدقة بجملة نقاط:

أولاً: تصور معنى المادة.

ثانياً: المادة جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام.

ثالثاً: وجود المادة في الأجسام يفسر التغييرات والتحولات التي تطرأ على الجسم.

رابعاً: المادة ليست جسماً، وليست محسوسة.

---

(١) المادة: كل ما يشغل حيز من الفراغ، وله وزن، ومرونة، وعزم وقصور.
ينص قانون بقاء المادة على أن: المادة لا تخلق ولا تنعدم، بل تتحول من صورة إلى أخرى.
تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى جزيئات.
الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، صلاواتي: ٧/ ٣٠٨١، حرف الميم، مادة.
المادة في اللغة: كل شيء يكون مددا لغيره، ومادة الشيء: أصوله وعناصره التي يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء، ومادة البحث.
المادة اصطلاحاً: هي الجسم الطبيعي الذي نتناوله على حاله أو نحوله إلى شيء آخر لغاية معينة.
المعجم الفلسفي، صليبا: ٢ / ٣٠٦، باب الميم، المادة.
قال العلامة الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا ضمن هذا الفصل، البرزخ.
المادة: جوهر، يمكن لها أن تكتسب صفات الأجسام.
المادة ليست جسما، وليست محسوسة.

ومـن الخطـأ الاعتقـاد أن المـادة هـي ذات الجـسم الـذي نـراه في الموجـودات المختلفة. فهذا الاعتقاد الخاطئ وقع فيه بعض العلماء السطحيين[١]، مما أوقعهـم في عدم إدراك ما قدمه المتألهون[٢] وأهل البرهان[٣]، بالشكل الصحيح.

---

(١) العلماء السطحيون: أرباب الثقافة الدينية الضعيفة.

فتح المعين، السقاف: ٨.

(٢) التأله: التنسك والتعبد.

الصحاح، الجوهري: ٦/ ٢٢٢٤، مادة «أله».

الإلهي: هو المنسوب إلى الله، أو الموحى به من الله.

المعجم الفلسفي، صليبا: ١/ ١٢٩، باب الألف، الله.

قال الأعلمي: يقال الإلهي: لمن علم بأحوال ما يفتقر في الوجود الخارجي، والتعقل إلى مادة كالإله والعقول العشرة، وهو العلم الأعلى المنسوب إلى أفلاطون.

وسمي بالإلهي تسمية للشيء باسم أشرف أجزائه: أي أشرف أجزاء العلم.

يقال: إنما سمي به ونسب بالإله لكونه أشرف أفراد موضوع الحكمة الإلهية.

دائرة المعارف الشيعية العامة، الأعلمي: ٤/ ٢٣٢، الإلهي.

(٣) قال صدر المتألهين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ سورة الحاقة /٢٥ـ ٢٦، أهل البرهان واليقين، وهم السابقون السابقون، أولئك المقربون، درجتهم في أعلى عليين، وكتابهم في صحف مكرمة مرفوعه عن النسخ والتغيير، لا يمسه الإ المطهرون عن أدناس الطبيعة.

تفسير القرآن الكريم، الملا صدرا: ٧/ ٤٣٩، تفسير سورة الزلزلة.

قال المراغي: وأولو العلم هم أهل البرهان القادرون على الإقناع، وهم يوجدون في هذه الأمة وفي جميع الأمم السالفة، بالقسط: أي بالعدل في الدين والشريعة وفي الكون والطبيعة.

تفسير المراغي، المراغي: ٣/ ١١٧، تفسير سورة آل عمران.

فعندما قلنا أن ليس للبرزخ مادة، أو أن لذّات البرزخ خيالية أو لذّات عقلانية فقط، تصوروا أننا نعتبرها وهماً وسراباً ليس أكثر، وهذا الاعتقاد باطل في حد ذاته، وفي نفس الوقت، انحراف في إدراك المقصود.

وعلى أي حال، فإن البرزخ، هو كما رأيتموه، وكما يشير إليه الكتاب والسنة، ولأن الأخبار والروايات المتوفرة، تشتمل في الغالب على الآيات الواردة في هذا المجال[1]، لذلك سنركز على استعراض الأخبار وشرحها وتأتي

---

(١) وردت عدة آيات في القرآن الكريم تذكر البرزخ وكذلك عدة أحاديث تتضمن آيات البرزخ، نذكر منها الآتي:

سورة المؤمنون / ١٠٠، ونصها: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.

سورة الفرقان/ ٥٣، ونصها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾.

سورة الرحمن / ٢٠، ونصها: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون/ ١٠٠، البرزخ: هو أمر بين أمرين وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.

تفسير القمي، القمي: ٢ / ٩٣ ـ ٩٤، تفسير سورة المؤمنون.

قال الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون/ ١٠٠، قال: هو القبر وإن لهم فيه لمعيشة ضنكا والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

الخصال، الصدوق: ١/ ١٢٠، باب الثلاثة، أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات / قطعة من الحديث ١٠٨.

الآيات المطلوبة خلالها. فقد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه يستند في رده على الذين ينكرون وجود الثواب والعقاب بعد الموت وقبل القيامة، إلى قول الباري عز وجل

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1] والمقصود بذلك، تلك السماوات والأرض الموجودة قبل القيامة، وحينما تقوم الساعة، تتبدل إلى سماوات وأرض أخرى[2]. ومثل ذلك قول الباري عزّوجل ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3] حيث المقصود بالبرزخ هو الثواب والعقاب في مرحلة ما بين الدنيا والآخرة[4]، وكما نرى في الآية ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ

---

(١) سورة هود / ١٠٥ ـ ١٠٨.

(٢) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٦/ ٢٨٦، كتاب العدل، باب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله/ ح٧٦.

(٣) سورة المؤمنون / ١٠٠.

(٤) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون / ١٠٠، قال: البرزخ هو أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة وهو رد على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل القيامة.

تفسير القمي، القمي: ٢ / ٩٣ ـ ٩٤، تفسير سورة المؤمنون.

ٱلسَّاعَةُ ﴾[١] فإن القيامة، مكان الخلود، وليس فيها ليل أو نهار، فهما من صفات الحياة في الدنيا[٢].

وحول أهل الجنة يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٣] ومن الواضح أن «الصبح»[٤] و«العشية»[٥] يقصد به الصباح والمساء في الجنة قبل القيامة[٦]،

---

(١) سورة غافر/ ٤٦.

(٢) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ سورة غافر / ٤٦، فالغدو والعشي إنما يكون في الدنيا في دار المشركين، وأما في القيامة فلا يكون غدوا ولا عشيا.

تفسير القمي، القمي: ١/ ١٩.

(٣) سورة مريم / ٦٢.

(٤) الصبح: أول النهار. الصبح: الفجر.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٠٢، مادة «صبح».

قال الطريحي في تفسير قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ سورة الفرقان / ٥، أي: غداء ومساء.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢٣١/١، مادة «بكر».

(٥) قال الأزهري العشي: مابين زوال الشمس وغروبها.

مختار الصحاح، الرازي: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، مادة «عشا».

قال الطريحي في تفسير قوله تعالى: ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ سورة آل عمران / ٤١، العشي: بفتح العين وتشديد الياء: من بعد زوال الشمس إلى غروبها.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ١٨٨، مادة «عشو، ى».

(٦) قال الإمام علي عليه السلام: قال الله تعالى في أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ سورة مريم / ٦٢، والبكرة والعشي إنما يكونان من الليل والنهار في جنة الحياة قبل يوم القيامة. ←

ذلك أن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١].

وفي هذا السياق تأتي الآية:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢].

إن المقصود بالنار في ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾[٣] هي نار الآخرة، لكن الشخص الذي يعرض عليها هو في عالم البرزخ[٤].

بحار الأنوار، المجلسي: ٩٠ / ٨٤، كتاب القرآن، باب ١٢٨ ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصناف آيات القرآن.

(١) سورة الإنسان / ١٣.

(٢) سورة آل عمران / ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) سورة غافر / ٤٦.

(٤) قال أبو عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ سورة غافر/٤٦، ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن نار القيامة لا تكون غدوا وعشيا ثم قال: إن كانوا يعذبون في النار غدوا وعشيا ففيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة.

قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الباب الثاني عشر في قصص موسى وهارون، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ...الآية﴾ سورة غافر/٤٦، أن العرض على النار قبل قيام الساعة التي فيها الإدخال وهو عذاب البرزخ.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧/ ٣٣٥، تفسير سورة غافر.

كما تدل على ذلك نهاية الآية:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[١].

وسيأتي هذا الموضوع في روايات نتطرق إليها فيما بعد. فمثلاً عندما يقال أن باباً تفتح في القبر، على نار جهنم، ليدخل منها بعض لهيب النار[٢]، فإن ذلك يعني أن نار البرزخ هي عينة من نار الآخرة، وعذابه نموذج من عذاب الآخرة[٣]. أما المقصود بالنار في ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾[٤] فهي نار البرزخ[٥]. من هنا تتضح صحة الجمع بين أمرين: دخول الدار، وعرض الإنسان على النار.

---

(١) سورة غافر / ٤٦.

(٢) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَافِراً دَخَلا عَلَيْهِ وأقيم الشيطان... ويُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ويَرَى مَقْعَدَهُ فِيهَا.

الكافي، الكليني: ٣ /٢٣٧، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح٧.

(٣) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ سورة غافر / ٤٦، إن التعذيب في البرزخ ويوم تقوم الساعة بشيء واحد وهو نار الآخرة لكن البرزخيين يعذبون بها من بعيد وأهل الآخرة بدخولها.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧/ ٣٣٥، تفسير سورة المؤمنون.

(٤) سورة هود / ١٠٦.

(٥) قال الجزائري في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ سورة غافر / ٤٦، هذه النار: هي نار البرزخ التي يعذب فيها أرواح الكفار في الدنيا، وهي برهوت واد في حضرموت من بلاد اليمن.

قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون.

ولو دققنا في الآية:

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[١] لرأينا أنها تحمل مدلولات الآية السابقة، فالسحب في الحميم، هو مقدمة للإدخال في النار، وهو ما يقع يوم القيامة[٢].

تجسم الأعمال

ينقل عدد من المفسرين، أمثال العياشي[٣] والقمي[٤] والكليني[٥]

---

(١) سورة غافر/ ٧١ ـ ٧٢.

(٢) قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ سورة يس/ ٨، وعيدا بما سيحلّ بهم يوم القيامة حين يساقون إلى جهنم في الأغلال كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ سورة غافر/٧١ ـ ٧٢، فيكون فعل جَعَلْنا مستقبلا وعبر عنه بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه.

التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٢/ ١٩٩، تفسير سورة يس.

(٣) العياشي: مرت ترجمته سابقا.

(٤) علي بن ابراهيم بن هاشم القمي: أبو الحسن ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع وأكثر وصنف كتبا وأضر في وسط عمره.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ١٠٠، القسم الأول فيمن أعتمد عليه، الفصل الثامن عشر في العين، الباب الأول علي/ الرقم٤٥ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.

(٥) محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني: كان خاله علان الكليني الرازي شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير المعروف، بالكليني يسمى الكافي.

رجال النجاشي، النجاشي: ٣٧٧، باب الميم / الرقم ١٠٢٦.

في«الكافي»[١] والمفيد[٢] في«الأمالي»[٣] عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله أن الإنسان

(١) قال الطهراني في الكافي: هو أقدم الكتب الأربعة الحديثية للمحمدين الثلاثة التي عليها المدار في عمل أصحابنا الإمامية لاحتوائها على عين العبارات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام والمدرجة في الأصول الأربعمائة التي وصلت إليهم وأخرجوا منها الأحاديث، مرتبة على أبواب الأحكام الفقهية والأصولية. وقد أكثر المتأخرون عنهم في شرحها والتعليق عليها متنا وسندا وغير ذلك.

الذريعة، الطهراني: ١٤/ ٢٦.

وقال الطهراني أيضا: هو اجل الكتب الأربعة في الأصول المعتمدة عليه، لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول. لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، ابن أخت علان الكليني، والمتوفى ٣٢٨ مشتمل على أربعة وثلاثين كتابا، وثلاثمائة وستة وعشرين بابا، وأحاديثه حصرت في ستة عشر ألف حديث، الصحيح ٥٠٧٢. الحسن ١٤٤، الموثق ١٧٨، القوي ٣٠٢، الضعيف ٩٤٨٥. ومائة وتسعة وتسعين حديثا أزيد من جميع صحاح الست.

الذريعة، الطهراني: ١٧/ ٢٤٥، حرف الكاف / الرقم ٩٦ الكافي في الحديث.

(٢) الشيخ المفيد: فقيه الطائفة شيخها غير مدافع، أبو عبد الله، يعرف بابن المعلم شيخ متكلمي الإمامية وفقهائها، انتهت رئاستهم إليه في وقته في العلم، فقيه حسن الخاطر دقيق الفطنة حاضر الجواب، وحاله أعظم من الثناء عليه، له قريب من مائتي مصنف مات، قدس الله روحه، ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وكان مولده حادي عشر ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه السيد المرتضى رحمه الله بميدان الأشنان وضاق على الناس مع كبره، ودفن بداره ونقل إلى المشهد الشريف الكاظمي على مشرفه السلام ودفن قريبا من رجلي الجواد عليه السلام إلى جانب شيخه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه.

رجال ابن داود، ابن داود: ٣٣٣ ـ ٣٣٤، باب الميم / الرقم ١٤٦٤ محمد بن محمد بن النعمان.

(٣) أورد الحديث كل من القمي والكليني والطوسي في أماليه وليس المفيد في أماليه.

←

عندما يصبح في آخر يوم من حياته وأول يوم من آخرته، تتجسم أمامه أعماله وأبناؤه وأمواله، فيخاطب ماله ويقول له بأنه جمعه وحرص عليه، فماذا سيعطيه الآن، فيجيب المال أن ليس لصاحبه عنده أكثر من الكفن، ثم يتجه إلى أبنائه فيذكرهم بأنه رعاهم وحماهم، فماذا سيقدمون إليه؟ فيجيبون بأنه يأخذونه إلى القبر ويهيلون التراب عليه، ثم يتجه إلى عمله ويسأله نفس السؤال فيجيب بأنه سيظل معه في القبر ويوم القيامة حتى يعرضوا جميعاً على الخالق عز وجل. فإن كان هذا الإنسان صالحاً من أولياء الله، يتمثل أمامه شخص جميل الوجه طيب الرائحة حلو الهندام[1] فيبشره بـ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ

→

والشيخ الطوسي: هو أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقة عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله. له كتب، منها كتاب تهذيب الأحكام وهو كتاب كبير، وكتاب الاستبصار.

رجال النجاشي، النجاشي: ٤٠٣، باب الميم / الرقم ١٠٦٨.

محمد بن الحسن بن علي الطوسي: أبو جعفر شيخ الإمامية قدس الله روحه، رئيس الطائفة جليل القدر عظيم المنزلة ثقة عين صدوق عارف بالأخبار والرجال الفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام.

ولد قدس الله روحه في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

توفي رضي الله عنه ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره.

رجال العلامة، العلامة: ١٤٨، القسم الأول، الفصل الثالث والعشرون في الميم، الباب الأول محمد/ الرقم ٤٦.

(١) يقال: هذا شيء مهندم، أي: مصلح على مقدار. وهو معرب، وأصله بالفارسية «أندام».

الصحاح، الجوهري: ٥ / ٢٠٥٦، مادة «هدم».

←

وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[(١)] وأنه سيدخل أفضل منزل. فيسأل الإنسان الصالح: من أنت، فيجيبه: أنا عملك الصالح، فاستعد للجنة، ثم يطلب هذا الشخص من المغسل والحامل أن يسرعوا في عملهم. وعندما يرد القبر يأتيه الملكان، شعرهما طويل وأسنانهما تصل إلى الأرض، صوتهما كالرعد، وعيونهما كالبرق، يسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيجيب: الله ربي. ومحمد ﷺ نبيي والإسلام ديني. بعدها، يدعوان له، بأن يثبته الله فيما يحب، وهذا هو مضمون الآية:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[(٢)] ثم يقوم الملكان بتوسيع القبر ويفتحان له باباً على الجنة ويقولان: ادخلها هانئاً قرير العين، وهو مضمون الآية الكريمة:

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[(٣)].

أما لو كان هذا الإنسان عدواً لله، فيأتيه شخص بملابس قذرة، رائحته نتنة فيبشره بـ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[(٤)]، ثم يطلب من المغسل والحامل أن يتباطأوا في عملهم. وعندما يدخلونه القبر يأتيه الملكان فيسحبانه من كفنه

قال الأزهري: الهندام: الحسن القد، معرب.

لسان العرب، ابن منظور: ١٢ / ٦٢٤، مادة «هندم».

(١) سورة الواقعة / ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم / ٢٧.

(٣) سورة الفرقان / ٢٤.

(٤) سورة الواقعة / ٩٣ ـ ٩٤.

ويسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ ومادينك؟ فيجيب: لا أدري، فيقول الملكان له: لم تعرف، ولم تهتد. ثم ينهالان[1] عليه ضرباً بسياط من حديد ونار، لدرجة تبعث الرعب في كل موجودات الأرض، إلا الجن والإنس. بعدها يفتحان له باباً على نار جهنم ويقولان له: ابق في أسوأ وضع، ثم يضيق عليه القبر ويضغطه حتى يخرج مخه من رأسه، ثم يسلط الله تعالى عليه، من ثعابين وعقارب وحشرات الأرض لتلدغه[2] وتنهش[3] جسمه، ويستمر هذا حتى يتمنى ويدعو الله أن يقيم الساعة ليتخلص من هذا العذاب[4].

---

(١) إنهال عليه القوم: تتابعوا عليه وعلوه بالشتم والضرب والقهر.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/٧١٤ مادة «هيل».

(٢) اللدغ: عض الحية والعقرب.

قيل: اللدغ بالفم واللسع بالذنب.

قال الليث: اللدغ بالناب.

لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٤٤٨، مادة «لدغ».

(٣) النهش بالفم كالنهس، إلا إن النهش تناول من بعيد.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣/ ٤٠٢، مادة «نهش».

نهش ينهش وينهش نهشا: تناول الشيء بفمه ليعضه، فيؤثر فيه ولا يجرحه.

قال أبو العباس: النهش: بإطباق الأسنان.

لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٣٦٠، مادة «نهش».

(٤) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٢٢٧ ــ ٢٢٨، تفسير سورة إبراهيم / ح ٢٠. تفسير القمي، القمي: ١/ ٣٦٩ ــ ٣٧١، تفسير سورة إبراهيم. الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٣، كتاب الجنائز، باب أن الميت يمثل له مال وولده وعمله قبل موته / ح١. كتاب الأمالي، الطوسي: ٣٤٧ ـ ٣٤٩، المجلس ١٢ / ح ٥٩.

إن الآية الكريمة:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[(١)].

تشير إلى هذه الآية:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[(٢)].

ففي هذه الآيات يبين الباري عز وجل أن هناك كلمات لها جذور وأصول ثابتة توتى ثمارها الطيبة في كل زمان، هذه الكلمات وصفها الله بالطهارة وأشار إلى أنها تصعد إليه. وكذلك يصعد العمل الصالح إليه[(٣)].

(١) سورة إبراهيم / ٢٧.

(٢) سورة إبراهيم / ٢٤ ـ ٢٧.

(٣) قال السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ سورة فاطر /١٠، في جملة يرفعه احتمالات ثلاثة:

الأول: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله.

الثاني: عكس الأول أي أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح إليه سبحانه.

الثالث: أن العمل الصالح يرفعه الله إليه إي يقبله.

←

كما قال الله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[١] ثـم بـين طريـق الوصـول إلى هـذه العزة:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٢].

ففي هذه الآيات أوضح الباري عز وجل أنه يثبت المؤمنين بهذه الكلمات الطيبة في الدنيا والآخرة، فهو يقرن الكلام ـ بلحاظ نية الإنسان ـ بصفة الثبات[٣].

→

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، السبزواري: ٤٤٠، تفسير سورة فاطر.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ سورة إبراهيم / ٢٤، التقدير ضرب الله مثلا جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة.

انه مثّل الكلمة بالشجرة وشبهها بها وهو معنى قولنا اتخذ كلمة طيبة كشجرة. وقوله أصلها ثابت أي مرتكز في الأرض ضارب بعروقه.

وكذلك كل كلمة حقة وكل عمل صالح مثله هذا المثل، له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة نافعة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ٥٠ ـ ٥٢، تفسير سورة إبراهيم.

(١) سورة فاطر/١٠.

(٢) سورة فاطر / ١٠.

(٣) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ سورة فاطر / ١٠، الكلمة الطيبة هو الذي يرتب تعالى عليه تثبيته في الدنيا والآخرة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ٥١، تفسير سورة إبراهيم.

وتكون النتيجة، أحد أمرين، أما أن يثبت الإنسان «بالقول الثابت»[١] [٢] أو أن ينزلق ويضل بـ«القول غير الثابت» الذي عبر عنه القرآن الكريم بـ«الكلمة الخبيثة»[٣]، والنتيجة الطبيعية تكون، طريق السعادة، أو طريق الشقاء في الآخرة بعد المحاسبة والسؤال، وهما طريقان لا يمكن أن يتساويا.

ومن جانب آخر، فإن الخالق جل وعلا يخبرنا أن القول الطيب والثابت، يعطى ثماره ونتائجه، دائماً بإذنه هو ومن خلال الآيات السالفة الذكر[٤]، نستنتج أن منافع وثمار القول الطيب تظهر في أي زمان أو مكان، وهذا يعني أن السؤال والحساب موجودات في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة إبراهيم/ ٢٧.

(٢) قال الطبرسي: القول الثابت: الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا.

تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ٢/ ٢٨٣، تفسير سورة إبراهيم.

(٣) عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾سورة إبراهيم / ٢٦، وهي كلمة الكفر والشرك.

عن أبي علي: هو كل كلام في معصية الله تعالى.

تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٦/ ٧٥، تفسير سورة إبراهيم.

قال الصافي في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ سورة إبراهيم / ٢٦، قول باطل ودعاء إلى ضلال أو فساد.

التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣ / ٨٦، تفسير سورة يوسف.

(٤) سورة إبراهيم/ ٢٤.

سورة فاطر/ ١.

ومن خلال تمسك الإمام الصادق عليه السلام بالآية السالفة الذكر، يمكن استنباط هذه الحقيقة، وهي أن الله سبحانه وتعالى جعل البرزخ استمراراً لحياة الدنيا[١]، فعبارة «وهذا هو قول الله تعالى بأن أصحاب الجنة» الواردة في الحديث[٢]، إنما تشير إلى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[٣] هذه الآيات هي

---

(١) قال الطباطبائي: إن البرزخ من تتمة المكث الأرضي محسوب من الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة المؤمنون / ١١٢ ـ ١١٤. فالحياة البرزخية كأنها من بقايا الحياة الدنيوية محكومة ببعض أحكامها، والناس فيها بعد في طريق التصفية والتخلص إلى سعادتهم وشقاوتهم.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨/ ١٠٦ ـ ١٠٧، تفسير سورة الأعراف، الآيات (٢٦ ـ ٣٦) في السعادة والشقاء.

(٢) عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ سورة القلم/١٧، إن أهل مكة ابتلوا بالجوع كما ابتلي أصحاب الجنة، وهي الجنة التي كانت في الدنيا وكانت في اليمن، يقال لها الرضوان.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٣٨٢، تفسير سورة القلم، الذنب يحرم عن الرزق.

(٣) سورة الفرقان / ٢١ ـ ٢٤.

من أكثر الآيات صراحة بشأن البرزخ، والمقصود بـ«مقيل»[1]، النوم في فترة ما قبل الظهر. ومعروف أنه ليس في جنة الآخرة نوم، ورغم أنه ليس في البرزخ أيضاً من أشكال نوم الدنيا، إلا أن المقصود بالآية الكريمة[2]، هو أن مكانة البرزخ، من القيامة، بمثابة نوم القيلولة، بالنسبة إلى اليقظة. ومن هنا جاء الوصف الإلهي ليوم البعث بأنه يوم «القيامة»، وهذا ما يدعو الإمام إلى وصف حال الإنسان في البرزخ، بأنه يفتح عليه أما باب على الجنة ثم يقال له: نم قرير العين، أو على جهنم فيقال له: نم في أسوأ حال[3].

ورغم أن هذا المضمون يتكرر في أحاديث عديدة أخرى، إلا أن أياً منها لايتحدث عن دخول المتوفى، الجنة، بعد الموت مباشرة، بل تشير كل الروايات إلى أن باباً تفتح له على الجنة ليشم من عبيقها ويرى منزله فيها، ثم يقال له نم هانئاً قرير العين[4].

(١) القائلة: الظهيرة. يقال: أتانا عند القائلة. وقد يكون بمعنى القيلولة أيضا: وهي النوم في الظهيرة.

الصحاح، الجوهري: ٥ / ١٨٠٨، مادة «قيل».

قال الطريحي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ سورة الفرقان / ٢٤، هو من القائلة، وهو استكنان في وقت نصف النهار.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣ / ٥٧٦، مادة «ق ي ل».

(٢) سورة الفرقان / ٢٢.

(٣) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، تفسير سورة إبراهيم / ح ٢٠.

(٤) أنظر: تفسير القمي، القمي: ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧١، تفسير سورة إبراهيم. الكافي، الكليني: ٢٤١/٣ ـ ٢٤٢، كتاب الجنائز، باب ما ينطق به موضع القبر/ح١.

وقد نقلنا فيما سبق، حديثاً عن الإمام الباقر، الذي يصف فيه الموت بالنوم. عندما سألوه عن الموت، فأجاب بأنه كالنوم الذي يأتيكم كل ليلة، والفرق أنه أطول مدة، ولايصحو منه النائم، إلا يوم القيامة[١].

بناء على هذا فإن البرزخ ليس أكثر من عينة[٢] ونموذج[٣] للقيامة، وقول الإمام بأن القبر يتوسع بسعة ومدى قابلية عين المتوفى على الرؤيا، إنما هو تلميح جميل لهذا الأمر. أما المقصود بالآية:

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ ... ﴾[٤] فهو أول يوم يرى فيه المتوفى الملائكة[٥]، والدليل على ذلك قول المتوفى:

---

(١) أنظر: معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٢٨٩، باب معنى الموت / ح ٥.

(٢) العين عند العرب: حقيقة الشيء.

عين الشيء: نفسه وشخصه وأصله.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٣٠٥، مادة «عون».

(٣) النموذج، بفتح النون: مثال الشيء، معرب.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ١/ ٢١٠، مادة «النموذج».

النموذج بفتح النون والذال المعجمة والميم مضمومة، وهو مثال الشيء، أي: صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليعرف منه حاله.

تاج العروس، الزبيدي: ٢/ ١٠٩.

(٤) سورة الفرقان / ٢٢.

(٥) قال ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ سورة الفرقان / ٢٢، فيه قولان: عند الموت والثاني يوم القيامة.

زاد المسير، ابن الجوزي: ٦/ ١٠، تفسير سورة الفرقان.

←

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] وهذا اللقاء يتم في عالم البرزخ حيث تتحقق للإنسان البشرى أو عكسها.

المتوسطون لا يخضعون إلى الحساب

نفهم من الآية السالفة الذكر[2] أن المحاسبة في القبر تطال المؤمنين والظالمين فقط، ولم تتطرق الآية إلى وضع المستضعفين[3] والمتوسطين[4]. ولعل هذا المفهوم

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ سورة الفرقان/٢٢، يريد أن الملائكة لا يراها أحد إلا عند الموت.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٣/ ٢٠، تفسير سورة الفرقان.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ سورة الفرقان / ٢٢، فذكر أنهم والحال حالهم لا يرون الملائكة إلا مع حال الموت.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ٨٥، تفسير سورة البقرة.

(١) سورة الفرقان / ٢١.

(٢) سورة الفرقان / ٢٢.

(٣) عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ سورة النساء / ٩٨، قال: لا يستطيعون سبيل أهل الحق فيدخلون فيه ولا يستطيعون حيلة أهل النصب فينصبون، قال هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار.

تفسير العياشي، العياشي: ١ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩، تفسير سورة النساء / ح ٢٤٥.

(٤) عن ابن عباس، وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ سورة الأعراف/٤٦، إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيئاتهم بينهم

يتضمنه العديد من الروايات. فقد ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن المؤاخذة والمحاسبة في القبر إنما تشمل أهل الإيمان الخالص، وأهل الكفر البحت فقط، دون الآخرين[1]. وفي تفسير القمي، ينقل عن ضريس الكناسي[2] أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن حساب القبر، وحال من هو من الموحدين والمؤمنين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، لكنه مذنب، وليس له إمام، ولا يعرف ولايتك، فأجاب: هؤلاء يبقون في قبورهم. فإن كانت لديهم أعمال صالحة ولم يناصبوا[3] أهل البيت

←

وبين الجنة، فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء، ثم يدخلهم الجنة.

مجمع البيان، الطبرسي: ٤/ ٢٦١، تفسير سورة الأعراف.

قال الطباطبائي: اختلفوا في معنى الأعراف، أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يترجح حسناتهم حتى يدخلوا الجنة ولا غلبت سيئاتهم حتى يؤمروا بدخول النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يدخلهم الجنة برحمته.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨/ ١٢٦، تفسير سورة الأعراف.

(١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ عليه السلام: لا يُسْأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلا مَنْ مَحَضَ الإِيمَانَ مَحْضاً أَوْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً وَالآخَرُونَ يُلْهَوْنَ عَنْهُمْ.

الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٥، كتاب الجنائز، باب المسالة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ح١.

(٢) قال حمدويه: سمعت أشياخي يقولون ضريس إنما سمي الكناسي لأن تجارته بالكناسة، وكانت تحته بنت حمران، وهو خير فاضل ثقة.

رجال الكشي، الكشي: ٣١٣ ــ ٣١٤، ما روي في ضريس بن عبد الملك بن أعين الشيباني/الرقم ٥٦٦.

(٣) النصب أيضا: المعاداة، يقال نصبت لفلان نصبا: إذا عاديته.

الناصب: وهو الذي يتظاهر بعداوة أهل البيت أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٣١٦، مادة «نصب».

العداء. فتحت على قبورهم باب من الجنة، فيهب عليهم منها نسيم عطر يدخل السرور في قلوبهم، حتى يلاقوا ربهم يوم القيامة. فيحاسبهم، ويجازيهم على حسناتهم، ويؤاخذهم في سيئاتهم، هؤلاء أمرهم مرهون بالباري عزوجل[١].

وكذا الحال مع المستضعفين والبلهاء[٢] والأطفال، وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد. وعندما يقول الإمام عليه السلام[٣] أن أمر هؤلاء مرهون بالباري عز وجل، فإنه يشير إلى الآية الكريمة:

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

وخلاصة الأمر أن جميع البشر، يتعرضون للحساب الذي يتحدد على أثره، عيشهم في النعيم أو العذاب في الجحيم ويستثنى من ذلك المستضعفون ومن في عدادهم.

---

(١) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/٢٦٠ ــ ٢٦١، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام. أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/٢٦٠ ــ ٢٦١، تفسير سورة المؤمن، من مات ولم يعرف الإمام.

(٢) البله: الغفلة عن الشر وأن لا يحسنه.

رجل أبله بين البله والبلاهة: وهو الذي غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس، في التهذيب: الأبله: الذي طبع على الخير، فهو غافل عن الشر لا يعرفه.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٧٧، مادة «بله».

(٣) أي: «الإمام الباقر عليه السلام».

(٤) سورة التوبة / ١٠٦.

تجسم[١] الأرواح في البرزخ

ينقل الشيخ المفيد[٢] عن الإمام الصادق عليه السلام قوله أن الله سبحانه وتعالى عندما يقبض روح إنسان، يبعثها في الجنة بنفس الشكل الذي كانت عليه في الدنيا، فتمارس هذه الأرواح نشاطات الأكل والشرب[٣].

---

(١) قال الشيخ المفيد: قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جنانه ينعمه فيها إلى يوم الساعة.

المسائل السروية، الشيخ المفيد: ٦٣، المسألة الخامسة عذاب القبر.

تجسم الروح: تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، فينعم ويعذب فيها ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها.

بحار الأنوار، المجلسي: ٦ / ٢٧١، كتاب العدل، باب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام يَقُولُ مِنْكُمْ وَاللَّهِ يُقْبَلُ وَلَكُمْ وَاللَّهِ يُغْفَرُ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَغْتَبِطَ وَيَرَى السُّرُورَ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ إِلا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاحْتُضِرَ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ عليه السلام وَجَبْرَئِيلُ وَمَلَكُ الْمَوْتِ عليهما السلام فَيَدْنُو مِنْهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَحِبَّهُ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَا جَبْرَئِيلُ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ وَيَقُولُ جَبْرَئِيلُ لِمَلَكِ الْمَوْتِ إِنَّ هَذَا كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَهْلَ بَيْتِ رَسُولِهِ فَأَحِبَّهُ وَارْفُقْ بِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَاللَّهِ أَخَذْتَ فَكَاكَ رَقَبَتِكَ أَخَذْتَ أَمَانَ بَرَاءَتِكَ تَمَسَّكْتَ بِالْعِصْمَةِ الْكُبْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ فَيُوَفِّقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقُولُ وَمَا ذَلِكَ فَيَقُولُ وَلايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَيَقُولُ صَدَقْتَ أَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُهُ فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الَّذِي كُنْتَ تَرْجُوهُ فَقَدْ أَدْرَكْتَهُ أَبْشِرْ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ مُرَافَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام

←

وينقل صاحب «الكافي»[١] عن أبي ولاد الحناط[٢] أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن شكل أرواح المؤمنين، فقال الإمام أنها تأخذ نفس الأشكال التي كانت عليها في الدنيا[٣].

وفي رواية أخرى في الكافي، يقول الإمام الصادق أن أرواح المؤمنين تتخذ نفس أشكالها الدنيوية فتتجمع على شجرة في الجنة لتتعارف فيما بينها وتسأل كل منها عن الآخرين، وكلما التحقت بها روح جديدة، قالت الأولى، أفسحوا[٤]

ثُمَّ يَسُلُّ نَفْسَهُ سَلاً رَفِيقاً ثُمَّ يَنْزِلُ بِكَفَنِهِ مِنَ الْجَنَّةِ وَحَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ بِمِسْكٍ أَذْفَرَ فَيُكَفَّنُ بِذَلِكَ الْكَفَنِ وَيُحَنَّطُ بِذَلِكَ الْحَنُوطِ ثُمَّ يُكْسَى حُلَّةً صَفْرَاءَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَرَيْحَانِهَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ عَنْ أَمَامِهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ عَلَى فِرَاشِهَا أَبْشِرْ بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةِ نَعِيمٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ثُمَّ يَزُورُ آلَ مُحَمَّدٍ فِي جِنَانِ رَضْوَى فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ وَيَشْرَبُ مِنْ شَرَابِهِمْ وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ... الحديث.

الكافي، الكليني: ٣/١٣١ ـ ١٣٢، كتاب الجنائز، باب ما يعاين المؤمن والكافر/ ح ٤.

(١) صاحب الكافي: هو محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

(٢) حفص بن سالم: يكنى أبا ولاد الحناط بتشديد اللام وتشديد النون بعد الحاء المهملة، ثقة كوفي مولى جعفي، له أصل. وقال ابن فضال إنه حفص بن يونس المخزومي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ثقة لا بأس به. وقال ابن عقدة: حفص بن سالم خرج مع زيد بن علي، وظهر من الصادق عليه السلام تصويبه لذلك.

رجال العلامة، الحلي: ٥٨، القسم الأول فيمن اعتمد عليه، الفصل السادس في الحاء، الباب الثامن حفص / الرقم ١.

(٣) انظر: الكافي، الكليني: ٣/ ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح ١.

(٤) الفسحة: السعة.

لها، فإنها قادمة من الأهوال[١] والخوف العظيم[٢].

وهناك الكثير من الأخبار الواردة في هذا الشأن[٣]، لكنها تخص المؤمنين فقط، أما حال الكافرين، فسيأتي الحديث عنهم لاحقاً.

فسح له المجلس يفسح فسحا وفسوحا وتفسح: وسع له.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٤٣، مادة «فسح».

(١) الهول: المخافة من أمر لا تدري على ما تهجم عليه منه، كهول الليل.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٨٦، مادة «هول».

الهول العظيم، المراد به: الفزع العظيم.

يقال هاله الشيء من باب قال يهوله هولا: أفزعه.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ٤٤٤، مادة «هول».

(٢) عَنْ أبي بصير عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الأَرْوَاحَ فِي صِفَةِ الأَجْسَادِ فِي شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ تَعَارَفُ وَتَسَاءَلُ فَإِذَا قَدِمَتِ الرُّوحُ عَلَى الأَرْوَاحِ يَقُولُ دَعُوهَا فَإِنَّهَا قَدْ أَفْلَتَتْ مِنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ ثُمَّ يَسْأَلُونَهَا مَا فَعَلَ فُلانٌ وَمَا فَعَلَ فُلانٌ فَإِنْ قَالَتْ لَهُم تَرَكْتُهُ حَيّاً ارْتَجَوْهُ وَإِنْ قَالَتْ لَهُمْ قَدْ هَلَكَ قَالُوا قَدْ هَوَى هَوَى.

الكافي، الكليني: ٣/ ٢٤٤، كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين / ح ٣.

(٣) عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على صورة أبدانهم لو رأيته لقلت فلانا.

جامع الأخبار، الشعيري: ١٧٢، الفصل ١٣٦ في الروح.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين، فقال: يلتقون، قلت: يلتقون، فقال: يتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان.

المحاسن، البرقي: ١/ ١٧٨، كتاب الصفوة والنور والرحمة، باب ٤٠ أرواح المؤمنين / ح١٦٤.

لقاء الأموات بذويهم

ورد في «الكافي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن الشخص المؤمن، يلتقي ذويه بعد موته، فيحدثهم عما شاهده وأدخل السرور عليه، ويخفي عنهم ما لقيه من أذى[١]. وفي رواية أخرى يقول الإمام عليه السلام[٢] أن كل متوفى، سواء كان مؤمناً أو كافراً، لابد وأن يلتقي ذويه كل ظهيرة، فإن رأى المؤمن ذويه يعملون صالحاً، يحمد الله، وإن رأى الكافر ذويه يعملون صالحاً، يغبطهم على ما هم عليه[٣].

وفي «الكافي» أيضاً ورد عن إسحاق بن عمار[٤] أنه سأل أبا الحسن عليه السلام[٥] هل يزور المتوفى ذويه أم لا؟. فيجيبه: نعم. ثم يسأله: كم مرة يزورهم، فيجيب الإمام بأن ذلك يعود إلى منزلته ومقامه عند الله، فقد يكون كل أسبوع أوكل

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله/ ح٤.

(٢) أي: «الإمام الصادق عليه السلام».

(٣) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلا كَافِرٍ إلا وَهُوَ يَأْتِي أَهْلَهُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ حَمِدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا رَأَى الْكَافِرُ أَهْلَهُ يَعْمَلُونَ بِالصَّالِحَاتِ كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً.

الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله/ ح ٢.

(٤) قال العلامة: إسحاق بن عمار بن حيان مولى بني تغلب أبو يعقوب الصيرفي، كان شيخا من أصحابنا، ثقة روى عن الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، وكان فطحيا.

قال الشيخ: إلا أنه ثقة وأصله معتمد عليه.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ٢٠٠ القسم الثاني، الفصل الاول في الهمزة، الباب الثالث اسحاق/ الرقم ١.

(٥) أبا الحسن عليه السلام، هو: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

شهر، أو كل عام، ثم يسأل: وكيف يزور المتوفى ذويه، فيجيب الإمام عليه السلام بأنه يزورهم كما يقف الطير الجميل على حائط دارهم ويطلع على ما يعملون، فيفرح إذا رآهم في خير وعافية ويحزن إذا رآهم في ضيق وأذى[١].

وهناك الكثير من الروايات الواردة في هذا الشأن[٢] والتي تشترك في المضمون السالف الذكر[٣]، وباعتقادنا فإن تصوير الشخص على هيئة الطير الجميل، إنما هو من باب تجسم الأرواح[٤].

وربما يمكن إدراك معنى الرواية المذكورة آنفاً[٥]، من خلال الوصف القرآني:

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٣.

(٢) عن عبد الرحيم القصير، قال: قلت له ـ الإمام الكاظم عليه السلام ـ المؤمن يزور أهله؟ فقال: نعم يستاذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم.

الكافي: الكليني: ٣ / ٢٣٠ ـ ٢٣١، كتاب الجنائز، باب ان الميت يزور أهله / ح٤.

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ عليه السلام يَزُورُ الْمُؤْمِنُ أَهْلَهُ فَقَالَ: نَعَمْ فَقُلْتُ: فِي كَمْ؟ قَالَ: عَلَى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ مِنْهُمْ، مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ فِي كُلِّ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْرَى كَلامِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: أَدْنَاهُمْ مَنْزِلَةً يَزُورُ كُلَّ جُمْعَةٍ قَالَ قُلْتُ: فِي أَيِّ سَاعَةٍ قَالَ: عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَمِثْلِ ذَلِكَ قَالَ: قُلْتُ فِي أَيِّ صُورَةٍ قَالَ: فِي صُورَةِ الْعُصْفُورِ أَوْ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ مَلَكاً فَيُرِيهِ مَا يَسُرُّهُ وَيَسْتُرُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ فَيَرَى مَا يَسُرُّهُ وَيَرْجِعُ إِلَى قُرَّةِ عَيْنٍ.

الكافي، الكليني: ٣ / ٢٣١، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح ٥.

(٣) أنظر: الفصل الثاني، لقاء الأموات بذويهم.

(٤) مر تعريف وتوضيح تجسم الأرواح في الفصل الثاني، موضوع تجسم الأرواح في البرزخ.

(٥) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/ ٢٣٠، كتاب الجنائز، باب إن الميت يزور أهله / ح٣.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

إن المقصود بـ«الاستبشار» هو استلام البشرى والسرور بها، وعبارة ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ ...﴾[2] توضيح لعبارة ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ ..﴾[3].

إذن فهذه الآيات تبين لنا أن المقتولين في سبيل الله، يفرحون ويسعدون لكون ذويهم في نعمة وسعادة، وأن ذويهم يعملون صالحاً، ولما كان الله تعالى لا يضيع أجر عامل[4]، فإنه يجازي هؤلاء على أعمالهم وينزل عليهم بركاته والقتلى في سبيله يرون كل هذا.

ولهذه الآية، مضمون مشابه لما سلف:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران /١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) سورة آل عمران / ١٧١.

(٣) سورة آل عمران / ١٧٠.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ... آلاية﴾ سورة آل عمران / ١٩٥.

(٥) سورة التوبة / ١٠٥.

حديث الشيطان مع أتباعه في القبر

يقول الإمام الصادق عليه السلام ــ كما ورد في الكافي ــ حول حساب القبر، أن الميت إذا كان كافراً، يقول له الملكان: من هذا الذي معك، فيقول لا أدري، بعدها يتركه الملكان وحيداً مع الشيطان[١]. وفي تفسير العياشي وردت هذه الرواية أيضاً[٢]، وهي مستوحاة[٣] من الآية الكريمة:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[٤] و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾[٥].

والحقيقة الثابتة هي أن عالم البرزخ[٦]، أوسع من عالم الدنيا بعدة مرات،

---

(١) أنظر، الكافي، الكليني: ٣/ ٢٣٨، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل/ذيل الحديث ١٠.

(٢) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢ / ٢٢٥، تفسير سورة إبراهيم / ح ١٧.

(٣) قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا، والكتابة تسمى وحيا.
لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٣٨١، مادة «وحي».

(٤) سورة الزخرف / ٣٦.

(٥) سورة الزخرف / ٣٨.

(٦) قال الصادق عليه السلام: البرزخ: القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.
تفسير القمي، القمي: ١ / ١٩ ـ ٢٠، مقدمة المصنف.
قال السبحاني: عالم البرزخ: إن هذا العالم وعاء للإنسان يعذب فيها من يعذب وينعم فيها من ينعم.
في ظلال التوحيد، السبحاني: ٥٣٢، المبحث السابع أسئلة حول طلب الشفاعة.
وقد مر بيان المعنى اللغوي والإصطلاح للبرزخ في الفصل الثاني.

ذلك أن «المثال»[١] هو أوسع وأكبر من الجسم المادي. وعلى هذا فإن كل ما ورد في الكتاب والسنة حول «البرزخ»، لم يكن أكثر من عموميات أوردت للمثال فقط، ولم تكن تفصيلاً وشرحاً كاملين للموضوع.

الموضوع الآخر الذي يجب إدراكه، هو أن الكثير من الأخبار والروايات، اعتبرت الأرض، مكاناً للجنة ونار البرزخ[٢]، وكذلك مكاناً للقاء الأموات مع

(١) المثال: صورة الشيء الذي تمثل صفاته.

المثال عند أفلاطون: صورة مجردة، وحقيقية معقولة، قائمة بذاتها، أزلية ثابتة، لا تتغير ولا تدثر، ولا تفسد.

المعجم الفلسفي، صليبا: ٢/ ٣٣٥، باب الميم، المثال.

قال الشيخ البهائي: عليك أن تعلم أن البرزخ الذي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنيوية هو غير البرزخ الذي بين الأرواح المجردة، والأجسام لأن مراتب تنزلات الوجود، ومعارجه دورية.

المرتبة التي قبل النشأة الدنيا هي من مراتب التنزلات، ولها الأولية، والتي بعدها من مراتب المعارج ولها آخرية، وأيضاً الصور التي تلحق الأرواح في البرزخ الأخير إنما هو صورة الأعمال، ونتيجة الأفعال السابقة في النشأة الدنيوية بخلاف صورة البرزخ الأول، فيكون كل منهما غير الآخر، لكنهما يشتركان في كونهما عالما روحانيا، وجوهراً نورانياً غير مادي مشتملاً لمثال صور العالم.

دائرة المعارف الشيعية العامة، الأعلمي: ٦/ ١٣٢، حرف الباء، البرزخ.

(٢) قال القمي: سأل ملك الروم الإمام الحسن عليه السلام عن سبعة أشياء... ثم سأله: عن أرواح المؤمنين أين تكون إذا ماتوا قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة جمعة وهو عرش الله الأدنى منها بسط الله الأرض وإليها يطويها ومنها المحشر ومنها استوى ربنا إلى السماء أي استولى على السماء والملائكة، ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع قال: تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن ثم يبعث الله نارا من المشرق ونارا من المغرب ويتبعهما بريحين شديدتين فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة ويزلف ←

ذويهـم[1]، وهـذا الأمـر، يفهـم منـه أن العلقـة المادية لعـالم الأرواح[2]، لا تنقطـع بشكل كامل، وهذا هو الواقع.

وفي كـثير مـن الأخبـار ورد أن جنـة الـبرزخ تقـع في وادي الـسلام، ونـاره في «وادي برهوت»[3].

→ الميعاد وتصير جهنم عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة وفيها الفلـق والسجين فتفـرق الخلائق من عند الصخرة فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، تفسير سورة الشورى، مسائل ملك الروم للحسن عليه السلام.

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٣/٢٤٦ ـ ٢٤٧، باب جنة الدنيا.

(٢) قال الرازي: عالم الأرواح: هو [عالم] يؤثر ويتأثر، لمؤثر الذي لا يتأثر وهو الإله تعالى وتقدس، والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الأجسام، فخاصية جوهر الأرواح أنها تقبل الأثر والتصرف عن عالم نور جلال الله، ثم إنها إذا أقبلت على عالم الأجسام تصرفت فيه وأثرت فيه، فتعلق الروح بعالم الأجسام بالتصرف والتدبير فيه، وتعلقه بعالم الإلهيات بالعلم والمعرفة.

تفسير الرازي، الرازي: ١٨/ ٢١٧، تفسير سورة يوسف.

(٣) سأل أبي عبد الله عليه السلام: أين وادي السلام؟ قال: بين وادي النجف والكوفة.

إرشاد القلوب، الديلمي: ٢/ ٤٤١، فضل المشهد الغروي الشريف على مشرفه أفضل الصلاة والسلام وما لتربته والدفن فيها من المزية والشرف.

وقال الجزائري: جنة الدنيا، وادي السلام، ومحلها ظهر الكوفة بين النجف وكربلاء، وفيها أرواح المؤمنين في أجساد مثالية يتنعمون بها حتى يوافوا جنة الخلد.

قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الباب الثاني عشر في قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون.

قال الحموي: برهوت: بضم الهاء، وسكون الواو، وتاء فوقها نقطتان: وادي باليمن يوضع فيه أرواح الكفار.

معجم البلدان، الحموي: ١/ ٤٠٥.

←

أما مكان اجتماع الأرواح فهو عند قبة الصخرة في بيت المقدس(١).

وفي روايات أخرى، ورد أن الأئمة، شاهدوا أرواحاً في أماكن مختلفة(٢)، وهذا

→

قال الجزائري: وادي برهوت: وهو واد في حضرموت من بلاد اليمن الذي يعذب فيه أرواح الكفار في الدنيا.

قصص الأنبياء، الجزائري: ٢٥٨، الباب الثاني عشر في قصص موسى وهارون على نبينا وآله وعليهم السلام، الفصل الخامس في أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون.

(١) بيت المقدس: أو القدس: تقع بوسط فلسطين، فوق تل صخري من التلال اليهودية (على ارتفاع ٧٦٢ م).

بيت المقدس: هو المدينة المقدسة لليهود وللمسيحيين والمسلمين، بها المسجد الأقصى، الحرم المقدس للمسلمين. سميت «صهيون» في الكتاب المقدس.

تضم المدينة القديمة معظم الأماكن المقدسة الخاصة بالأديان الثلاثة، ويزورها المسلمون للصلاة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، صلاواتي: ٢/ ١٠١٣ ـ ١٠١٤، الباء، بيت المقدس.

(٢) وردت في هذا المعنى العديد من الروايات نذكر منها الآتي:

عن أبي جعفر عليه السلام قال جاء ناس إلى الحسن بن علي عليه السلام فقالوا أرنا بعض ما عندك من عجائب أبيك الذي كان يريناها فقال أ تؤمنون بذلك قالوا نعم نؤمن به والله قال أليس تعرفون أمير المؤمنين قالوا بلى كلنا نعرفه قال فرفع لهم جانب الستر وقال: أتعرفون هذا الجالس قالوا بأجمعهم هذا والله أمير المؤمنين ونشهد أنك ابنه وأنه كان يرينا مثل ذلك كثيرا.

الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢/ ٨١٠، الباب السادس عشر في نوادر المعجزات.

دخل أبو بكر على علي أمير المؤمنين عليه السلام: فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحدث إلينا في أمرك شيئا بعد أيام الولاية بالغدير وأنا أشهد أنك مولاي مقر لك بذلك وقد سلمت عليك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بإمرة المؤمنين وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنك وصيه ووارثه وخليفته في أهله ونسائه وأنك وارثه وميراثه صار إليك ولم يخبرنا أنك خليفته في أمته من بعده ولا جرم لي فيما بيني وبينك ولا ذنب لنا فيما بيننا وبين الله فقال له علي عليه السلام إن أريتك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى

←

الأمر تكرر مع الأولياء الصالحين في حالات عديدة[1]، وكل ذلك دليل على وجود نوع من علقة الروح[2]، لأسباب ترتبط بقدسية المكان أو الزمان أو الظروف المحيطة.

يخبرك بأني أولى بالأمر الذي أنت فيه منك وأنك إن لم تعتزل عنه فقد خالفت قال إن رأيته حتى يخبرني ببعض هذا اكتفيت به قال: فنلتقي إذا صليت المغرب حتى أريكاه قال: فرجع إليه بعد المغرب فأخذ بيده فأخرجه إلى مسجد قبا فإذا هو برسول الله ﷺ جالس في القبلة فقال له يا فلان وثبت على مولاك علي وجلست مجلسه وهو مجلس النبوة لا يستحقه غيره لأنه وصيي ونبذت أمري وخالفت ما قلت لك وتعرضت لسخط الله وسخطي فانزع هذا السربال الذي تسربلته بغير حق ولا أنت من أهله وإلا فموعدك النار قال فخرج مذعورا ليسلم الأمر إليه وانطلق أمير المؤمنين فحدث سلمان بما كان وخرج فقال له سلمان ليبدين هذا الحديث لصاحبه وليخبرنه بالخبر فضحك أمير المؤمنين وقال أما إنه سيخبره ويمنعه إن هم بأن يفعل ثم قال لا والله لا يذكران ذلك أبدا حتى يموتا قال: فلقي صاحبه فحدثه بالحديث كله وقال له ما أضعف رأيك وأخور قلبك أما تعلم أن ما أنت فيه الساعة من بعض سحر ابن أبي كبشة أ نسيت سحر بني هاشم فأقم على ما أنت عليه.

الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨، الباب السادس عشر في نوادر المعجزات.

وأنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٣/ ٣٢٣ ـ ٣٣٠، كتاب تاريخ فاطمة والحسن والحسين، أبواب تاريخ الإمامين، باب ١٥ معجزاته صلوات الله عليه.

(١) راجع ما ورد عن رؤية الأولياء الصالحين والعلماء للأرواح المصادر التالية:

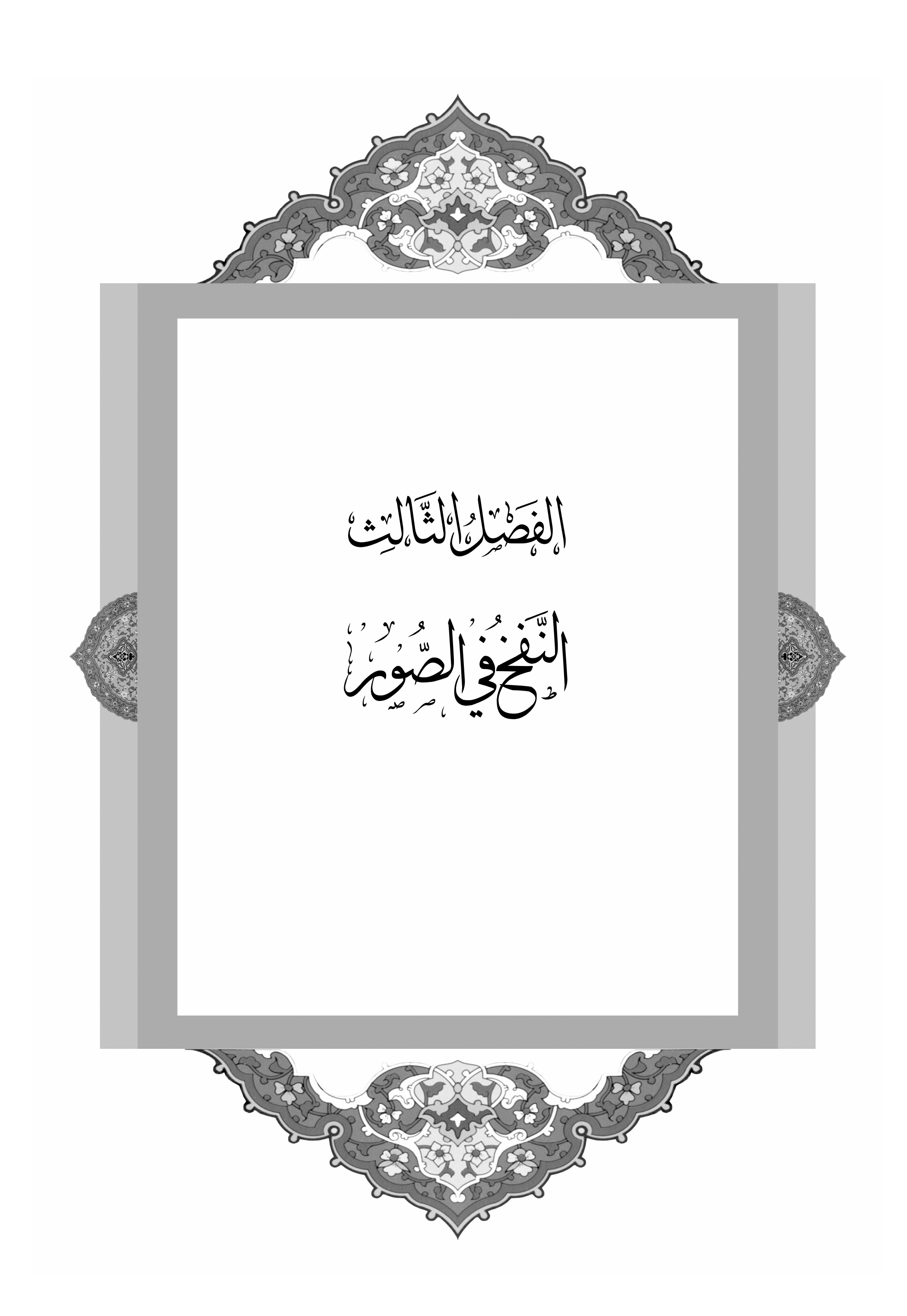
العلماء في عالم الرؤيا ومنامات العلماء والصالحين لمؤلفها فارس فقيه.

(٢) علقت به علقا: لزمته.

لسان العرب، ابن منظور: ١٠/ ٢٦٧، مادة «علق».

الرابطة: العلقة والوصلة.

تاج العروس، الزبيدي: ٥/ ١٤٢.



الفصل الثالث

النفخ في الصور

النفخ في الصّور

يقول الباري عز وجل:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] و﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[2].

نفهم من الآيتين الكريمتين أن هناك نفختين: الأولى، للإماتة، والثانية للإحياء[3]، ولم يأت في الآيات الواردة في هذا الشأن ما يمكننا من تفسير«الصور»

---

(١) سورة النمل/ ٨٧.

(٢) سورة الزمر/ ٦٨.

(٣) عن ثوير بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما قال: ما شاء الله، فقيل له: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه، فقال: أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه صور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت ←

لفظياً، أما معناها اللغوي فهو البوق الذي ينفخ فيه فيعطي صوتاً عالياً[١].

المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رأوه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، قال: فيقول الله لإسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ سورة الطور/ ٩ـ١٠، يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ سورة غافر/ ١٦، فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ سورة غافر/ ١٦، وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيتي وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حيي وقام كما كان ويعود حملة العرش وتحضر الجنة والنار وتحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاء شديدا.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

(١) قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في وصف الصور: للصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

في مجموعة أبي ورام: قيل الصور: هو القرن، وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن

بالنسبة للنفخة الأولى، فإنها وردت في آيتين في سورتي النمل[١] والزمر[٢] السالفتي الذكر فقط، لكن القرآن الكريم عبرعنها في أماكن مختلفة بـ«الصيحة» و«الصاخة» وهي الصيحة القوية[٣] و«النقر»[٤]:

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٥].

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[٦] ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾[٧] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾

كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السماوات والأرض.

مجموعة ورام، ورام ابن أبي فراس: ١/ ٢٩٢، نفخة الصور.

قال الطوسي: الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به.

التبيان، الطوسي: ٢/ ٣٢٩، تفسير سورة البقرة.

(١) سورة النمل/ ٨٧.

(٢) سورة الزمر / ٦٨.

(٣) قال ابن سيده: الصاخة صيحة تصخ الآذان، أي: تطعنها فتصمها لشدتها، ومنه سميت القيامة.

لسان العرب، ابن منظور: ٣ / ٣٣، مادة «صخخ».

(٤) قال الطريحي: في حديث أهل البيت عليهم السلام من جملة علومهم: «نقر في القلوب ونقر في الأسماع» أما النكت في القلوب فإلهام وأما النقر في الأسماع فأمر الملك.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣٦٨/٤، مادة «نكت».

(٥) سورة يس/ ٥٣.

(٦) سورة النازعات/ ١٣ ـ ١٤.

(٧) سورة عبس/ ٣٣ ـ ٣٤.

عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[1].

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾[2].

من هنا يمكن إدراك أن المعني بـ«الصور» في النفختين؛ هو البوق الذي كان يستخدم في إعطاء الأوامر للجند، للاستعداد للحرب ثم خوضها[3].

ففي الأولى، ينفخ في «الصور» أن اصمتوا! و«استعدوا للتحرك» ثم ينفخ ثانية أن «أنهضوا» و«ابدأوا الهجوم».

إذن فالصور، حقيقة واقعة، تشهد صيحتان الصيحة المميتة، والصيحة التي تحيي ثانية[4][5].

---

(١) سورة المدثر/ ٨ ـ ١٠.

(٢) سورة ق / ٤١ ـ ٤٢.

(٣) قال الطباطبائي: النفخ في الصور: كناية عن إعلام الجماعة الكثيرين كالعسكر بما يجب عليهم أن يعملوا به جمعا كالحضور والارتحال وغير ذلك.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥/ ٣٩٩، تفسير سورة النمل.

(٤) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

(٥) قال الطباطبائي:

ظاهر ما ورد في كلامه تعالى في معنى نفخ الصور أن النفخ نفختان نفخة للإماتة ونفخة للإحياء.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧/ ٢٩٣، تفسير سورة الزمر.

ورغـم أن القـرآن الكـريم لم يقـدم تفـسيراً كـاملاً لكلمـة «الـصيحة»[(١)] لكنـه استخدمها في أكثر من ثمانية عشر حالة[(٢)].

(١) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ سورة ق/٤٢، صيحة القائم من السماء.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٣٢٧، تفسير سورة ق، درجة النبي ﷺ وعلي عليه السلام في المحشر.

قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ سورة المؤمنون / ٤١، الصيحة: الصوت الشديد الذي يفزع منها.

التبيان، الطوسي: ٧/ ٣٦٩، تفسير سورة المؤمنون.

الصيحة: العذاب.

الصيحة: الغارة إذا فوجئ الحي بها.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٥٢١، مادة «صيح».

(٢) إن آيات الصيحة التي وردت في القرآن عددها ١٣، وكما يأتي:

سورة هود / ٦٧، ونصها: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

سورة هود / ٩٤، ونصها: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

سورة الحجر / ٧٣، ونصها: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

سورة الحجر / ٨٣، ونصها: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾.

سورة المؤمنون /٤١، ونصها: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

سورة العنكبوت / ٤٠، ونصها: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

←

ولامناص[١] من اتخاذ معناها الحقيقي المعروف. كما أن الباري عز وجل عبر عنها أحياناً بـ«النداء»[٢]، وهو ما لا يكون بدون معنى محدد[٣].

سورة يس/ ٢٩، ونصها: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

سورة يس/ ٤٩، ونصها: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

سورة يس/ ٥٣، ونصها: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

سورة ص/ ١٥، ونصها: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

سورة ق/ ٤٢، ونصها: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾.

سورة القمر/ ٣١، ونصها: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

سورة المنافقون/ ٤، ونصها: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

(١) المناص: المهرب. المناص: الملجأ والمفر.

لسان العرب، ابن منظور: ٧/ ١٠٢، مادة «نوص».

(٢) سورة ق/ ٤١، ونصها: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

(٣) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ سورة ق/ ٤١، هو نداء البعث وكلمة الحياة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٨/ ٣٦٠ ـ ٣٦١، تفسير سورة ق.

قال الشوكاني: وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ سورة ق/٤١، قيل: استمع النداء أو الصوت أو الصيحة: وهي صيحة القيامة، أعني النفخة الثانية في الصور من إسرافيل.

فتح القدير، الشوكاني: ٥/ ٨١، تفسير سورة ق.

وحيث أن الباري عز وجل يتحدث عن سماع الناس للصيحة، وبما أن «السماع» يقوم به الأحياء فقط. وأن الله يخبرنا عن صعق[1] هؤلاء، فإننا ندرك أن المقصود بحياة هؤلاء هي مجرد سماع الصيحة، ولما كان من غير المنطقي القول بسماع الصيحة التي تبعث فيهم الحياة، بعد القول أنهم أحياء، إذن، فإن المقصود هو أن الصيحة أو النفخة ليست أكثر من كلمة إلهية تميت الناس ثم تحييهم، فالله تعالى يقول:

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

وعلى هذا فإن النفختين المذكورتين، هما كلمتان إلهيتان، الأولى تميت، والثانية تحيي. والأمر الجدير بالملاحظة هو أن الباري عز وجل عبر عن الإماتة بكلمة «صعق» وليس «الموت»، ربما لأن الموت، لفظة تطلق على خروج الروح من البدن، بينما حكم النفخ، يشمل كل الموجودات في السموات والأرض، بما في ذلك الملائكة والأرواح[3]، وفي قوله تعالى:

---

(١) الصعق: المغشي عليه.

صعق صعقا: غشي عليه من صوت يسمعه أو حس أو نحوه. وصعق صعقا: مات.

كتاب العين، الفراهيدي: ١/ ١٢٩، مادة «صعق».

(٢) سورة غافر/ ٦٨.

(٣) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سورة الزمر/٦٨، قيل معناه: يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السموات والأرض.

التبيان، الطوسي: ٩/ ٤٦، تفسير سورة الزمر.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[١] الذي يصف فيه أصل الجنة، إشارة إلى هذا الأمر. وفي مكان آخر وصف الباري عز وجل الصعقة بـ«الموت»، وذلك في الآية الكريمة:

﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[٢] مع التأكيد بأن «مرتين» لا يقصد منها التكرار.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٣]، وهذا يعني أن حكم البرزخ يشمل الجميع، وبناء على هذا، فإن المقصود بـ«من في الأرض»[٤] الذين يشملهم «الفزع»[٥] و«الصعقة»[٦]، ليس الذين هم على قيد الحياة على الأرض[٧] بل

(١) سورة الدخان/ ٥٦.

(٢) سورة غافر/ ١١.

(٣) سورة المؤمنون/ ١٠٠.

(٤) سورة النمل / ٨٧.

(٥) الفزع: الذعر.

الصحاح، الجوهري: ٣ / ١٢٥٨، مادة «فزع».

(٦) صعق الرجل كسمع صعقا بالفتح، ويحرك وصعقة وتصعاقا بفتحهما، فهو صعق ككتف: إذا غشى عليه وذهب عقله من صوت يسمعه.

تاج العروس، الزبيدي: ٦/٤٠٨.

(٧) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سورة الزمر/ ٦٨، أنه يصعق فيه جميع من في الدنيا من الأحياء ومن في البرزخ من ←

المقصود به أولئك الذين قال الله تعالى عنهم

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[3].

إذن فهؤلاء أهل الأرض، حتى لو كانوا في عالم البرزخ.

أما المقصود بـ«من في السماء»[4] فهم الملائكة وأرواح السعداء[5].

الأموات وهؤلاء وإن لم يكونوا في الدنيا ففي البرزخ.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩/ ٢٣، تفسير سورة الطور.

(١) سورة الروم / ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) سورة المؤمنون / ١١٢ ـ ١١٤.

(٣) سورة الأعراف / ٤٠

(٤) سورة الملك / ١٦.

(٥) قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة الملك / ١٦، يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم.

التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ٢/ ١٣٣٠، تفسير سورة الملك.

فالله تعالى يقول:

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١] و﴿لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ﴾[٢] و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾[٣] و﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[٤] و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٥] و﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٦]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[٧] وآيات أخرى كثيرة[٨].

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ سورة الملك / ١٦، المراد بمن في السماء: الملائكة المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩ / ٣٥٨، تفسير سورة الملك.

(١) سورة الذاريات / ٢٢.

(٢) سورة سبأ / ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم / ٢٣.

(٤) سورة الأنعام / ٢.

(٥) سورة فاطر / ١٠.

(٦) سورة المجادلة / ١١.

(٧) سورة المعارج / ٤.

(٨) هذه نبذة مما ورد من آيات القرآن الكريم في هذا الشأن:

سورة العنكبوت /٢٢، ونصها: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

إذن فإن الآيات الدالة على وقوع الصيحة على أهل الأرض، تدل كلها على أنها تؤدي إلى انقلاب الأرض ودمارها على أهلها[1].

كما يتضح من الآية:

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3].

خلاصة الأمر، أن الصيحة الأولى تطلق، فتقلب الدنيا بمن فيها، ويفنى أهلها، ثم ينفخ في الصور، فيموت جميع من في عالم البرزخ، ثم ينفخ ثانية،

سورة الشعراء/ ٢٠٦، ونصها: ﴿ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

سورة الزمر/ ٧٥، ونصها: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

سورة شورى/٥، ونصها: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

(١) قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ سورة ص / ١٥، فيسير الله الجبال فتكون سرابا، وترج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ سورة النازعات/٦ـ ٨، فتكون الأرض كالسفينة الموبقة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٧/ ١٤٦، تفسير سورة الحج.

(٢) سورة يس / ٤٩ ـ ٥٠.

(٣) سورة الرحمن / ٢٦.

فيبعث الناس جميعاً وتقوم القيامة[١].

وهناك نقطة مهمة وهي أن الآيتين الكريمتين ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٢] و﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[٣] قد قرنتا موت كل الموجودات الحية، بالأجل المحدد، وهذا يعني أنه لا يمكن لأي موت أن يقع بشكل اعتباطي[٤]، إنما بأجل مكتوب.

وهذا ينطبق على الصيحة والنفخ أيضاً إذ لا يمكن أن يؤديا إلى الموت إلا بأجل معلوم[٥].

---

(١) مر تبيان ذلك في بداية الفصل الثالث النفخ في الصور.

(٢) سورة الروم / ٨.

(٣) سورة الأنعام / ٢.

(٤) اعتبط فلان: مات فجأة من غير علة ولا مرض.

كتاب العين، الفراهيدي: ٢/ ٢٠، مادة «عبط».

قال الطريحي: يقال لكل من مات من غير علة: اعتبط.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١١٣، مادة «عبط».

(٥) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ سورة الزمر / ٤٢، أي: يقبضها إليه وقت موتها، وانقضاء آجالها.

مجمع البيان، الطبرسي: ٨/ ٤٠٣، تفسير سورة الزمر.

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ سورة الزمر/ ٤٢، أي: يقبضها عند حضور آجالها ويخرجها من الأبدان.

فتح القدير، الشوكاني: ٤/ ٤٦٥، تفسير سورة الزمر.

الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور

وأما فيما يتعلق بعبارة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[١] الواردة في آيتي النفخ[٢]، فإنها تدل على استثناء البعض من حكم النفخ في الصور[٣]، وهو ما يتضح من الآية ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٤].

---

(١) سورة النمل/ ٨٧.

(٢) سورة النمل/ ٨٧، ونصها: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

سورة الزمر/ ٦٨، ونصها: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

(٣) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سورة النمل/ ٨٧، إن الشهداء من جملة الخلق الذين لا يفزعون ذلك اليوم.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سورة النمل / ٨٧، يعني من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم. وقيل: اسرافيل.

التبيان، الطوسي: ٨/ ١٢٣ ـ ١٢٤، تفسير سورة النمل.

عن أنس بن مالك قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سورة الزمر/ ٦٨، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين استثنى الله عز وجل قال: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك... الحديث.

أعلام الدين، الديلمي: ٣٥٣، باب عدد أسماء الله تعالى وهي تسع وتسعون، الحديث الثامن.

(٤) سورة النمل / ٨٧.

لكن ما طبيعة هذا الاستثناء وما أسبابه؟.

الآية التالية تجيب على السؤال:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

أن المقصود بالحسنة المقرونة بكلمة «أمن» والمضادة في معناها لـ«السيئة». هي الحسنة المطلقة[2]، وليست المشوبة بالسيئة، ولهذا لو كانت أعمال إنسان ما، خليط من الحسنات والسيئات، لما كان آمناً من الفزع يوم ينفخ في الصور، بسبب وجود السيئات في أعماله، والإنسان الوحيد الذي يكون آمناً من الفزع، هو صاحب الحسنات الخالصة الخالية من أية سيئة.

وأحياناً يطلق الله تعالى على السيئات اسم «الخبائث»[3]، فهو القائل ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾[4].

وكذلك ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[5].

---

(١) سورة النمل / ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) أنظر: تفسير روح المعاني، الآلوسي: ٦/ ٧٦، تفسير سورة النمل.

(٣) الخبائث: يريد بها الأفعال المذمومة والخصال الرديئة.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ١٤٢، مادة «خبث».

(٤) سورة الأنفال / ٣٧.

(٥) سورة النور/ ٢٦.

كما إنه اعتبر الكفر والنفاق في خانة النجاسة والرجس[١] فقال عز وجل ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾[٢]. و﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٣]، بل إنه اعتبر بعض درجات الإيمان، من الشرك[٤] حينما يقول:

---

(١)الرجس: الشيء القذر.

ترتيب إصلاح المنطق، ابن سكيت: ١٧١، مادة «رجس».

الرجس: القذر، وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٢/ ٢٠٠.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ سورة التوبة / ١٢٥، أي: نفاقا وكفرا إلى نفاقهم، وكفرهم، لأنهم يشكون في هذه السورة، كما شكوا فيما تقدمها من السور، فذلك هو الزيادة. وسمي الكفر رجسا على وجه الذم له، وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الأرجاس، وأضاف الزيادة إلى السورة، لأنهم يزدادون عندها رجسا.

مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥/ ١٤٦، تفسير سورة التوبة.

(٢) سورة التوبة / ١٢٥.

(٣) سورة التوبة / ٢٨.

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ سورة يوسف / ١٠٦، قال: شرك طاعة وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله.

تفسير القمي، القمي: ١/ ٣٥٨، تفسير سورة التوبة، رد شباب زليخا.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ سورة يوسف/١٠٦، المراد بالشرك في الآية بعض مراتبه الذي يجامع بعض مراتب الإيمان وهو المسمى ←

﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[١].

إذن، فالذي نفسه طاهرة من الشرك، هو ذلك الذي لايؤمن بغير الله، ولا تطمئن نفسه إلى غيره، فلا يرى لله شريكاً لا في وجوده، ولا في صفاته ولا في أفعاله. هذا هو المقصود بالولاية[٢].

باصطلاح فن الأخلاق بالشرك الخفي.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦، تفسير سورة يوسف.

(١) سورة يوسف / ١٠٦.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس / ١٠، أول ما يكرم به الله سبحانه أولياءه ـ وهم الذين ليس في قلوبهم إلا الله ولا مدبر لأمرهم غيره ـ أنه يطهر قلوبهم عن محبة غيره فلا يحبون إلا الله فلا يتعلقون بشيء إلا الله وفي الله سبحانه، فهم ينزهونه عن كل شريك يجذب قلوبهم إلى نفسه عن ذكر الله سبحانه، وعن أي شاغل يشغلهم عن ربهم.

وهذا تنزيه منهم لربهم عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من شريك في الاسم أو في المعنى أو نقص أو عدم، وتسبيح منهم له لا في القول واللفظ فقط بل قولا وفعلا ولسانا وجنانا.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٠/ ١٧، تفسير سورة يونس.

وقال أيضاً في كتابنا هذا في الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور»، الولاية: الذي نفسه طاهرة من الشرك، وذلك الذي لا يأمن بغير الله ولا تطمئن نفسه الى غيره، فلا يرى لله شريكاً لا في وجوده، ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وقال أيضاً في كتابنا هذا في الفصل الثالث ضمن بحث «الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور»، العباد المخلصين :هم الذين لم تتلوث قلوبهم ونفوسهم بالشرك وهم يرون الله وحده

وهؤلاء هم الذين تقول عنهم الآية الكريمة:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[١].

لأنهم طهّروا أنفسهم بالولاية[٢] ﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾[٣]، والمقصود بالسلام هنا، هو الأمن[٤] الذي مضى كحديث عنه.

في كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً.

(١) سورة النحل / ٣٢.

(٢) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ سورة النحل / ٣٢، أي: طيبي الأعمال، طاهري القلوب من دنس الشرك.

مجمع البيان، الطبرسي: ٦/ ١٥٣، تفسير سورة النحل.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل / ٣٢، المراد بكون المتقين طيبين في حال توفيهم خلوصهم من خبث الظلم.

يكون معنى الآية: ان المتقين هم الذين تتوفاهم الملائكة متعرين عن خبث الظلم الشرك والمعاصي.

فالآية تصف المتقين بالتخلص عن التلبس بالظلم.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ٢٣٦، تفسير سورة النحل.

(٣) سورة النحل/ ٣٢.

(٤) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ سورة النحل / ٣٢، يحتمل أن يكون تبشيرا لهم بالجنة، لان السلام أمان.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٠/ ١٠١، تفسير سورة النحل.

على هذا، يظهر لنا أن «الحسنة» هي الولاية[1] والآية التالية تشير إلى ذلك ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾[2].

وفي تفسير القمي[3] للآية الكريمة ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾[4] ورد عن أحد الأئمة قوله: والله إن الحسنة هي الولاية بعينها وأن السيئة هي إتباع أعداء الله[5]. وفي الكافي ورد عن الإمام الصادق، نقلاً عن الإمام علي عليه السلام أن الحسنة

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ سورة الشورى/٢٣، قال: من تولى الأوصياء من آل محمد واتبع آثارهم فذلك يزيده ولاية معي من النبيين والمؤمنين الأولين.

تفسير نور الثقلين، الحويزي: ٤/ ٣٤٢.

(٢) سورة الشورى / ٢٣.

(٣) علي بن ابراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي: ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر وأكثر، وصنف كتبا وأضر في وسط عمره. وله كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ... إلى آخره.

رجال النجاشي، النجاشي: ٢٦٠/ الرقم ٦٨٠ علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي.

(٤) سورة النمل / ٨٩.

(٥) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ سورة النمل / ٨٩، وقوله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ سورة النمل / ٩٠، الحسنة والله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والسيئة والله عداوته.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ١٣١، تفسير سورة النمل.

هي معرفة الولاية وحبنا نحن أهل البيت وأن السيئة هي إنكار الولاية وبغض أهل البيت[١]، ثم تلا الآية[٢] التي مرّ ذكرها.

مما تقدم يمكن أن ندرك معنى الآية الكريمة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٣] إذ يبدو من ظاهر الآية، أن الذين تصيبهم الصعقة في النفخة الأولى هم أنفسهم الذين يشملهم «القيام» ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤][٥]، بدليل الآية الكريمة: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٦]،

---

(١) عَنْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: دَخَلَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ الْجَدَلِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عليه السلام: يَا أَبَا عَبْدِاللَّهِ أَلا أُخْبِرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة النمل / ٨٩ ـ ٩٠، قَالَ: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ: الْحَسَنَةُ مَعْرِفَةُ الْوَلايَةِ وحُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَالسَّيِّئَةُ إِنْكَارُ الْوَلايَةِ وَبُغْضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ.

الكافي، الكليني: ١/ ١٨٥، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد عليه / ح ١٤.

(٢) سورة النمل / ٨٩.

(٣) سورة الزمر / ٦٨.

(٤) سورة المطففين/ ٦.

(٥) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، كيفية نفخ الصور.

قال الطباطبائي: يصعق فيه جميع من في الدنيا من الأحياء ومن في البرزخ من الأموات وهؤلاء إن لم يكونوا في الدنيا ففي البرزخ.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩/ ٢٣، تفسير سورة الطور.

(٦) سورة يس / ٥٣.

لكن الله تعالى يستثني من هؤلاء المحضرين، عباده المخلصين، عندما يقول عز وجل:

﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ نَاصَرُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(١)].

ثم يصف هؤلاء العباد المخلصين، بما جاء على لسان إبليس[(٢)]:

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [(٣)].

وهكذا فإن الله تعالى يؤكد لنا، أن الشيطان لا يجد طريقاً إلى هؤلاء العباد، فلا يتمكن من إغوائهم. وهذا الإغواء، جاء بشكل «وعد» من الشيطان[(٤)]:

---

(١) سورة الصافات/ ١٢٧ـ ١٢٨.

(٢) أبلس من رحمة الله، أي: يئس وندم. ومنه سمي إبليس، وكان إسمه عزازيل.

لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٢٩، مادة «بلس».

عن ابن عباس وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الانباري: كان إبليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن، وكان اسمه بالعبرانية عزازيل.

وبالعربية الحارث، وكان رئيس ملائكة الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرها علما، وكان يوسوس بين السماء والأرض، فيرى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظما، فذلك الذي دعاه إلى الكبر فعصى وكفر، فمسخه الله شيطانا رجيما ملعونا.

كنية إبليس أبو مرة.

مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، مادة «بلس».

(٣) سورة ص / ٨٢ ـ ٨٣.

(٤) قال الطوسي: ثم استثنى من جملة من يغويهم «عباد الله المخلصين»، مع حرصه على إغواء الجميع من حيث أنه يئس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه ولا ينقادون لإغوائه، وانه ليس ←

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ ﴾ إلى أن يقـول: ﴿تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

وهنا نلاحظ أن الشيطان يرجع لوم أتباعه عليهم، لأن ذنوبهم تعود إلى شركهم بالله، فظلموا أنفسهم وإن الله أعدَّ للظالمين عذاباً أليماً[2][3].

له عليهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلك عنه ليأسه منه.

التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٨ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥، تفسير سورة ص.

(١) سورة إبراهيم / ٢٢.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنسان / الآية ٣١: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾.

(٣) قال الطوسي: حكاية عن قول الشيطان لأوليائه انه يقول لهم: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ﴾ سورة إبراهيم/ ٢٢، بشرككم بالله ومتابعتكم لي قبل هذا اليوم.

التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٦/ ٢٩٠، تفسير سورة إبراهيم.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ سورة إبراهيم/٢٢، أي: كفرت الآن بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة، أي: جحدت أن أكون شريكا لله تعالى فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم.

مجمع البيان، الطبرسي: ٦/ ٧٢، تفسير سورة إبراهيم.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ سورة إبراهيم/٢٢، أي: إذا لم يكن لي عليكم سلطان بوجه من الوجوه كما يدل عليه وقوع النكرة في سياق النفي، والتأكيد بمن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ سورة إبراهيم/ ٢٢، فلا يعود إلى شيء من اللوم العائد إليكم من جهة الشرك والمعصية فلا يحق لكم أن تلوموني بل الواجب

إذن فالعباد المخلصين هم الذين لم تتلوث[١] قلوبهم ونفوسهم بالشرك، وهم يرون الله وحدهُ في كل شيء ولا يملكون من أمر نفعهم أو ضرهم أو حياتهم أو مماتهم شيئاً، وهذه هي الولاية[٢].

هؤلاء العباد المخلصين، هم أولياء الله، وهم مستثنون من حكم الصعقة والفزع. ففي حين يموت كل من في الأرض والسماء بنفخة في الصور، يواصل هؤلاء حياتهم. يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[٣] و﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[٤].

وهذا يعني أن السماوات بمن فيها، سيحلّ أجلها وستطوى[٥]. ومن هنا

عليكم أن تلوموا أنفسكم لان لكم السلطان على عملكم.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢/ ٤٨، تفسير سورة إبراهيم.

(١) التلوث: التلطخ، يقال لاثه في التراب ولوثه.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ١٨٥، مادة «لوث».

(٢) تقدم بيان ذلك في بداية الفصل الثالث، الذين يستثنون من حكم النفخ في الصور.

(٣) سورة الأنبياء/ ١٠٤.

(٤) سورة الزمر / ٦٧.

(٥) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ سورة الأنبياء / ١٠٤، المراد بالطي هنا: هو الطي المعروف، وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته. وقيل: إن طي السماء ذهابها عن الحس.

مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ١١٩، تفسير سورة الأنبياء.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ سورة الأنبياء / ١٠٤، أي: نطويها

ندرك أن الذين تستثنيهم الصعقة والفزع، هم ليسوا في السماء، بل هم في ما وراء السماوات والأرض مما يعني أنهم معنيون بالآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1] أي أنهم من الـ«وجه»، وعندما تقول الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[2] فإن العباد المخلصين «أولياء الله» سيحيطون بالعالم أيضاً، وسيرون كل شيء، من خلال إحاطة «وجه الله» به.

وفي آية أخرى، وبعد أن يبين الله تعالى أن أهل الجنة في السماء[3]، وأهل النار في النار، يأتي إلى توضيحه بشكل آخر فيقول:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾[4] وسيأتي تفصيل ذلك في مكان آخر[5].

إذن يتضح لنا أن العباد المخلصين سيكونون في مأمن من الشدائد والأهوال التي تقع بين النفختين ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا

فنعيدها إلى الهلاك والفناء فلا تكون شيئا.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١١ / ٣٤٨، تفسير سورة الأنبياء.

(١) سورة القصص / ٨٨.

(٢) سورة البقرة / ١١٥.

(٣) في التبيان: قال أبو علي: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لأن الجنة في السماء.

التبيان، الطوسي: ٤/ ٤٠٠، تفسير سورة الأعراف.

(٤) سورة الأعراف / ٤٦.

(٥) أنظر: الفصل الرابع، يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا.

دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾[١].

والدك[٢]، بمعنى التدمير، فعندما تقول دككت الشيء يعني أنك دمرته وسويته مع الأرض[٣].

يقول الباري تعالى:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾[٤]. و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾[٥] و﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٦] و﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾[٧] و﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ

---

(١) سورة الحاقة / ١٣ ـ ١٥.

(٢) الدك: الدق. وقد دككت الشيء أدكة دكا: إذا ضربته وكسرته حتى سويته بالأرض.
الصحاح، الجوهري: ٤ / ١٥٨٣، مادة «دكك».

(٣) في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ سورة الفجر/٢١، أي: كسر كل شيء على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، حتى زلزلت، فلم يبق عليها شيء. عن ابن عباس: دقت جبالها وأنشازها حتى استوت.
مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ٣٥٣، تفسير سورة الفجر.

(٤) سورة النازعات / ٦ ـ ٧.

(٥) سورة المزمل / ١٤.

(٦) سورة الحج / ١ ـ ٢.

(٧) سورة التكوير / ٣.

﴿كَٱلۡعِهۡنِ[1] ٱلۡمَنفُوشِ﴾[2] و﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾[3] و﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[4] و﴿إِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾[5] و﴿إِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾[6] و﴿إِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾[7].

إن ظاهر هذه الآيات يشير بشكل كبير إلى مقدمات «الساعة» و«القيامة»، وخراب الدنيا، وهلاك أهلها[8].

---

(١) العهن: المصبوغ ألوانا من الصوف. ويقال: كل صوف عهن.

كتاب العين، الفراهيدي: ١ / ١٠٨، مادة «عهن».

قال الطريحي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ سورة القارعة/٥، العهن: الصوف المصبوغ، والقطعة منه: عهنة، شبه الجبال بالصوف المصبغ ألوانه، وبالمنقوش منها، لتفرق أجزائه.

مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٢٧٠، مادة «عهن».

(٢) سورة القارعة/ ٥.

(٣) سورة القيامة/ ٧ ـ ٩.

(٤) سورة التكوير/ ١.

(٥) سورة الإنفطار/ ٢.

(٦) سورة التكوير/ ٤.

(٧) سورة التكوير/ ٦.

(٨) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سورة الزمر / ٦٨، وما في معناه من الآيات الدالة على خراب الدنيا، بتبدل الأرض والسماء وانتثار الكواكب وغير ذلك.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ١٩٦، تفسير سورة النازعات.

الآخرة بعد الدنيا

النقطة التي يجب الانتباه لها، هي أن حقيقة «فناء الدنيا قبل قيام الساعة»[١]، يثبت لنا حقيقة أخرى، وهي أن القيامة. تأتي بعد الدنيا، كما هو الموت، الذي يثبت لنا بأن البرزخ يأتي بعد الدنيا، ولولا ذلك، لكنا اعتمدنا قاعدة « إحاطة عالم المثال[٢]، بالعالم المادي[٣] ـ أي الدنيا ـ» لنقول أن «البعث والنشور» محيط بالدنيا والبرزخ أيضاً. وحتى، لو غضضنا الطرف عن قضية الإحاطة، فإن انقلاب الزمان، وفناء الأشياء، والحركات في الفترة الفاصلة بين النشأتين[٤]، يوجب بطلان نسبة الزمان وانتفاء موضوع «بعد» و«قبل» الزمانيتين.

---

(١) تقدم بيان خراب الدنيا وفنائها في الفصل الثالث، الذين يستثون من حكم النفخ في الصور.

(٢) مر تعريف أصطلاح عالم المثال في الفصل الثاني، البرزخ.

(٣) قال الطباطبائي: العالم المادي: وهو العالم المشهود، أنزل مراتب الوجود وأخسها، ويتميز من غيره بتعلق الصور الموجودة فيه بالمادة وارتباطها بالقوة والاستعداد.

هذا العالم، بما بين أجزائه من الارتباط الوجودي، واحد سيال في ذاته متحرك بجوهره.

بداية الحكمة، الطباطبائي: ٢٢١، المرحلة الثانية عشر فيما يتعلق بالواجب تعالى، الفصل الرابع عشر في العالم المادي.

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وَهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأولَى وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ.

نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٤٩١، حكم أمير المؤمنين / الرقم ١٢٦.

قال الراغب الأصفهاني: يعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى.

مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٣.

الدنيا هي النشأة الأولى. والآخرة النشأة الأخرى، وسميت الدنيا دنيا لدنوها.

التبيان، الشيخ الطوسي: ٤/ ٤١٧.

الآيات الدالة على أحوال القيامة

هناك آيات تشبه في سياقها العام، الآيات التي أسلفنا الحديث عنها، لكنها تشير إلى مضامينها بشكل مختلف. مثلاً ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[1] إذ يتضح منها أن حركة الجبال وتبعثرها كالحجر والحصى، ثم تناثرها كالقطن المندوف[2]، لا يعني أنها تصبح سراباً[3] أبداً، كما يقول الله تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[4].

فالرؤية، «وترى»، أما أن تقع في وقت الخطاب، أو في وقت النفخ[5]،

---

(١) سورة النبأ/ ٢٠.

(٢) ندف القطن من باب ضرب: ضربه بالمندف والمندفة.
الصحاح، الجوهري: ٤/ ١٤٣٠، مادة «ندف».
الندف: طرق القطن بالمندف.
لسان العرب، ابن منظور: ٩/ ٣٢٥، مادة «ندف».

(٣) السراب: الذي يكون نصف النهار لاطئا بالأرض، لاصقا بها، كأنه ماء جار.
قال ابن السكيت: السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار.
لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٤٦٥، مادة «سرب».

(٤) سورة النمل / ٨٨.

(٥) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ سورة النمل / ٨٨، أي: واقفة مكانها، لا تسير، ولا تتحرك في مرأى العين، ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ سورة النمل/ ٨٨، أي: تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب.
مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٤٠٩، تفسير سورة النمل.
قال ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ سورة النمل / ٨٨، هذا يكون إذا نفخ في الصور تجمع الجبال وتسير، فهي لكثرتها تحسب جامدة، أي: واقفة وهي تمر، أي: تسير سير السحاب. ←

ومجيء هذه الآية[١]، بعد آية «النفخ»[٢] إنما يدعم الاحتمال التالي، وعلى هذا فإن الآية السالف ذكرها[٣]، تنطبق على زلزلة «الساعة»[٤]، حينما ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ... ﴾[٥].

لكن هذا المعنى، لا ينسجم مع عبارة ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾[٦]، لأنها تعني أن الجبال تظل على ما كانت عليه من استقامة وعظمة، كما تدل على ذلك أيضاً عبارة ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[٧]. التي تشير إلى أن هذه الجبال لا تتصدع بهذه السهولة. إذن فحركة الجبال، لاتتنافى وثبات الجبال ورسوخها، وتزلزلها يتم بشكل متزامن مع تزايد استحكامها، وعلى هذا، فإن سرابية حركة الجبال يمكن أن ينسجم مع بقائها واتقان صنعها واستحكامها.

زاد المسير، ابن الجوزي: ٦ / ٨٣، تفسير سورة النمل.

(١) سورة النمل / ٨٧.

(٢) سورة النمل/ ٨٨، ونصها: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾.

(٣) سورة النمل/ ٨٨.

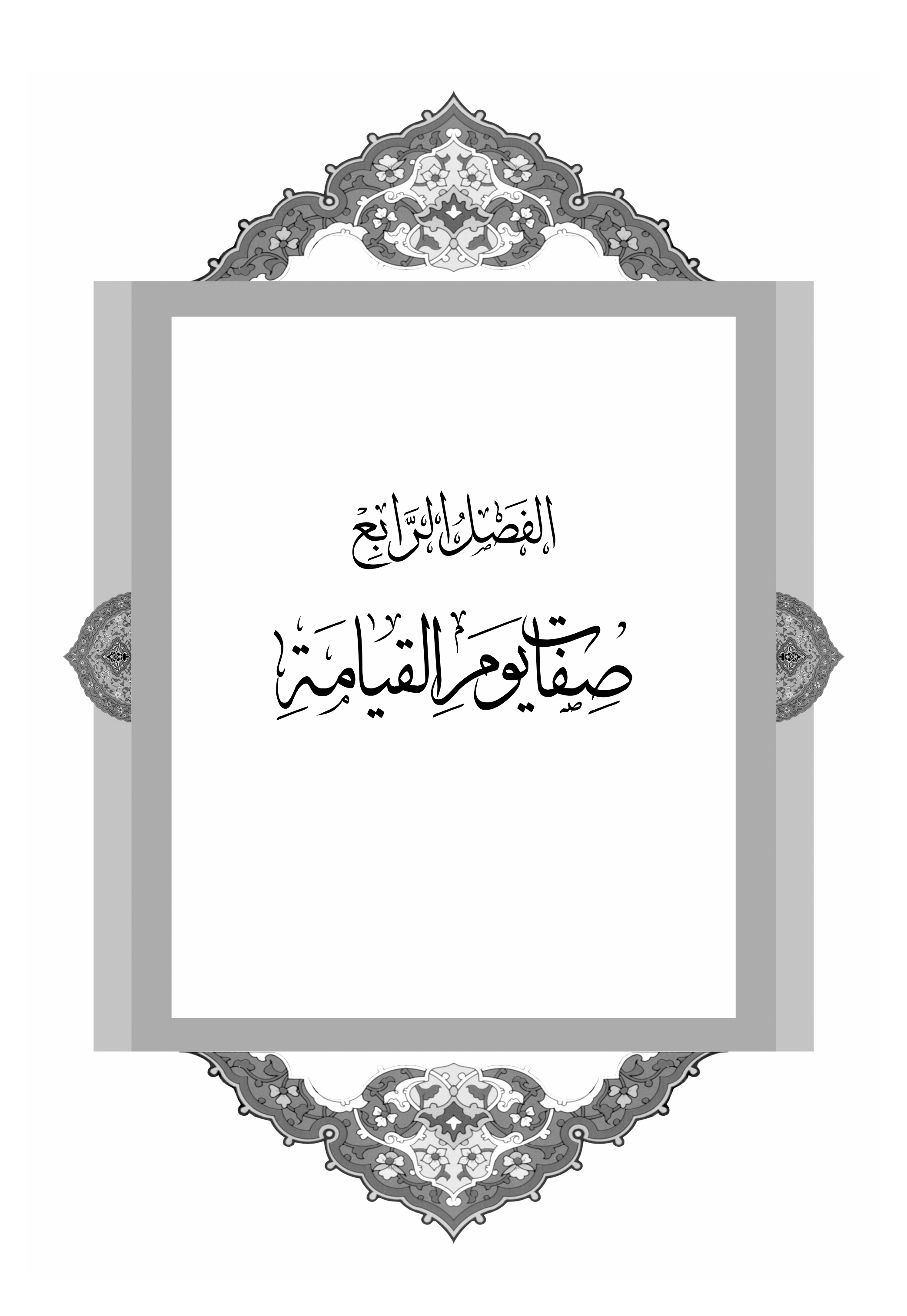
(٤) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ سورة النمل / ٨٨، بناء على كونه ناظرا إلى صفة زلزلة الساعة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ١٦٧، تفسير سورة النبأ.

(٥) سورة الحج / ٢.

(٦) سورة النمل / ٨٨.

(٧) سورة النمل / ٨٨.



الفصل الرابع

صفات يوم القيامة

صفات يوم القيامة

يقول الله جل وعلا:

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1].

و﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[2].

و﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[3].

و﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾[4].

و﴿لَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[5].

و﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[6].

---

(١) سورة غافر / ١٦.

(٢) سورة غافر / ٣٣.

(٣) سورة الشورى / ٤٧.

(٤) سورة الدخان / ٤١.

(٥) سورة النساء / ٤٢.

(٦) سورة الإنفطار / ١٩.

هذه الآيات، تصف يوم القيامة بصفات عديدة قد لا تختص بيوم القيامة فقط. فـ«الملك» و«الأمر» و«القدر» صفات دائمة لله تعالى، أما المخلوقات فهي مكشوفة له لا ملجأ لها منه لكن الله تعالى يقول:

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[1]، إذ يوضح أن كل السبل والعلاقات تتقطع آنذاك. وينعدم تأثير كل الارتباطات وتأثيرات الموجودات في نظام الوجود المادي وما يليه. فلا يعود هناك تأثير لشيء على شيء آخر فلا ينفعُ شيءٌ شيئاً آخر، ولا يضر. وذلك بسبب الأسباب والارتباطات[2].

ويوم القيامة لا يختلف بشيء، فلا شيء يفنى إلا بفناء ذوات الموجودات وانقلاب ماهيتها[3]، وبما أن كلمات الله ثابتة لا تتغير، فلا شيء يتغير مما يرتبط

---

(١) سورة البقرة / ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ سورة البقرة / ١٦٦، وظاهر الآية أن يحمل على عمومه، فكأنه قيل: قد زال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به، فلا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزلة أو قرابة أو مودة أو حلف أو عهد، على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا، وذلك نهاية في الاياس.

مجمع البيان، الطبرسي: ١/ ٤٦٥، تفسير سورة البقرة.

(٣) ماهية الشيء: حقيقته. وربما فرق بينها وبين الحقيقة: أن الحقيقة لا تكون إلا للموجودات الخارجية، والماهية أعم من أن تكون موجودة في الخارج أم لا.

مجمع البحرين، الطريحي: ٤/ ١٦٤، مادة «ماهى».

بها، بل إن الذي يزول هو ما يتعلق بالموجودات السرابية، إذ يزول كل شيء، إلا ارتباط الموجودات بالله تعالى، وبما أن تلك الارتباطات الأخرى كانت باطلة وسرابية من الأساس، فإن الذي يحدث هو انكشاف بطلانها، وليس فناؤها. أي انكشاف حقيقة أن لا وجود ولا تأثير لغير الله، فلا مالك غيره، ولا صاحب أمر.

وهذا هو قوله تعالى:

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[1] و﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2] و﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[3].

وما وصلنا إليه سالفاً، من انكشاف بطلان الموجودات السرابية والأسباب الظاهرية، يرد في قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ حتى قوله لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾[4].

وفي نهج البلاغة، نرى الإمام علي عليه السلام يؤكد أن وحدانية الله تتكشف بعد فناء الدنيا، وينكشف أنه الواحد الذي لا شريك له، وهو الباقي الواحد بعد فناء

---

(١) سورة الفاتحة / ٤.

(٢) سورة الإنفطار / ١٩.

(٣)سورة غافر / ١٦.

(٤) سورة الأنعام /٩٣ ـ ٩٤.

الدنيا، كما كان الواحد قبل خلقها فينعدم الزمن، وتنتفي الأزمان والسنون، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار الذي ترجع إليه كل الأمور[١].

وفي «الاحتجاج» ورد أن هشام بن الحكم[٢] سأل الإمام الصادق عليه السلام، عن الروح، هل تفنى بعد خروجها من قالبها «الجسد» أم أنها تبقى؟ فأجابه الإمام عليه السلام أن الروح تبقى حتى ينفخ في الصور وعندها يبطل كل شيء، فلا يبقى حسّ ولا محسوس ثم يعود كل شيء إلى أصله الذي خلقه الله عليه، وهذا يتم بعد فترة أربعمائة عام لا يتم فيها خلق شيء، وهذه الفترة رهن الزمن الفاصل بين النفختين[٣].

---

(١) أنظر: نهج البلاغة، الشريف الرضي: ٢٧٢ ـ ٢٧٧، خطب أمير المؤمنين عليه السلام، خطبة ١٨٦ له عليه السلام في التوحيد.

(٢) هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كندة، وانتقل من الكوفة إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة، وقيل فيها مات، كان يتجر في الكرخ، داره عند قصر وضاح، كان يرى رأي الجهمية ثم استبصر، وروى عنهما «الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام»، فيه مدائح جليلة، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب.

كان منقطعا إلى يحيى بن خالد البرمكي، وكان القيم لمجالس نظره وكلامه، وكان نزوله بدرب الجنب من الكرخ. توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة متسترا، وقيل في خلافة المأمون.

رجال ابن داود، ابن داود: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، باب الهاء / الرقم ١٦٤٣.

هشام بن الحكم أبو محمد: مولى كندة، وكان نزيل بني شيبان بالكوفة، وانتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة. ويقال إن في هذه السنة مات، ومولده كان بالكوفة ومنشؤه واسط وتجارته بغداد، ثم انتقل إليها في آخر عمره ونزل قصر وضاح.

رجال العلامة، العلامة الحلي: ١٧٨، الفصل السادس والعشرون في الهاء، الباب الأول هشام/الرقم١.

(٣) أنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٣٥٠، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية.

ويضيف الإمام عليه السلام على ذلك، كما ورد في تفسير القمي: ثم يقول الله عزوجل:

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[1]؟.

فيجيب هو بالقول:

﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[2] [3].

أما في «التوحيد»[4] فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام[5] أن الله تعالى يسأل: لمن الملك اليوم؟ فتجيب أرواح الأنبياء والمرسلين والحجج: لله الواحد القهار[6].

(١) سورة غافر / ١٦.

(٢) سورة غافر / ١٦.

(٣) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، تفسير سورة المؤمن، كيفية موت أهل السماء والأرض.

(٤) التوحيد: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفي بالري في (٣٨١). طبع بإيران في (١٢٨٥) وطبع ثانياً في بمبئي في (١٣٢١) وله شروح كثيرة.
الذريعة، آقا بزرك الطهراني: ٤ / ٤٨٢.

(٥) في التوحيد النص مروي عن الإمام الرضا عليه السلام، أما النص الذي أورده العلامة الطباطبائي، وهو يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام فهو عن الصدوق أيضا وقد أورده في كتابه معاني الأخبار وليس التوحيد.

(٦) قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في ألف ب ت ث أنه قال: الألف آلاء الله والباء بهجة الله والتاء تمام الأمر بقائم آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين... م ن فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره ويقول عز وجل ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ سورة غافر/ ١٦، ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ سورة ←

وينقل القمي في تفسيره حديثاً عن الإمام السجاد يقول فيه: إن الله تعالى ينادي حينذاك بصوت عال يملأ أرجاء السماوات والأرض: لمن الملك اليوم؟ ولأنه لا أحد يجيب، يقوم جل وعلا بمقام المجيب ويقول: لله الواحد القهار[1].

لو أمعنا النظر في أحاديث الأئمة التي هي لغة واحدة ولاحظنا كيفية الجمع بين فناء السماوات والأرض، وبين زوال السنين واللحظات وثباتها، وبين فقدان الجواب على النداء الإلهي ووجوده، ثم تأملنا في جواب الباري عز وجل على نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وأمعنا النظر في كل صفة من صفاته ﴿ٱلْوَٰحِدِ﴾ و﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ وفهمنا أبعاد ذلك كله، لأمكننا الوصول إلى صحة الاستنباط[2] الذي توصلنا إليه فيما مضى.

غافر/ ١٦، فيقول جل جلاله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ سورة غافر/ ١٧، والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين...الحديث.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ٤٣ ــ ٤٤، باب معاني حروف المعجم/ ح١. وانظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٣٢ ـ ٢٣٤، باب٣٢ تفسير حروف المعجم / ح١.

(١) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢ ــ ٢٥٣، تفسير سورة الزمر، ماذا يعطي الله وليه في الجنان، كيفية نفخ الصور.

(٢) قال الشريف المرتضى: الاستنباط: استخراج الحكم من فحوى النصوص.

رسائل المرتضى، الشريف المرتضى: ٢/ ٢٦٢، الحدود والحقايق، حرف الألف.

قال الطبرسي: الاستنباط: الاستخراج. يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب: قد استنبط.

مجمع البيان، الطبرسي: ٣/ ١٤١، تفسير سورة النساء.

بطلان الأسباب في يوم القيامة

عندما تأخذ كل الأشياء، وجودها المستقل، فإن كل الثوابت ستعود إلى مجموعة تحققات سرابية ووهمية، وسينكشف بطلان الأسباب والمسببات[١]، وهذا هو معنى الكلام الإلهي:

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[٢] و﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[٣] و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٤] و﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾[٥] و﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾[٦] و﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾[٧] و﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ

---

(١) قال الطباطبائي في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ... إلى أن قال هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ سورة يونس/ ٢٨ ـ ٣٠، تسقط الأسباب عما كان يتوهم لها من الاستقلال في نشأة الدنيا، وينقطع البين وتزول روابط التأثير التي بين الأشياء وعند ذلك تنتثر كواكب الأسباب وتنطمس نجوم كانت تهتدي به الأوهام في ظلماتها، ولا تبقى لذي ملك ملك يستقل به، ولا لذي سلطان وقوة ما يتعزز معه. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١ /١١، تفسير سورة هود.

(٢) سورة غافر / ٣٣.

(٣) سورة الشورى / ٤٧.

(٤) سورة الحاقة / ٢٨ ـ ٢٩.

(٥) سورة الدخان / ٤١.

(٦) سورة إبراهيم / ٣١.

(٧) سورة البقرة / ١٢٣.

ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].

فالآية الأخيرة تدل على أنهم كانوا مخدوعين بسراب الدنيا ولعبها، إذ يقول الباري عز وجل أن الله يضل الكافرين بهذا السراب [٢]. وفي الآية الكريمة التالية، ما يشابه هذا المعنى:

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾[٣] و﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾[٤]

وكل ذلك يعود الكلام الإلهي:

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾[٥] و﴿مَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[٦].

---

(١) سورة غافر / ٧٣ ـ ٧٤.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ سورة غافر / ٧٤، أي: إضلاله تعالى للكافرين وهم الساترون للحق يشبه هذا الضلال وهو أنهم يرون الباطل حقا فيقصدونه ثم يتبين لهم بعد ضلال سعيهم أنه لم يكن إلا باطلا في صورة حق وسرابا في سيماء الحقيقة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ٣٥٢، تفسير سورة المؤمن.

(٣) سورة يونس / ٢٨.

(٤) سورة القصص / ٦٣.

(٥) سورة يوسف / ٤٠.

(٦) سورة الذاريات / ٥٦.

يوم القيامة وكشف الحجب والخفايا

عندما تنتفي كل الأسباب والمسببات وما يترتب عليها من تأثيرات، فإن ينكشف كل «باطن» ليتحول إلى «ظاهر»، وعند ذاك يتحد الغيب[١] والشهادة[٢]، لأن كل شيء، هو في حد ذاته، شهادة، أما الغيب فله معنى نسبي،

---

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ سورة الأنعام / ٧٣، فقال: الغيب: ما لم يكن، والشهادة ما قد كان.

معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ١٤٦، باب معنى الغيب والشهادة / ح١.

قال الطوسي: الغيب هو المعدوم. وقال الحسن، الغيب: السر.

التبيان، الطوسي: ٦/ ٢٢٥، تفسير سورة الرعد.

وقال أيضاً: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ سورة الحشر / ٢٢، مالا يقع عليه حس من المعدوم أو الموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها.

قال الحسن: الغيب ما أخفاه العباد.

التبيان، الطوسي: ٩ / ٥٧٣، تفسير سورة الحشر.

قال الطباطبائي: الغيب: هو ما كان خارجا عن حد الشيء غير داخل فيه، بالنسبة إليه غير مشهود لإدراكه.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٣٠٧، تفسير سورة الرعد.

(٢) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ سورة الحشر / ٢٢.

«الشهادة»: عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس.

الشهادة: ما أعلنوه «العباد».

التبيان، الطوسي: ٩/ ٥٧٣، تفسير سورة الحشر.

قال الطباطبائي، الشهادة: هو ما كان من الأشياء داخلا في حد الشيء غير خارج عنه، بالنسبة إليه مشهود لإدراكه.

←

ففقدان الشيء، إنما يتم بالنسبة إلى شيء آخر، وتلاشى[١] شيء يتم بالنسبة إلى آخر أيضاً، ولافرق في ذلك، إن كان عدم الإدراك يتم من قبل الحس[٢] أم بسبب آخر.

مع انتفاء الأسباب، ترفع كل الحجب التي تخفي الأشياء عن بعضها، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[٣] و﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٤] و﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٥] وفي هذا السياق أيضاً تأتي الآيات:

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[٦] و﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا

→

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١١/ ٣٠٧، تفسير سورة الرعد.

(١) تلاشى الشيء: اضمحل.

تاج العروس، الزبيدي: ١٠/ ٣٢٦.

(٢) الحس: من أحسست بالشيء. حس بالشيء، يحس حسا وحسا وحسيسا وأحس به وأحسه: شعر به.

يقال حست بالشيء: إذا علمته وعرفته.

لسان العرب، ابن منظور: ٦ / ٤٩، مادة «حس».

(٣) سورة غافر / ١٦.

(٤) سورة إبراهيم / ٢١.

(٥) سورة ق / ٢٢.

(٦) سورة الطارق / ٩.

﴿فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[١] و﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

وقد يمكن تفسير الآيات الواردة حول بروز الأرض، على أساس الآيات السالفة الذكر.

ورد في «الكافي»، نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام الذي يقول حول الآية ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[٣] أنّ المراد بالقلب السليم[٤]، هو ذلك الذي يلقى الله تعالى دون ان يكون فيه مكان لغيره، وما يعنيه الأنبياء والأولياء بالزهد[٥] بالدنيا، هو أن

(١) سورة العاديات / ٩ ـ ١١.

(٢) سورة الشعراء / ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) سورة الشعراء / ٨٨.

(٤) قال الْقُطْبُ الرَّاوَنْدِيُّ فِي لُبِّ اللُّبَابِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ سُئِلَ: مَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فَقَالَ: دِينٌ بِلا شَكٍّ وَهَوًى وَعَمَلٌ بِلا سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ.

مستدرك الوسائل، المحدث النوري: ١ / ١١٣، مقدمة العبادات، باب ١٢ بطلان العبادة المقصود بها الرياء / ح ١١.

قال الطباطبائي: القلب السليم: هو النفس السالمة من وصمة الظلم وهو الشرك والمعصية.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥/ ٢٨٩، تفسير سورة الشعراء.

(٥) عن حفص بن غياث النخعي القاضي قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ما الزهد في الدنيا فقال: قد حد الله عز وجل ذلك في كتابه فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ سورة الحديد / ٢٣.

كتاب الأمالي، الصدوق: ٦١٦، المجلس التسعون / ح٣.

←

تخلو القلوب من أي مشاغل غير الآخرة[١].

وطبيعي أن القول الإلهي ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٢] لا يتعارض مع ما بيناه آنفاً.

فهذه الآية تنفي عن غير المؤمنين، التكريم الذي يخص المؤمنين والواقع أن هذه الآية، تصديق للقانون الإلهي ﴿لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]، وبما أن غير المؤمنين، وضعوا في حياتهم حجاباً بينهم وبين خالقهم، ولا بد أن يجدد مصداق ذلك يوم القيامة[٤]، وهذا ما يتضح من الآية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾[٥].

قال المازندراني: الزهد: جعل القلب حيا بمشاهدة أحوال الآخرة وعدم الغفلة عنها. شرح أصول الكافي، المازندراني: ١/ ٢٣١.

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢ / ١٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص / ح ٥.

(٢) سورة المطففين / ١٥.

(٣) سورة يس / ٥٤.

(٤) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ سورة المطففين/١٥، المراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة حرمانهم من كرامة القرب والمنزلة، ومن قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمة ربهم.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ٢٣٤.

(٥) سورة القلم / ٤٢ ـ ٤٣.

«القيامة» محيطة بالدنيا والبرزخ

إن انتفاء الأسباب وزوال الحجب[١]، وانكشاف البواطن المحيطة بالظواهر، كلها تدل على أن القيامة محيطة بالدنيا[٢]، ومحيطة بما فيها هي بالذات، وما سيأتي بعدها. فالباطن يضم الظاهر، الذي هو حاضر فيه، لكن عكس ذلك غير صحيح، وهذا هو مفاد القول الإلهي... ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٣] و﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٤] و﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) الحجب: كل شيء منع شيئا من شيء فقد حجبه حجبا.

كتاب العين، الفراهيدي: ٣ / ٨٦، مادة «حجب».

قال حسين الشاكري: الحجب: هي التي تمنع النفس من التحلي ثم التجلي إلى عالم الملكوت ومصاف الأولياء والصالحين.

الكشكول المبوب، حسين الشاكري: ٢١٥.

الحجاب: المنع من الوصول، يقال حجبه حجبا وحجابا، وحجاب الجوف ما يحجب عن الفؤاد، وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ سورة الأعراف/ ٤٦، ليس يعنى به ما يحجب البصر، وإنما يعني ما يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة.

مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ١٠٨، كتاب الحاء.

(٢) في سؤال سأل جاثلق أمير المؤمنين عليه السلام قال: أين الآخرة من الدنيا قال عليه السلام: الدنيا في الآخرة والآخرة محيطة بالدنيا إذ كانت النقلة من الحياة إلى الموت ظاهرة وكانت الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون وذلك أن الدنيا نقلة والآخرة حياة ومقام.

إرشاد القلوب، الديلمي: ٢/٣٠٩، فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام.

(٣) سورة الإسراء / ٥١.

(٤) سورة سبأ / ٥١.

﴿ كَفَرُواْ ﴾[١] و﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[٢] و﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾[٣].

وفي هذا السياق أيضاً ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾[٤].

فالـ«سبق» بالنسبة إلى شيء معين، يعني أنه يؤدي إلى «الحيلولة»[٥]، فمثلاً عندما تقول «سبقت إلى مكان كذا» يعني أن هناك شيء آخر، يمكن أن يصل إلى هذا المكان، وأنت أصبحت حائلاً بينه وبين المكان عندما سبقته إليه، إذن كلمة الله سبقت فحالت بينهم وبين الأجل المسمى الذي هو ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٦] كل هذا يدل على أن القيامة محيطة بهؤلاء، ولولا الحائل الإلهي الذي حال بينهم وبين «الأجل»، لشملهم جميعاً الحكم القطعي[٧]

(١) سورة الملك / ٢٧.

(٢) سورة النحل / ٧٧.

(٣) سورة آل عمران / ٣٠.

(٤) سورة الشورى / ١٤.

(٥) الحول: كل شيء حال بين اثنين، يقال هذا حوال بينهم، أي: حائل بينهما كالحاجز والحجاز.
قال الليث: يقال حال الشيء بين الشيئين يحول حولا وتحويلا، أي: حجز.
لسان العرب، ابن منظور: ١١ / ١٨٧، مادة «حول».

(٦) سورة البقرة / ٣٦.

(٧) الحكم القطعي: وهو الحكم الذي تحقق القطع فيه من طرفي الثبوت والدلالة.
فأما أنه قطعي الثبوت، فلأنه قرآن وهو متواتر، وأما القطع في الدلالة، فلأن الألفاظ ونسبتها ←

للقيامة[١]. والآيات التالية تأتي في نفس السياق:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[٢] و﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[٣] و﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] و﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾[٥].

ليست لها إلا دلالة واحدة في لسان العرب.

معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال: ١٣١، حرف الحاء، الحكم القطعي.

(١) قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ سورة يونس/١٩، بتأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ سورة يونس/١٩، عاجلا فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ولتميّز المحقّ من المبطل، ولكنّ الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدّار للتّكليف والاختبار، وتلك للثّواب والعقاب.

الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني: ١/ ٥٠٧، تفسير سورة يونس.

وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الشورى/ ١٤، معناه: ولولا وعد اللّه تعالى وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخر العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوه عاجلا.

مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٤٢، تفسير سورة الشورى.

(٢) سورة النازعات / ٤٦.

(٣) سورة الأحقاف / ٣٥.

(٤) سورة المؤمنون / ١١٢ ـ ١١٤.

(٥) سورة الروم / ٥٦.

ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم

إن انكشاف الباطن، وانتفاء الظاهر الذي تحدثنا عنه، يؤدي إلى أن يظهر الباري عز وجل في ذلك اليوم[١]، فالحجب ترفع، والحق يكشف، ويصل الجميع إلى غاية الغايات، ويبلغون في سعيهم منتهى النهايات، وهذا هو البيان الإلهي:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[٢]. و﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[٣]. و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[٤]. و﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥].

و﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦]. و﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[٧]. و﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٨].

---

(١) قال البحراني: أما الظاهر فليس من أجل أنه ظهر على الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنم لذراها، ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها، كقول الرجل: ظهرت على أعدائي، وأظهرني الله على خصمي، يخبر عن الفلج والغلبة، وهكذا ظهور الله على الأشياء. البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ٢/ ٤٦٥، تفسير سورة الأنعام.

(٢) سورة النازعات / ٤٢ ـ ٤٤.

(٣) سورة النجم / ٤٢.

(٤) سورة الانشقاق / ٦.

(٥) سورة البقرة / ٢٨.

(٦) سورة المائدة / ١٨.

(٧) سورة الشورى / ٥٣.

(٨) سورة الملك / ٢٥ ـ ٢٦.

و﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

إن هـؤلاء الـسائلين، تـصوروا أن القيامـة أمـر زمـاني تمتـد جـذوره في زمانهم، فسألوا: متى ذلك؟! فأراد الله صرف اهتمامهم إلى موضوع آخر يمكن لهم إدراكه، ولما أصروا في سؤالهم، أجابهم جل وعلا بأن علم القيامة عنده.

ولا يمكن أن يكشف ليس بسبب معلوماتنا الناقصة، بل لمصلحة خفية[٢]، ولهذا فإن الله تعالى أتبع الجواب بعبارة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة الأعراف / ١٨٧.

(٢) قال الطوسي: وفي قوله أول الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ سورة الأعراف / ١٨٧، يعني: علم وقت قيامها. وقوله في آخرها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ سورة الأعراف / ١٨٧، معناه: علم كيفيتها وشرح هيئتها وتفصيل ما فيها لا يعلمه إلا الله.

التبيان، الطوسي: ٥ / ٤٨، تفسير سورة الأعراف.

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ سورة الأعراف / ١٨٧، فإنه أمر من الله لنبيه محمدا (ﷺ) بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره.

جامع البيان، إبن جرير الطبري: ٩ / ١٨٥، تفسير سورة الأعراف.

(٣) سورة الأعراف / ١٨٧.

تبدد الظلمة يوم القيامة

عندما ترفع حجب الدرجات والمستويات والخفايا يوم القيامة، ولا يبقى شيء خافياً على آخر، سيمتلئ الفضاء بالنور. ذلك أن حقائق الأمور قد تجلت[١]، وهذا هو قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[٢] و﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[٣]﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٤] و﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[٥] و﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٦] و﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٧].

وقد ورد في تفسير القمي، حديث عن الإمام السجاد عليه السلام، حول ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[٨]، يقول فيه أن المقصود بـ﴿غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾، هي أرض لا

---

(١) أمر جلي: واضح. وتقول أجل لنا هذا الأمر، أي: أوضحه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٦/ ١٨٠، مادة «جلو».

جلا الأمر وجلاه وجلى عنه: كشفه وأظهره.

لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ١٥٠، مادة «جلا».

(٢) سورة النبأ / ١٩.

(٣)سورة إبراهيم / ٤٨.

(٤) سورة الزمر / ٦٩.

(٥) سورة العنكبوت / ٦٤.

(٦) سورة الإنشقاق / ٣ ـ ٤.

(٧) سورة الزلزلة / ٢.

(٨) سورة إبراهيم / ٤٨.

يرتكب عليها ذنب، أرض ظاهرة مكشوفة، لا يشاهد عليها أي نبات أو جبل، كما خلقها الله تعالى مستوية أول مرة، أما عرشه فيكون على الماء، كما كان أول مرة، قائماً على العظمة والقدرة الإلهية[1].

وليس هناك تناقض بين ما فهمناه عن نورانية الموجودات يوم القيامة، والآيات التي تتحدث عن حرمان الكفار من النور، مثل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2] و﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[3] و﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[4].

بينما قال الله تعالى عن المؤمنين:

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[5] و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[6] و﴿كَمَن

---

(١) عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ سورة الطور/ ٩ ـ ١٠، يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض، يعني: بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته... الحديث.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٥٢، تفسير سورة الزمر، ماذا يعطي الله وليه في الجنان، كيفية نفخ الصور.

(٢) سورة النور / ٤٠.

(٣) سورة الحديد / ١٣.

(٤) سورة طه / ١٢٤.

(٥) سورة الحديد / ١٢.

(٦) سورة الحديد / ١٩.

﴿مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾[١] و﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[٢].

إن الظلمات التي يعانيها الكفار يوم القيامة، هي نفس الظلمات التي اشتروها في حياتهم، فتجلت لهم يوم القيامة. وفي ذلك نعرف أن كلا الظلمة والنور موجودان يوم القيامة، فالمؤمنون ينعمون بالنور، بينما يحرم المشركون منه. وعلى نفس السياق، فقد مر الحديث آنفاً عن رفع الحجب بين الإنسان وخالقه[٣].

وفي القرآن الكريم آيات أخرى في نفس:

﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۢۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٤]

و﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ﴾[٥].

وبهذا الصدد توجد روايات تفيد بأن المشركين يكذبون يوم القيامة[٦]، وهذا

---

(١) سورة الأنعام / ١٢٢.

(٢) سورة البقرة / ٢٥٧.

(٣) أنظر: الفصل الرابع، ظهور الباري عز وجل في ذلك اليوم.

(٤) سورة النحل / ٢٨.

(٥) سورة المجادلة / ١٨.

(٦) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ سورة يس / ٦٥، إذا جمع الله الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئا فتشهد عليهم الملائكة فيقولون يا رب ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئا، وهو قوله ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ سورة المجادلة / ١٨، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ←

ما يعتبر، ظهوراً للمعصية التي قاموا بها في حياتهم، وبالتالي فإن ذلك لا يتنافى مع مقولة أن الكذب غير ممكن يوم القيامة. ذلك أن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته، سواء كان طاعة أم معصية، لابد وأن ينكشف يوم القيامة[1]. والله تعالى يقول ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[2].

→

ألسنتهم وتنطق جوارحهم.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢١٦، تفسير سورة يس، قصة أبي سعيد مع الرضا عليه السلام.

قال إبن طاووس في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ سورة الأنعام / ٢٤، يدل على تعجبه منهم كيف أنكروا أنهم أشركوا.

الطرائف، إبن طاووس: ٢/ ٣١٨، بيان أقوال الطائفة المجبرة وردها.

(١) قال عبد الكريم الخطيب: ينكشف يوم القيامة للخليقة بأجمعهم، حين يجمعهم فى صعيد واحد، ويوصّل لكل نفس ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشرّ، واللذة والألم، حتى مثقال الذّرة، ويوصّل كلّ نفس إلى غاياتها التي تشهد هى أنّها أولى بها.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٨ / ٦٩٣، تفسير سورة الكهف.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، سورة الزلزلة/٦، إراءتهم أعمالهم: إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ٣٤٣، تفسير سورة الزلزلة.

(٢) سورة النساء / ٤٢.



الفصل الخامس

بعث الإنسان للمساءلة

بعث الإنسان للمساءلة

لما كان المعاد، هو عودة الأشياء، بكل وجودها، إلى مصدرها الأول، وحيث أن هذه العودة، أمر ضروري، كما مر ذكره[1]، فإنها يجب أن تتم بكل وجود الأشياء، بما يتضمنه هذا الوجود من مراتب ودرجات واتجاهات مختلفة. وعلى هذا فإن التحاق الجسم بـ«النفس» عند المعاد، أمر ضروري. فالنشأة الأولى (الدنيا) تتبدل إلى النشأة الأخرى، التي فيها آخر مراحل الكمال والحياة، وفيها يعود البدن إلى «النفس»، فتعود إليه الحياة والنورانية [2].

(١) أنظر: المعاد في المقدمة لهذا السفر الجليل.

(٢) قال صدر المتألهين: المعاد: هو بعينه بدن الإنسان المشخص الذي مات بأجزائه بعينها لا مثله، بحيث لو رآه أحد يقول أنه بعينه فلان الذي كان في الدنيا.

المبدأ والمعاد، صدر المتألهين الشيرازي: ٤٩٠، المقالة الثانية في المعاد الجسماني، فصل في تفصيل الأقوال في المعاد.

قال المجلسي: المعاد الجسماني: عبارة عن عود النفس إلى بدن، هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف.

بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٥٠، كتاب العدل والمعاد، باب٣ إثبات الحشر وكيفيته وكفر من أنكره.

قال كاشف الغطاء: المعاد الجسماني: بأنه تعالى يعيد الأبدان بعد الخراب ويرجع هيئتها الأولى بعد ←

وفي حـديث الإمـام الـصادق عليه السلام إلى الزنـديق[1] المعـروف ــ كمـا ورد في «الاحتجاج» ـ إشارة لهذا الموضوع إذ يقـول لـه أن الـروح تـسكن في قالبهـا ، فـروح المحسن والمطيع تسكن في نور وراحة ، بينما تسكن روح المذنب في الظلمة والشقاء. أما الجسم فيعود تراباً كما خلق أول مرة ، وما تأكله الحيوانات المفترسة والحشرات يتحول إلى فضلات تظل في التراب أيضاً. ولـن يخفـى علـى الله ، ولـو مثقـال ذرة في ظلمات الأرض ، فهـو الـذي لا تخفـى عليـه خافيـة ، مهمـا صـغرت حجمـاً ووزنـاً. ويظـل تـراب الموجـودات ذات الـروح ، بـين بـاقي الـتراب ، كالـذهب المـدفون في الأرض. وعنـدما يحـين وقـت البعـث ، تمطـر الـسماء ، مطـراً للبعـث ، بعـدما تربـت الأرض وتهتـز ، فيتميـز تـراب البـشر عـن بـاقي الـتراب ، فيطفـو وكأنـه الـذهب المغـسول ، ثـم يتجمـع الـتراب ، كـل في قالبـه ، وينتقـل ، بـإذن ربـه ، إلى حيـث الأرواح ، وبإذن الله المصور تعود الأجسام إلى شكلها السابق ، وتحلّ فيها الأرواح. فيكتمل الأمر ، وتعود الأجسام وكأن شيئاً لم يتغير منها[2].

ان صارت إلى التراب ويحل بها الأرواح على نحو مـا كانـت ويضمها إليهـا بعـدما انفصلت وبانـت فكان الناس نيام انتبهوا فإذا هم قيام ينظرون إلى عالم جديد لا يحيط به التوصيف والتحديد.

كشف الغطاء ، جعفر كاشف الغطاء : ١ / ٥ ، في أصول العقائد.

(١) عن علي بن منصور ، قـال : قـال لـي هـشام بـن الحكـم : كـان بمـصر زنـديق... كَـانَ اسْـمُهُ عَبْـدَ الْمَلِكِ وكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَآمَنَ الزنديق عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِاللَّهِ عليه السلام فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ فَكَـانَ مُعَلِّـمَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ مِصْرَ الإيمان وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبدالله.

الكافي ، الكليني : ٧٢/١ ـ ٧٤ ، كتاب التوحيد ، باب حدوث العالم وإثبات المحدث/ ح١.

(٢) أنظر : الاحتجاج ، الطبرسي : ٣٥٠/٢ ، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنـواع شـتى مـن العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

وهـذه الـصورة يمكـن ملاحظتهـا في التمثيـل القرآنـي للبعـث، بأنـه كإحيـاء الأرض ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[١] و﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٢].

إذ نلاحظ هنا أن الإنسان المادي (أي البدن)[٣] عندما يصل إلى الغاية التي حددها الله تعالى، يطرأ عليه التبدل والتغيير، وهذا هو قول الله:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٤].

فالآية الكريمة تؤكد أن الذي يقدر على إضرام النار في الشجر الأخضر[٥] ـ

---

(١) سورة ق / ١١.

(٢) سورة الحج / ٥ ـ ٧.

(٣) البدن من الجسد ما سوى الشوى والرأس.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨ / ٥١، مادة «بدن».

قال الطريحي: البدن: ما سوى الرأس والأطراف.

مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ١٦٦، مادة «بدن».

(٤) سورة يس ٧٨ ـ ٨٠.

(٥) قال القمي في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾
←

رغم التضاد الموجود ــ لهو قادر أيضاً على إحياء العظام وهي رميم[١]. وبنفس المضمون تأتي الآية الكريمة ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. و﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[٣].

سورة يس / ٨٠، وهو المرخ والعفار ويكون في ناحية بلاد الغرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عودا فحركوه فيه فيستوقدون منه النار.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢١٨، تفسير سورة يس، قصة أبي سعيد مع الرضا عليه السلام.

وقال النحاس في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ سورة يس / ٨٠، هو المرخ والعفار تستعمل الأعراب منه الزنود.

معاني القرآن، النحاس: ٥/ ٥٢٠ ـ ٥٢١، تفسير سورة يس.

(١) قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ سورة يس / ٨٠، أي: إذا تكن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر.

تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣ / ١٦٣ ـ ١٦٤، تفسير سورة النحل.

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ سورة يس / ٨٠ ـ٨١، يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرا سويا، وخلقا جديدا، كما بدأها أول مرة.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٢٣/ ٣٩، تفسير سورة يس.

(٢) سورة الواقعة / ٦٠ ـ٦١.

(٣) سورة الإنسان / ٢٨.

والمقصود في «تبديل الأمثال»، هو الخلق المتكرر، حيث ورد في الآية ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١] و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٢].

والمقصود بـ«الأمثال»[٣] هو ذلك المصطلح المستخدم في العلوم العقلية[٤]، أي

---

(١) سورة ق / ١٥.

(٢) سورة الرحمن / ٢٩.

(٣) المثال: صورة الشيء الذي تمثل صفاته، والقالب أو النموذج الذي يقر على مثله.

المثال عند إفلاطون: صورة مجردة، وحقيقة معقولة، أزلية ثابتة، قائمة بذاتها، لا تتغير، ولا تدثر، ولا تفسد.

المعجم الفلسفي، صليبا: ٣٣٥/٢، باب الميم، المثال.

المثال: هو الفكرة المجردة التي تكون نموذجا تأتي على غراره أفراد النوع الواحد.

الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، صلاواتي: ٧/ ٣١٤٠، حرف الميم «مثال».

(٤) قال ابن خلدون:

العلوم الحكمية الفلسفية: وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: ١ / ٤٣٥، الفصل الرابع في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد.

قال جميل صليبا: قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين:

الأول ـ قسم العلوم العقلية:

وهي طبيعية للإنسان من حيث هو ذو فكر، وتسمى بالعلوم الحكمية، وتشتمل على أربعة علوم: المنطق، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي.

المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ / ١٠٠، باب العين، العلم.

«الاتحاد النوعي»[١] والاختلاف الشخصي. باعتبار أن مثل الشيء، هو غير الشيء نفسه[٢] ولهذا لا يمكن الاستدلال بالآية ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

للرد على منكري الحشر[٤]، لأن «خلق مثلها» لا يعني إعادتها ثانية. إذن

(١) الاتحاد: في الجنس يسمى المجانسة، وفي النوع مماثله، وفي الخاصة مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواه، وفي الأطراف مطابقة، وفي الإضافة مناسبة، وفي وضع الأجزاء موازنه.
التعريفات، الجرجاني: ١٣ـ ١٤، باب الألف، الإتحاد.
الاتحاد: هو صيرورة الشيئين المختلفين شيئاً واحداً. وله عدة درجات: أدناها درجة الأشتراك البسيط في أمور عرضية، وأعلاها درجة الأتحاد الصوفي.
وليس المقصود بالاتحاد أن يصير الشيء شيئاً آخر، ولا إن يزول أحد الشيئين ويبقى الآخر، وإنما المقصود به أن يكون بين الشيئين علاقة يشتركان فيها مع احتفاظ كل منهما بهويته.
مثال ذلك: الاتحاد بطريق التركيب، وهو ان ينضم شيء الى آخر، فيحصل منهما شيء ثالث. لذلك قال ابن سينا: «الاتحاد هو حصول جسم واحد بالعدد من اجتماع اجسام كثيرة».
(رسالة الحدود). وكل اتحاد يوجب بقاء الذوات الداخلة فيه متميزة الوجود بعضها عن بعض، كاتحاد النفس بالبدن، فهو اتحاد جوهري لا يمنع عقولنا من تصور حدوده تصوراً واضحاً ومتميزاً.
المعجم الفلسفي، صليبا: ١/ ٣٤ ـ ٣٥، باب الألف، الاتحاد.

(٢) قال العيني في العمدة: مثل الشيء غيره.
عمدة القاريء، العين: ١٠/ ٩٣، باب الدعاء عند الجمرتين.

(٣) سورة يس / ٨١.

(٤) قال الزحيلي، منكري الحشر القائلين: لا فائدة في التكاليف إذ لا مرجع بعد الهلاك والزوال.
التفسير المنير، الزحيلي: ١٨٢/٢٠، تفسير سورة العنكبوت.
قال السبزواري: منكري الحشر والنّشر وهم الدهريّون الذين قالوا وَما يُهْلِكُنا إِلا الدَّهْر.
←

فالمقصود بـ«يخلق مثلهم»[1] أوبـ«تبديل أمثالهم» هي التغييرات التي تجرى عليهم دون أن تخرج من إطار وجودهم الأصلي. وفي هذا السياق، نجد الكلام الإلهي أحياناً، يستبدل «مثل» بـ«عين» كما في قوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[2] و﴿لَيْسَ عِندَ رَبِّكَ﴾[3].

إذن فالمقصود بـ«مثل الشيء»، هو الشيء نفسه[4] وهذا الاستخدام هو نوع من الاستعارات[5] اللغوية[6].

→

الجديد في تفسير القرآن المجيد، السبزواري: ٦/ ١٧، تفسير سورة يس.

قال الفخر الرازي: منكري الحشر يقولون لا فائدة في التكاليف فإنها مشاق في الحال ولا فائدة لها في المآل إذ لا مآل ولا مرجع بعد الهلاك والزوال.

مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: ٢٣/٢٥، تفسير سورة العنكبوت.

(١) سورة يس / ٨١.

(٢) سورة الأحقاف / ٣٣.

(٣) سورة الشورى / ١١.

(٤) المثل: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٢٨، مادة «مثل».

قال الزركشي: المراد مثل الشيء: ذاته وحقيقته.

البرهان، الزركشي: ٤/ ٣١٠، الكاف.

(٥) الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى استعارة تصريحية وتحقيقية.

التعريفات، الجرجاني: ١٩، مادة «الاستعارة».

(٦) من الاستعارات اللغوية:

←

وخلاصة الأمر، أن جميع الآيات السالفة الذكر[1] تؤكد أن الأجسام في حالة تغير دائم من حال إلى حال، حتى تصل إلى يوم القيامة وتلتحق بالأرواح ثانية. يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[2] و﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾[3] حيث استخدم «ما» للتدليل على الأجسام[4]، وكذلك ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾[5].

أ ـ الاستعارة التخييلية: ان يستعمل مصدر الفعل في معنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه ثم يتبع فعله له في النسبة إلى غيره.

أيضا: هي إضافة لازم المشبه به إلى المشبه.

ب ـ الاستعارة بالكناية: وهي إطلاق لفظ المشبه وإرادة معناه المجازي، وهو لازم المشبه به.

ج ـ الاستعارة المكنية: هي تشبيه الشيء على الشيء في القلب.

د ـ الاستعارة الترشيحية: هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه.

التعريفات، الجرجاني: ١٩، باب الألف.

(١) سورة ق / ١١. سورة الحج / ٦ ـ ٧. سورة يس / ٧٨ ـ ٧٩.

سورة الواقعة / ٦١. سورة الإنسان / ٢٨. سورة ق / ١٥.

سورة الرحمن / ٢٧. سورة يس / ٨١. سورة الأحقاف / ٣٣. سورة الشورى / ١١.

(٢) سورة الانفطار / ٤.

(٣) سورة العاديات / ٩.

(٤) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ سورة العاديات / ٩، والمراد بما في القبور الأبدان.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ٣٤٧.

(٥) سورة النازعات / ١٣ ـ ١٤.

سير الأرواح إلى خالقها

على الرغم مما تحدثنا عنه، فإن الروح تتحرك نحو خالقها[(١)]، والله تعالى يقول:

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[(٢)].

إذن فالروح، كالملائكة، تعرج إلى الله وكذا الأمر[(٣)] في قوله تعالى:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[(٤)].

---

(١) قال مكارم الشيرازي: ولا فرق في توجيه معنى «اللقاء» سواء كان لقاء يوم القيامة والوصول إلى عرصة حا كمية الله المطلقة، أو بمعنى لقاء جزاء الله من عقاب أو ثواب، أو بمعنى لقاء ذاته المقدسة عن طريق الشهود الباطني.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازي: ٢٠/ ٥٦، تفسير سورة الإنشقاق.

(٢) سورة المعا رج / ٣ ـ ٤.

(٣) قال ابن أبي الحديد: وفي قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سورة المعا رج /٤، قالوا: اليوم هو إشارة إلى الدنيا وفيها يكون عروج الملائكة والروح إليه واختلافهم بالأمر من عنده إلى خلقه وإلى رسله قالوا وليس قول بعض المفسرين أنه عنى يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا يكون للملائكة والروح عروج إليه سبحانه لانقطاع التكليف.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ١٩٥، اختلاف الأقوال في عمر الدنيا.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ سورة المعارج/ ٤، بعروج الملائكة والروح إليه يومئذ رجوعهم إليه تعالى عند رجوع الكل.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ٨.

(٤) سورة غافر / ١٥.

وفي آية أخرى يتحدث تعالى عن أهل السعادة، وأهل الشقاء فيقول:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾[(١)]

و﴿وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[(٢)].

وعن أهل الجنة يقول:

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[(٣)]، أما عن أهل جهنم فيقول تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾[(٤)]، وقد قال جل وعلا أن أهل جهنم هم حطبها، وبهم يزداد سعيرها، وانطفاؤها يعني احتراق أهلها جميعاً[(٥)].

---

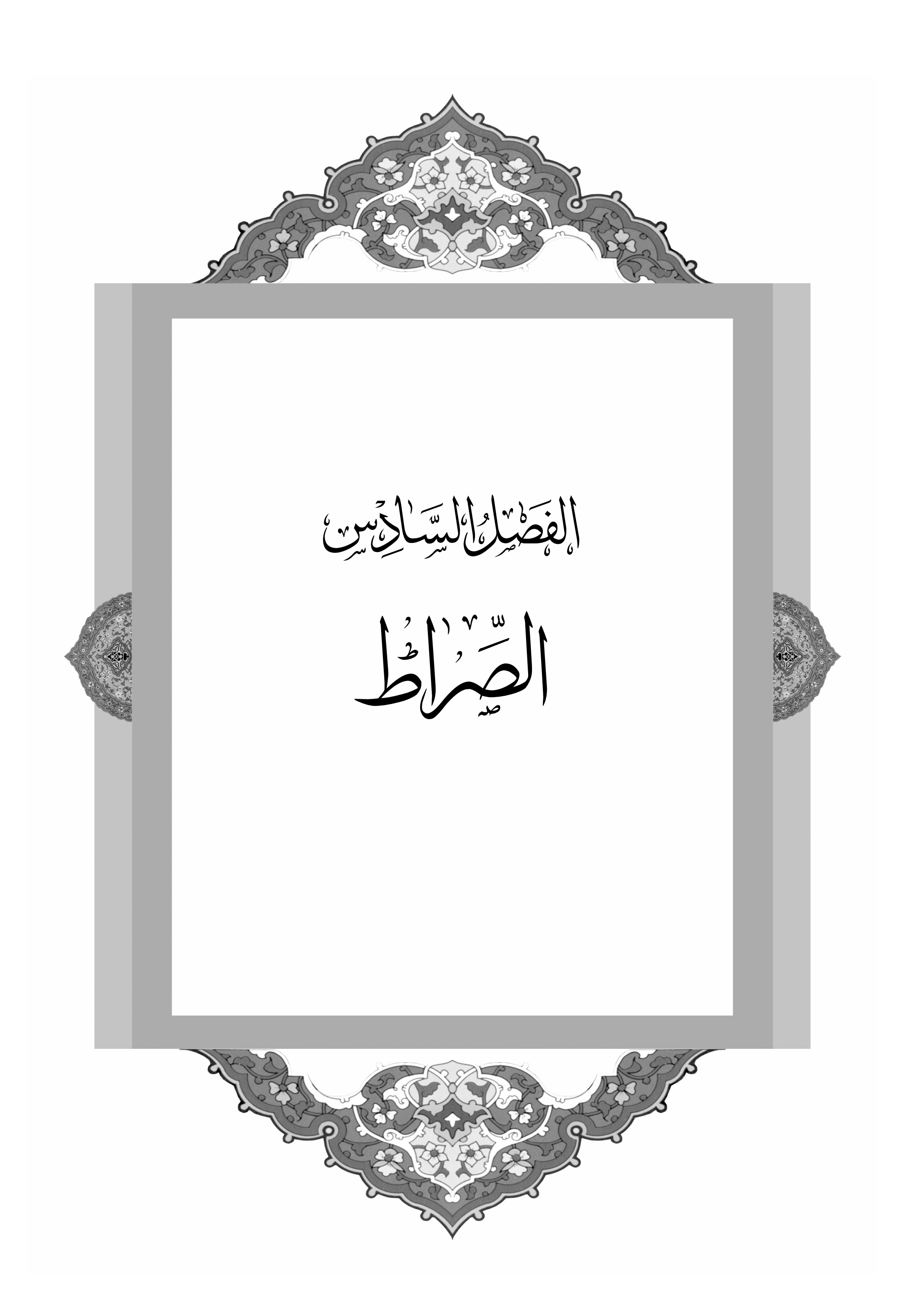
(١) سورة الأحقاف / ١٩.

(٢) سورة الإسراء / ٢١.

(٣) سورة البقرة / ٢٥.

(٤) سورة الإسراء / ٩٧.

(٥) عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ سورة الإسراء / ٩٧، يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئا صارت جمرا تتوهج، فذلك خبوها، فإذا بدلوا خلقا جديدا عاودتهم.
جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٥ / ٢١٠، تفسير سورة الإسراء / الآية ٩٧.



الفَصْلُ السَّادِسُ

الصِّرَاطُ

الصراط

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[1] و﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[2].

في هذه الآيات، يخبرنا الباري عز وجل، أنه يهدي الظالمين وأزواجهم ــ أي شياطينهم ــ إلى جهنم. والمقصود بـ«أزواجهم» هو الشياطين[3]، وهو ما يفهم من

(١) سورة النساء / ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) سورة الصافات / ٢٢ ـ ٢٥.

(٣) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ سورة الصافات / ٢٢، يعنى قرناءهم من الشياطين.

تفسير القرطبي، القرطبي: ٩ / ٣٨٥، تفسير سورة إبراهيم.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ... الآية﴾ سورة الصافات/٢٢، الظاهر: إن المراد به (أزواجهم): قرناءهم من الشياطين.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ١٣٠ ـ ١٣١، تفسير سورة الصافات.

الآية الكريمة:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا

إلى أن يقـــول وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[١].

إذن، وكما تشير هذه الآيات، فإن الصراط هو طريق يقع على جهنم أو في داخلها[٢]، ذلك أن الباري عز وجل يخبرنا هنا عن الـ«ورود» إليها والـ«نجاة» منها. وفي آية أخرى يخبرنا القرآن عن «الامتلاء الحتمي» لجهنم:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة مريم / ٦٨ ـ ٧٢.

(٢) قال الشيخ المفيد: الصراط: جسر بين الجنة والنار تثبت عليه أقدام المؤمنين وتزل عنه أقدام الكفار إلى النار.

أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٧٩، القول في الحساب وولاته والصراط والميزان.

قال المازندراني: الصراط جسر ممدود على جهنم والأشقياء يتساقطون منه والسعداء يمرون عليه.

شرح أصول الكافي، المازندراني: ١٠ /٤٧٢.

قال الطباطبائي: الصراط: انه جسر ممدود على النار يؤمر بالعبور عليها البر والفاجر فيجوزه الأبرار ويسقط فيها الفجار.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٤ / ٩٤، تفسير سورة مريم.

وقال الطباطبائي في كتابنا هذا في الفصل السادس، بحث الصراط: الصراط: انه يقع على جهنم او في داخلها.

(٣) سورة السجدة / ١٣.

وهذا الطريق الذي يقام على طول جهنم، هو ممر لكل الخلق، الصالح منهم والمسيئ، إذ ينجي الله المتقين منهم، ويترك الظالمين إلى سعير النار. والملفت أن كلمة «الظلم» تتكرر عدة مرات وكذلك «الطغيان»[١]، مثل:

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[٢] وهو الإفراط في الظلم والاستكبار[٣] ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾[٤] و﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾[٥].

(١) قال ابن سيده: طغى يطغي طغيا ويطغو طغيانا: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر.

لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٧، مادة «طغي».

طغي كرضي طغيا وطغيانا بالضم والكسر: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٤ / ٣٥٦.

(٢) سورة الفجر / ١١.

(٣) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ سورة الفجر / ١١، معناه: إن هؤلاء الذين ذكرناهم تجاوزوا في الظلم الحد في البلاد، وخرجوا عن حد القلة وفسر ذلك بقوله: ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ سورة الفجر / ١٢، يعني: أكثروا في البلاد الفساد.

التبيان، الطوسي: ١٠ / ٣٤٣، تفسير سورة الفجر.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾سورة الفجر / ١١، يعني عادا وثمودا وفرعون «طغوا»، أي: تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان.

تفسير القرطبي، القرطبي: ٢٠ / ٤٩، تفسير سورة الفجر.

(٤) سورة الفجر / ١٢ ـ ١٤.

(٥) سورة النبأ / ٢١.

إن الظلم والتفريط بحق الناس، والتفريط بحق النفس أو في حق الله تعالى، إنما يحدث باتباع الشيطان وهوى النفس، وتمتد جذور ذلك في تعلق الإنسان بالدنيا وانخداعه بزينتها وبالاوهام التي تشكل بمجموعها ما يسمى بالتمدن[١]، وهي أوهام لاحقيقة لها، ولعل ذلك ما يسألون عنه كما في ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾[٢].

وحول تفسير «أنهم مسؤولون»[٣] روي عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) بأن العبد لا يخطو يوم القيامة خطوة قبل أن يسأل عن أربعة أشياء: عن شبابه كيف عاشه، وعن عمره كيف قضاه، وعن ماله كيف جمعه وكيف صرفه، وعن حبّنا نحن أهل البيت[٤].

ويورد «القمي» في تفسيره رواية عن الإمام الصادق عليه السلام[٥] يقول فيها أن الذي هم عنه «مسؤولون»[٦] هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[٧].

---

(١) التمدن: هو إجتماع الإنسان مع بني نوعه للتعاون والتشاور في تحصيل الملائم والحاجات.
شرح أصول الكافي، المازندراني: ١/ ٢٤٥، كتاب العقل والجهل.

(٢) سورة الصافات / ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) سورة الصافات / ٢٤.

(٤) أنظر: الخصال، الشيخ الصدوق: ١ / ٢٥٣، لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع / ح ١٢٥.

(٥) تفسير الآية لعلي بن إبراهيم القمي صاحب التفسير.

(٦) سورة الصافات / ٢٤.

(٧) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٢٢، سورة الصافات، خبر عمران الكواكب. و٢/ ٤٤٠، تفسير سورة التكاثر.

وفي حديث شريف، يقول النبي ﷺ[١]: إن الناس كلهم يدخلون النار، ثم يبدأون بالخروج منها حسب أعمالهم فأول من يخرج، يكون خروجه كضوء البرق، والثاني يخرج كما تهب الريح، والثالث كركض الحصان، والأخير كالسير على الأقدام[٢].

وعن النبي ﷺ أيضاً: إنّ النار تقول للمؤمن يوم القيامة «أعبر بسرعة، فنورك يكاد يخمد لهيبي»[٣]. وعندما يسأل النبي ﷺ عن آية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[٤].

يقول عندما يدخل الصالحون الجنة، تسأل مجموعة، مجموعة أخرى: ألم يعدنا ربنا بأن ندخل النار جميعاً؟ فتجيب المجموعة الأخرى، لقد دخلتم لكن النار كانت قد بردت[٥].

---

(١) الحديث مروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) أنظر: تفسير القمي، القمي: ١/ ٢٩، تفسير سورة الفاتحة.

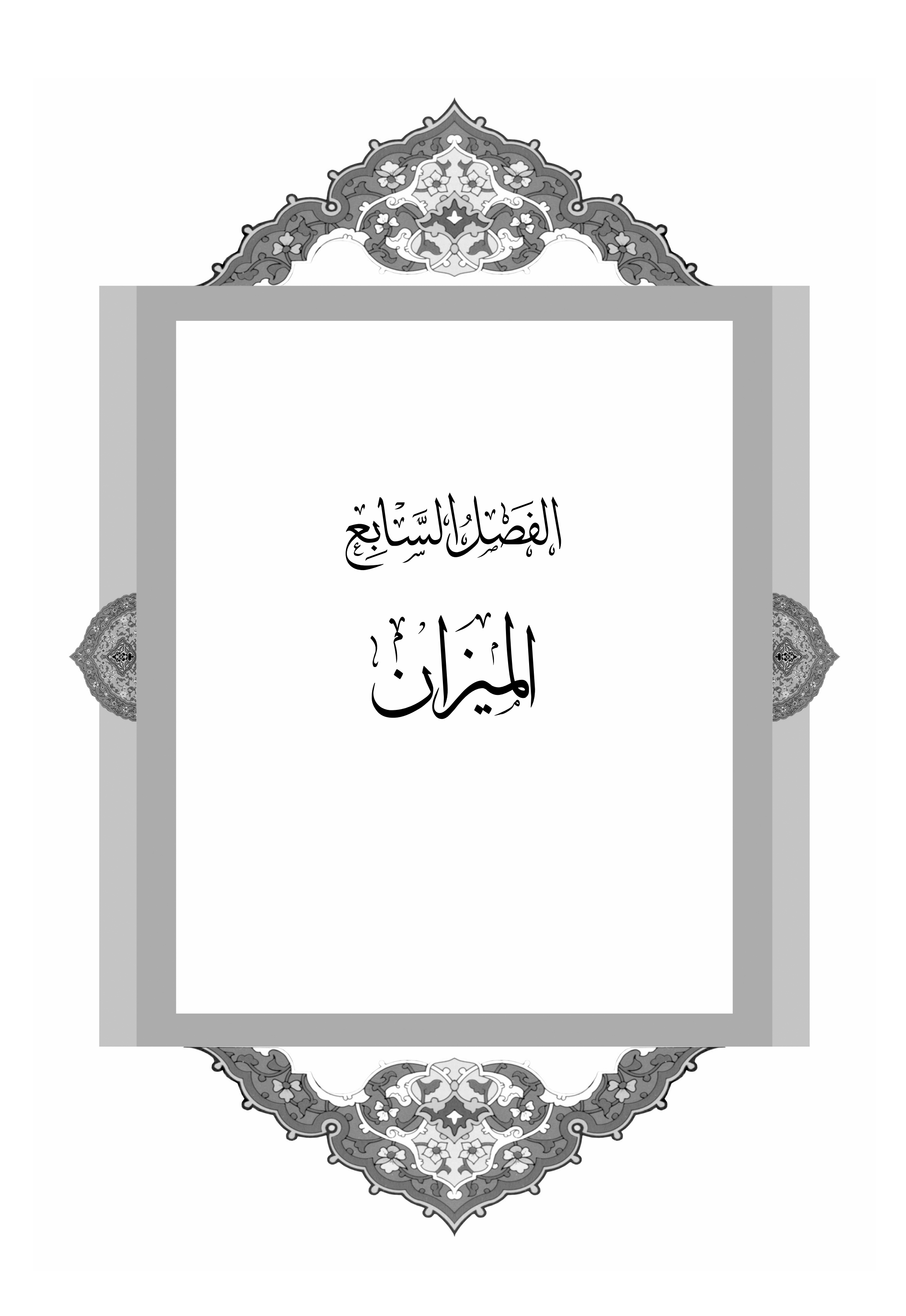
(٣) قال النبي ﷺ: إذا مر المؤمن على الصراط فيقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة الفاتحة / ١، طفئت لهب النيران وتقول جز يامؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي.

جامع الأخبار، الشعيري: ٤٢ ـ ٤٣، الفصل الثاني والعشرون.

(٤) سورة مريم / ٧١.

(٥) عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ النبي عليه السلام سُئِلَ عَنْ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ سورة مريم / ٧١، فَقَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَرِدَ النَّارَ فَيُقَالُ لَهُمْ قَدْ وَرَدْتُمُوهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ.

بحار الأنوار، المجلسي: ٨/ ٢٥٠، كتاب العدل والمعاد، باب ٢٤ النار أعاذنا الله وسائر المؤمنين من لهبها.



الفصل السابع

الميزان

الميزان

يقول الباري عز وجل:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[1].

في هـذه الآيـات يـبين الله تعـالى أن «الـوزن» هـو مـن الحقـائق الثابتـة يـوم القيامة[2]، ولعل المقصود بالجمع (الموازين) في عبارة ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[3]، و﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[4] هو عدد المرات التي يتم فيها الوزن، كما توضح هذه الآيات أن ثقل الوزن هو في الحسنات، وخفة الوزن في السيئات، رغم أن ظاهر

---

(١) سورة الأعراف / ٨ ـ ٩.

(٢) قال الثعالبي في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ سورة الأعراف / ٨، التقدير والوزن الحق ثابت أو ظاهر، يومئذ، أي: يوم القيامة.

تفسير الثعالبي، الثعالبي: ٣/ ٩، تفسير سورة الأعراف.

(٣) سورة الأعراف/ ٨.

(٤) سورة الأعراف / ٩.

الأمر يفترض أن يكون عكس ذلك[١]، كما يبدو من قوله تعالى:

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٢] و﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٣] و﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[٤].

إن ثقل وزن الأعمال الصالحة، وخفة وزن السيئة، كما بينها الباري عز وجل، يعود إلى بقاء الحسنات والأعمال الصالحة، وفناء الأعمال السيئة ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٥].

---

(١) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ سورة الأعراف / ٩، أي: ثقلت سيئاته على حسناته.

تفسير ابن كثير، بن كثير: ٣ / ٢٦٧، تفسير سورة الأنبياء.

قال الطباطبائي: أما قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ سورة الأعراف / ٨، و﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ سورة الأعراف /٩، فإنما يعني الحسنات توزن الحسنات والسيئات، فالحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ١٧، تفسير سورة الأعراف.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ... الآية﴾ سورة الأعراف /٨، ان الميزان الذي يذكره إما أن يثقل وهو رجحان الحسنات أو يخف وهو رجحان السيئات.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٨ / ١٤٣، تفسير سورة الأعراف.

(٢) سورة فاطر / ١٠.

(٣) سورة المجادلة / ١١.

(٤) سورة التين / ٥.

(٥) سورة الرعد / ١٧.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[١] إذ وصف الموازين بالقسط، وبين الفرق في الوزن بين الحسنات والسيئات[٢].

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما يتعلق بـ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾[٣] قوله أن المقصود بذلك الحسنات. فالحسنات والسيئات يجري وزنها، فتكون الأولى هي الثقل في الميزان أما الثانية «فوزنها قليل»[٤].

أما في «الاحتجاج» فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بذلك، هو زيادة الحسنات أو قلتها[٥].

---

(١) سورة الأنبياء / ٤٧.

(٢) قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ...الآية﴾ سورة الأنبياء / ٤٧، ونضع الموازين العدل وهو القسط، وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر.

عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ... إلى آخر﴾ سورة الأنبياء/ ٤٧، يعني بالوزن: القسط بينهم بالحق في الأعمال والحسنات والسيئات فمن أحاطة حسناته بسيئاته ثقلت موازينه. ومن أحاطة سيئاته بحسناته فقد خفة موازينه.

تفسير الطبري، الطبري: ١٧/ ٣٣، تفسير سورة النبأ.

(٣) سورة المؤمنون / ١٠٢.

(٤) أنظر: التوحيد، الصدوق: ٢٦٨، باب ٣٦ الرد على الثنوية والزنادقة / قطعة من حديث٥.

(٥) الاحتجاج، الطبرسي: ٢٤٤/١، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلا عليه بآي من القرآن ونصه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ سورة الأعراف / ٨ ـ ٩، فهو قلة الحساب وكثرته.

مما مضى يتضح معنى الآية التالية :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾[1]، أي أن الأعمال إذا حبطت، فلن يظل مبرر لإقامة ميزان العدل الإلهي، وهذا الأمر يوضح لنا حقيقة مهمة وهي أن ميزان العدل يوم القيامة، يختص بالأعمال التي لم تحبط فقط[2]، ومن هنا فإن الآية الواردة آنفاً[3]، لا تتنافى مع هذه الآية ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾[4].

إن هذا المبحث يساعدنا على إدراك معنى الروايات الواردة في هذا الشأن. فقد رود في الاحتجاج، أنه عندما سئل، الإمام الصادق عليه السلام من قبل الزنديق المشهور:

---

(١) سورة الكهف / ١٠٥.

(٢) قال الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ سورة الكهف / ١٠٥، بكفرهم فلا يثابون عليها، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ سورة الكهف / ١٠٥، فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها.

التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٣ / ٢٦٧، تفسير سورة الكهف.

(٣) سورة الأنبياء / ٤٧.

(٤) سورة المؤمنون / ١٠٢ ـ ١٠٦.

هل توزن الأعمال؟ أجابه الإمام بالنفي، وبرر ذلك أن الأعمال ليست أجسام مادية، كما أن الذي يحتاج إلى وزن الأشياء، إنما هو الذي لا يعرف عددها أو وزنها، أما الباري عز وجل، فلا تخفى عليه خافية. فسأله الزنديق: إذن ما معنى «الميزان»؟، أجابه الإمام: يعني العدل، فسأله الزنديق مرة أخرى: إذن فما معنى عبارة ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾[١] الواردة في القرآن؟ أجابه الإمام: يعني الذي يرجح عمله[٢].

وفي «التوحيد»، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بـ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾[٣]، إنما هو ميزان العدل الذي به يجرى تقييم أعمال كل العباد، وبه يأخذ لكل ذي حق حقه، ويجازي الظالم والغاصب[٤].

وفي «الكافي» ورد أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٥] فأجاب أن الموازين القسط هم الأنبياء والأوصياء[٦].

---

(١) سورة المؤمنون / ١٠٢.

(٢) أنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٣٥١، احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية.

(٣) سورة الأنبياء / ٤٧.

(٤) التوحيد، الصدوق: ٢٦٨، باب ٣٦ الرد على الثنوية والزنادقة / قطعة من حديث ٥، وفيه النص: «قال الإمام علي عليه السلام في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ سورة الأنبياء / ٤٧، فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين».

(٥) سورة الأنبياء/ ٤٧.

(٦) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ سورة الأنبياء ←

وفيما تقدم من بحث، نجد الدليل على كلام الإمام عليه السلام.

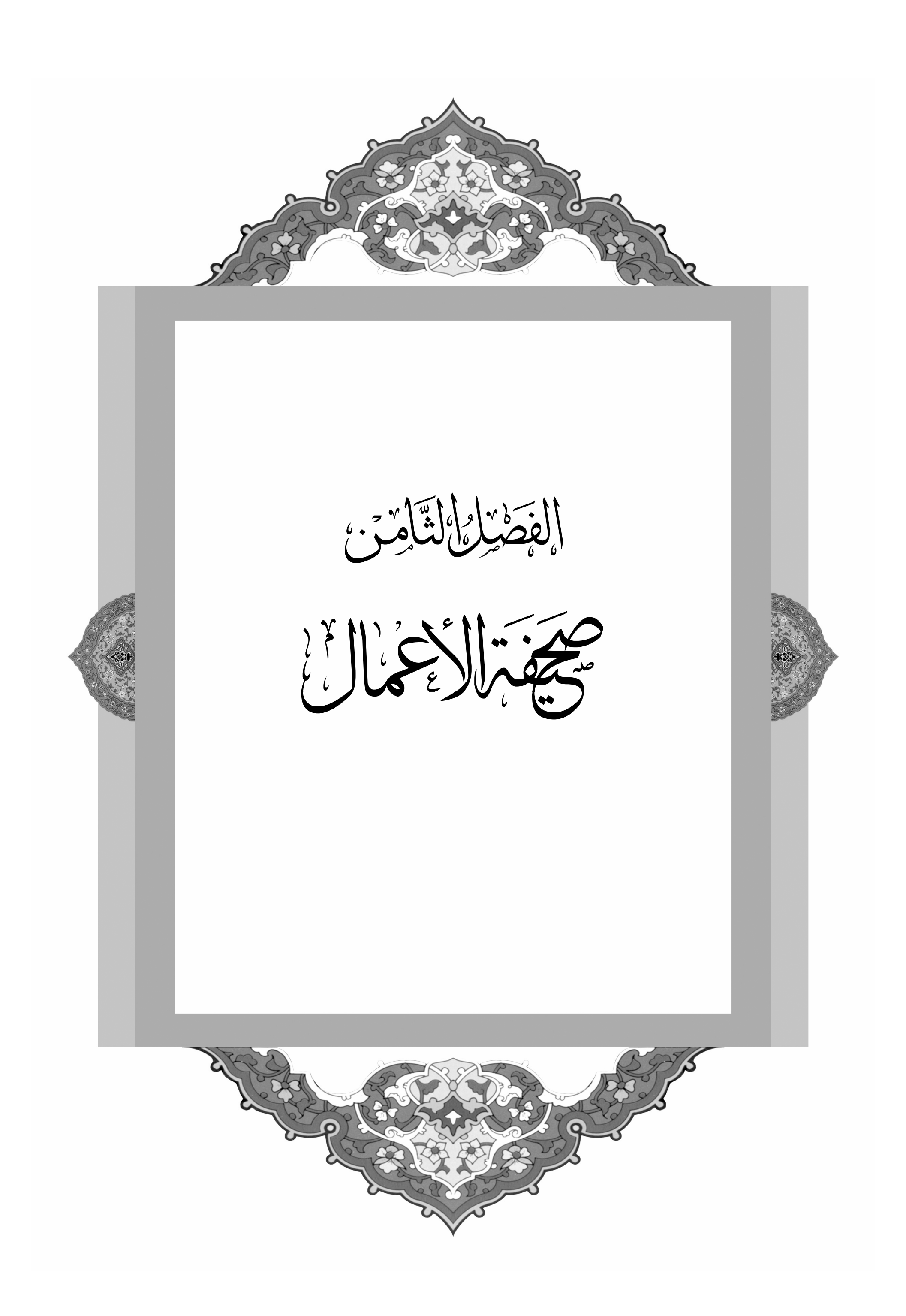
ويروي صاحب الكافي[(١)] عن الإمام السجاد عليه السلام أن ميزان العدل الإلهي لا يقام للمشركين ولاتفتح صحائف أعمالهم، بل يرمون في جهنم جميعاً، ويؤكد الإمام أيضاً، أن ميزان العدل الإلهي لا يقام وصحائف الأعمال لا تفتح إلا للمسلمين[(٢)].

/ ٤٧، قَالَ: الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْصِيَاءُ عليهم السلام.

الكافي، الكليني: ١/ ٤١٩، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية / ح٣٦.

(١) هو: محمد بن يعقوب الكليني، وقد مرت ترجمته.

(٢) أنظر: الكافي، الكليني: ٨ / ٧٥، كتاب الروضة، كلام علي بن الحسين عليه السلام / ح٢٩.



الفصل الثامن

صحيفة الأعمال

صحيفة الأعمال

يقول الله تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1].

يبين الله تعالى في هاتين الآيتين، أن «طائر» الإنسان، هو عمله الذي قام به في حياته[2]، وهو مثبت وملازم للإنسان، ولذلك يعبّر عنه القرآن الكريم بـ«في عنقه»[3]. فجميع أعمال الإنسان، سواء السيئ منها أو الحسن، يجري تسجيلها، دون أن يشعر بذلك في الدنيا، ذلك أن حواس الإنسان[4] تحس بما هو ظاهر

---

(١) سورة الإسراء / ١٣ ــ ١٤.

(٢) في التبيان: قال ابن عباس، ومجاهد وقتادة في معنى «طائره»، عمله من خير أو شر.
التبيان، الطوسي: ٦ / ٤٥٥، تفسير سورة الإسراء.
في المجمع: قيل عن الحسن، طائره: يمنه وشؤمه، وهو ما يتطير منه.
تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٢٣٠، تفسير سورة الإسراء.

(٣) سورة الإسراء / ١٣.

(٤) قال الراغب الأصفهاني في الحاسة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية، والحواس ←

ومكشوف من الأحداث والحركات والأعمال، أما باطن الأمور، فيدركها من خلال الآثار والعلامات الدالة عليها[1].

المشاعر الخمس.

مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١١٦، كتاب الحاء وما يتصل بها، مادة «حس».

قال الطريحي: الحواس: جمع حاسة كدواب جمع دابة، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهرة.

أما الحواس الباطنة فهي: الخيال، والوهم، والحس المشترك والحافظة، والمتصرفة.

مجمع البحرين، الطريحي: ١ / ٥١١، باب الحاء، مادة «حسس».

(١) عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا لا تُدْرَكُ إلا بِأَمْرَيْنِ بِالْحَوَاسِّ وَالْقَلْبِ، وَالْحَوَاسُّ إِدْرَاكُهَا عَلَى ثَلاثَةِ مَعَانٍ، إِدْرَاكاً بِالْمُدَاخَلَةِ وَإِدْرَاكاً بِالْمُمَاسَّةِ وَإِدْرَاكاً بِلامُدَاخَلَةٍ وَلا مُمَاسَّةٍ، فَأَمَّا الإِدْرَاكُ الَّذِي بِالْمُدَاخَلَةِ فَالأَصْوَاتُ وَالْمَشَامُّ وَالطُّعُومُ وَأَمَّا الإِدْرَاكُ بِالْمُمَاسَّةِ فَمَعْرِفَةُ الأَشْكَالِ مِنَ التَّرْبِيعِ وَالتَّثْلِيثِ وَمَعْرِفَةُ اللَّيِّنِ وَالْخَشِنِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَأَمَّا الإِدْرَاكُ بِلا مُمَاسَّةٍ وَلا مُدَاخَلَةٍ فَالْبَصَرُ فَإِنَّهُ يُدْرِكُ الأَشْيَاءَ بِلا مُمَاسَّةٍ وَلا مُدَاخَلَةٍ فِي حَيِّزِ غَيْرِهِ وَلا فِي حَيِّزِهِ وَإِدْرَاكُ الْبَصَرِ لَهُ سَبِيلٌ وَسَبَبٌ فَسَبِيلُهُ الْهَوَاءُ وَسَبَبُهُ الضِّيَاءُ فَإِذَا كَانَ السَّبِيلُ مُتَّصِلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْئِيِّ وَالسَّبَبُ قَائِمٌ أَدْرَكَ مَا يُلاقِي مِنَ الأَلْوَانِ وَالأَشْخَاصِ فَإِذَا حُمِلَ الْبَصَرُ عَلَى مَا لا سَبِيلَ لَهُ فِيهِ رَجَعَ رَاجِعاً فَحَكَى مَا وَرَاءَهُ كَالنَّاظِرِ فِي الْمِرْآةِ لا يَنْفُذُ بَصَرُهُ فِي الْمِرْآةِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ رَجَعَ رَاجِعاً يَحْكِي مَا وَرَاءَهُ وَكَذَلِكَ النَّاظِرُ فِي الْمَاءِ الصَّافِي يَرْجِعُ رَاجِعاً فَيَحْكِي مَا وَرَاءَهُ إِذْ لا سَبِيلَ لَهُ فِي إِنْفَاذِ بَصَرِهِ فَأَمَّا الْقَلْبُ فَإِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الْهَوَاءِ فَهُوَ يُدْرِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْهَوَاءِ وَيَتَوَهَّمُهُ فَإِذَا حُمِلَ الْقَلْبُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي الْهَوَاءِ مَوْجُوداً رَجَعَ رَاجِعاً فَحَكَى مَا فِي الْهَوَاءِ فَلا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْمِلَ قَلْبَهُ عَلَى مَا لَيْسَ مَوْجُوداً فِي الْهَوَاءِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَهَّمْ إِلا مَا فِي الْهَوَاءِ مَوْجُودٌ كَمَا قُلْنَا فِي أَمْرِ الْبَصَرِ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُشْبِهَهُ خَلْقُهُ.

الكافي، الكليني: ١/ ٩٩ ـ ١٠٠، كتاب التوحيد / ح ١٢.

أما في النشأة الأخرى (الآخرة)[1] فإن بواطن الأمور وخفاياها، تتكشف جميعها حيث ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2] ومن هنا وصف القرآن، الطائر، بالكتاب الذي يفتحه الإنسان ويقرأ ما في داخله[3].

يقول الله تعالى:

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[4].

---

(١) قال الطوسي، الآخرة: النشأة الأخرى.

التبيان، الشيخ الطوسي: ٤/ ٤١٧.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ سورة النجم / ٤٧، أي: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة، يعني عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء.

مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩/ ٣٠٤، تفسير سورة النجم.

(٢) سورة إبراهيم / ٢١.

(٣) عن ابن عباس في تفسير قوله: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ سورة الإسراء/١٣، قال: هو عمله الذي عمل، أحصى عليه فاخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل فقرأه منشورا.

الدر المنثور، السيوطي: ٤ / ١٦٧، تفسير سورة الإسراء.

قال الطباطبائي:

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ سورة الإسراء / ١٣، إشارة إلى إن كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان محجوب وراء حجاب الغفلة وإنما يخرجه الله سبحانه للإنسان يوم القيامة فيطلعه على تفاصيله.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣/ ٥٥ ـ ٥٦، تفسير سورة الإسراء.

(٤) سورة المجادلة / ٦.

كما يقول:

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾[(١)].

وهنا نلاحظ استخدام «أبدا» و«أحصاه». وهي تخص أعمال الإنسان، لأن صحيفة الأعمال، لا تعني أنها قائمة تدرج فيها الأعمال، بل أن الأعمال تتجلى أمامهم بذاتها وحقيقتها[(٢)].

---

(١) سورة الأنعام / ٢٨.

(٢) في التبيان: قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ سورة الأنعام / ٢٨، معناه بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه، فأظهره الله وشهدت به جوارحهم.

التبيان، الطوسي: ٤/١١١، تفسير سورة الأنعام.

وقال ابن عجيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ سورة الأنعام / ٢٨، أي: ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ فى دار الدنيا من عيوبهم وقبائح أعمالهم.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة :٢/ ١١٠، تفسير سورة الأنعام.

وقال السدي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ سورة الأنعام / ٢٨، بدت لهم أعمالهم في الآخرة.

وعنه أيضا في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ سورة الأنعام / ٢٨، بدت أعمالهم في الآخرة التي أخفوها في الدنيا.

تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: ٤/ ١٢٧٩.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ سورة الزلزلة / ٦، وإراءتهم أعمالهم إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسم الأعمال.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ٣٤٣، تفسير سورة الزلزلة.

وفي هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1].

كما يقول تعالى:

﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] وآيات أخرى تؤدي نفس المعنى مثل:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[3] و﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾[4].

لقد أسلفنا الحديث عن حقيقة أن يوم البعث والنشور محيط بجميع مراتب الوجود ودرجاته.

وكما أن الأعمال تتجلى، فإن حقيقتها تتجلى أيضاً.

يقول الله تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5]

---

(١) سورة الزلزلة / ٦ ـ ٨.

(٢) سورة الأحقاف / ١٩.

(٣) سورة الفجر / ٢٣.

(٤) سورة القيامة / ١٣.

(٥) سورة الجاثية / ٢٨.

و«الكتاب» المذكور في هذه الآية، هو ذلك المتضمن أعمالهم[١].

كما يقول أيضاً:

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[٢].

وهذا الكتاب هو (الكتاب المكنون)[٣] الذي سجل فيه ما حدث وما يحدث وما سيحدث[٤].

---

(١) قال الفيض الكاشاني في معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ سورة الجاثية/٢٨، صحيفة أعمالها.

التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني: ٢/ ١١٦٢، تفسير سورة الجاثية.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ سورة الجاثية/٢٨، ترى أنت وغيرك من الرائين كل أمة من الأمم جالسة على الجثو، جلسة الخاضع الخائف كل أمة منهم تدعى إلى كتابها الخاص بها وهي صحيفة الأعمال.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٨ / ١٧٦ ـ ١٧٧، تفسير سورة الجاثية.

(٢) سورة الجاثية/ ٢٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة / الآية ٧٨، ونصها: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴾.

(٤) قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ سورة الجاثية / ٢٩، هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٢٥/ ٢٠٣، تفسير سورة الجاثية.

وقال الزركشي في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ سورة الجاثية / ٢٩، المراد جميع الكتب التي اقتضت فيها أعمالهم.

البرهان، الزركشي: ٢/ ٧، النوع الثاني والثلاثون.

وقد ورد في الأخبار، أن نسخاً تأخذ من هذا الكتاب، ومنه أيضاً تؤخذ الأعمال، وهو كتاب يضم حقيقة الأعمال، وهو الحجة والمرجع لباقي الكتب[١] ولعله هو المذكور في الآية الشريفة:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[٢].

ورد في «الكافي»[٣] عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ضمن أحد أحاديثه حول اللوح المحفوظ، أن اللوح هو الكتاب المكنون الذي تؤخذ عنه باقي النسخ[٤].

والاستنساخ هنا، يعني نقل الشيء من مصدره الأصلي، وهذا معنى الكلام الإلهي:

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥].

---

(١) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠، تفسير سورة القلم. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، كتاب السماء والعالم، باب ٤ القلم واللوح المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب / ح ٣.

(٢) سورة الزمر/ ٦٩.

(٣) أورد هذا المعنى علي بن ابراهيم القمي باسناده عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام.

(٤) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠، تفسير سورة القلم. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧، كتاب السماء والعالم، باب ٤ القلم واللوح المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب / ح ٣.

(٥) سورة الجاثية / ٢٩.

كما ينقل «العياشي»[1] في تفسيره، عن الإمام الصادق عليه السلام أن كتاب الإنسان (صحيفة أعماله)، تعطى له يوم القيامة فيقال له: إقرأ! وهنا يسأل الراوي، الإمام عليه السلام: وهل يتذكر الإنسان كل ما هو موجود في صحيفته، فيجيب الإمام: الله يذكره بها، فيتذكر كل رمشة عين أو خطوة قدم، أو قول أو عمل، وكأنه قام بها في تلك اللحظة، ولهذا يقول الإنسان حينذاك:

﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[2][3].

وفي نفس التفسير[4] رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، تحمل مضموناً مقارباً لما جاء في الرواية الآنفة الذكر[5].

والجدير بالملاحظة هنا أن الإمام يفسر في هذه الرواية، مفردة «القراءة» بمعنى «التذكر»[6]. الموضوع الآخر هو أن الله تعالى يقول:

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) سورة الكهف / ٤٩.

(٣) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٣٢٨، تفسير سورة الكهف/ ح ٣٤.

(٤) أي: تفسير العياشي.

(٥) عن خالد بن نجيح عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ﴾ سورة الإسراء/ ١٤، قال: يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ سورة الكهف/٤٩. تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٣٢٨، تفسير سورة الكهف / ح ٣٥.

(٦) الذكر: الحفظ للشيء، تذكره، وهو مني على ذكر. كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ٣٤٦، مادة «ذكر».

﴿نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[١] وهـذا يعـني أن مـا يحصى على الإنسان ويسجل في كتابه، هي أعماله وأفعاله التي يرتكبها، إضافة إلى الآثار المترتبة على هذه الأعمال، وفي النتيجة، فإن المحاسبة تكون على جميع ذلك[٢]، وعلى أساس هذا المفهوم يتوضح لنا معنى الآية:

﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٣].

ويورد «القمي»[٤] في تفسيره، رواية عن الإمام الباقر عليه السلام، حول كلمتي «قدم» و«أخر» الواردين في الآية السابقة[٥]، أن المقصود بها هي ما فعل بنفسه من خير وشر، وكذلك، ما ترتب على فعله فيما بعد، من آثار إيجابية أو سلبية، وأن

---

(١) سورة يس / ١٢.

(٢) قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ سورة يس / ١٢، أي: من الأعمال، وفي قوله تعالى ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ سورة يس / ١٢، قولان أحدهما نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضا إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٣/ ٥٧٢، تفسير سورة يس.

قال الطباطبائي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ سورة يس /١٢، والمعنى كل شيء أحصيناه إحصاء أو كل شيء كتبناه كتابا. والمعنى الجزاء موافق لإعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا وكذا وقد حفظناها عليهم فجزيناهم بها جزاء وفاقا.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ١٦٩، تفسير سورة النبأ.

(٣) سورة القيامة/ ١٣.

(٤) علي بن ابراهيم القمي صاحب التفسير، مرت ترجمته.

(٥) سورة القيامة / ١٣.

الحساب يتم عليها جميعها، فإن كان قد سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، فيحصل هو على أجر، بمقدار ما يحصل عليه المتبع لتلك السنة الحسنة[١].

بعد آية ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾[٢] يتبعها الباري عز وجل بقوله:

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[٣] وهنا يتضح أن اللوح المحفوظ (الذي عبر عنه القرآن هنا بالإمام المبين) هو أيضا مرجع وحكم في محاسبة العباد، كما في صحائف أعمالهم[٤]. كما يتضح أن المقصود بـ«الكتاب» في آية ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾[٥] هو نفسه اللوح المحفوظ، لأن الكتاب وصف هنا بالإمامة، أي التابعية، وفي الآية السالفة[٦]، وصفه القرآن بهذه الصفة، حيث منه تؤخذ الأعمال... إذن فالإثنان، لها معنى واحد.

---

(١) أنظر: تفسير القمي، القمي: ٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨، تفسير سورة القيامة.

(٢) سورة يس / ١٢.

(٣) سورة يس / ١٢.

(٤) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ سورة يس / ١٢، قيل: معناه وكل شيء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به.
تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ٢٤٥، تفسير سورة يس.
وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ سورة يس /١٢، المراد وكل شيء حفظناه حال كونه مكتوبا، أي: في اللوح المحفوظ أو في صحائف الأعمال.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠ / ١٦٩، تفسير سورة النبأ.

(٥) سورة الجاثية / ٢٩.

(٦) سورة الجاثية / ٢٩.

وفضلاً عن توضيح العديد من صفات هذا الكتاب، فأن القرآن وضح لنا حقيقة مهمة وهي أن العباد يأخذون كتابهم بطريقتين، تبعاً لصنف العباد، فقد جاء:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ... إلى قوله وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[١].

فالمقصود باليمين والشمال هنا كما يبدو، طرفا الإنسان من حيث تفاوتهما في القوة، على أساس حقيقة أن اليد اليمنى أقوى من اليسرى، أو طرفا السعادة والشقاء. والمؤكد أن المقصود ليس اليدان (اليمين واليسار)، كما تصوره بعض الرواة والمحدثين[٢] الذين يأخذون بظاهر الآية[٣]، ذلك أن الله تعالى لم يقل «أوتى

(١) سورة الحاقة / ١٨ ـ ٢٦.

(٢) الراوي: هو الذي ينقل الحديث بإسناده، سواءً أكان رجلاً أم إمرأة.

علوم الحديث، صبحي صالح: ١٠٧، الباب الثاني التصنيف في علوم الحديث، الفصل الأول.

يقال للرجل الصادق الظن محدث، بفتح الدال مشددة.

الصحاح، الجوهري: ١/٢٧٩، مادة «حدث».

ورجال حدث وحدث وحديث ومحدث، بمعنى واحد: كثير الحديث، حسن السياق له كل هذا على النسب ونحوه.

لسان العرب، ابن منظور: ٢/١٣٣، مادة «حدث».

(٣) الظاهرية: أتباع أبي سليمان داود بن علي الأصبهاني، وكان أول من أنتحل الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس. والظاهرية، دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه، وجهرٌ لا سرّ تحته، كله برهان لا مسامحة فيه. وكل من إدعى أن للديانة سراً وباطناً، فهي دعاوى ومخارق. وقالوا: لم يكتم رسول الله ﷺ من الشريعة كلمة فما فوقها.

موسوعة الفرق والجماعات، الحفني: ٤٧١، باب الظاء، الظاهرية.

كتابه ليمينه أو شماله» بل قال: بيمينه وبشماله. والباء هنا سببية تفيد الواسطة، ولعل الآية الشريفة التالية خير دليل على ما نقول ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾[١]، إذ ورد فيها «وراء ظهره» بدل «بشماله» وهذا دليل على أن المقصود هو ليس اليد اليسرى، إذ لا يمكن أن يعني تعبير «وراء ظهره» ذلك.

والدليل الآخر، هو الآية الشريفة:

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٢]، إذ نلاحظ أن القول الإلهي جاء «بإمامهم» وليس «لإمامهم» بينما تستخدم آيات أخرى «اللام» بدل «الباء» عندما لا يراد معنى الواسطة، فمثلاً ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[٣] ولم يقل الله تعالى: «بكتابها». وخلاصة الأمر أن «الدعوة بالإمام» هي غير «الدعوة إلى الكتاب»[٤].

---

(١) سورة الانشقاق / ٧ ـ ١١.

(٢) سورة الإسراء / ٧١ ـ ٧٢.

(٣) سورة الجاثية / ٢٨.

(٤) قال الطوسي: اختلفوا في الإمام الذي يدعون به يوم القيامة، فقال مجاهد وقتادة: إمامه: نبيه. وقال ابن عباس: إمامه كتاب علمه. وروي ايضاً أن إمامهم: كتابهم الذي انزل الله إليهم فيه الحلال والحرام والفرائض والأحكام.

←

وبعد أن يدعو الله تعالى ﴿كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾[1] ، يأتي على تفاصيل ذلك فيقول تعالى أن مجموعة من هؤلاء يؤتون كتابهم بيمينهم ، إذن ، فهذا اليمين ، هو ذاته الإمام الحق الذي يدعي به هؤلاء[2] ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَٰمِهِمۡ ﴾[3] وبدل أن يقول الله بأن المجموعة الأخرى تؤتى كتابها بشمالها ، جاء القول الإلهي :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[4].

ومن تغيير السياق هذا ، ندرك أن إعطاء الكتاب بواسطة اليمين ، يوم القيامة ، يعني ذلك النور المضيء[5] ، فالله يقول :

التبيان ، الطوسي : ٦ / ٥٠٤ ، تفسير سورة الإسراء.

وقال أيضا : في تفسير قول الله عز وجل : ﴿كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ سورة الجاثية/٢٨ ، معناه إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها ويثبت فيه أعمالها.

التبيان ، الطوسي : ٩/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، تفسير سورة الجاثية.

(١) سورة الإسراء / ٧١.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ سورة الإسراء / ٧١ ، أن اليمين هو الإمام الحق.

الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي : ١٩/ ١٢٨ ، تفسير سورة الواقعة.

(٣) سورة الإسراء/ ٧١.

(٤) سورة الإسراء / ٧٢.

(٥) قال الطوسي : في تفسير قوله تعالى : ﴿نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ سورة الحديد / ١٢ ، قال ابن عباس : معناه يسعى نور كتابهم الذي فيه البشرى.

التبيان ، الطوسي : ١٠ / ٥١ ، تفسير سورة التحريم.

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[(١)] و﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾[(٢)].

وهنا يتبين أن النور، هو ذلك الإمام، والمقصود بمناداة الناس به، هو التحاق كل مجموعة بإمامها[(٣)].

والحديث في هذا الموضوع يطول كثيراً، ولا مجال له في هذا البحث، لكن الخلاصة هي أن المقصود بـ«اليمين» و«الشمال»، يمكن أن يكون السعادة والشقاء، وليس اليد اليمنى واليسرى[(٤)].

---

(١) سورة الحديد / ١٢.

(٢) سورة الحديد / ١٩.

(٣) قال البلخي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ سورة الإسراء / ٧١، بما كانوا يعبدونه، ويجعلونه إماما لهم. قال أبو عبيد: بما كانوا يأتمون به في الدنيا.
التبيان، الطوسي: ٦ / ٥٠٣ ـ ٥٠٤، تفسير سورة الإسراء.

(٤) قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ سورة الواقعة / ٨ ـ ٩، أصحاب اليمين والشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم.
أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٥/ ١٧٨، تفسير سورة الواقعة.
قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ سورة الواقعة/٨، فأصحاب الميمنة أصحاب السعادة واليمن مقابل أصحاب المشأمة أصحاب الشقاء والشؤم.
قال أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ سورة الواقعة / ٩، المشأمة مصدر كالشؤم مقابل اليمين، والميمنة والمشأمة السعادة والشقاء.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٩/ ١١٦، تفسير سورة الواقعة.

ولعل في سورة الواقعة ما يدلل على ما نقول:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[١] و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾[٢]، ومرة أخرى يتحدث عنهم القرآن الكريم بعبارات أخرى ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[٣].

ثم تأتي الآيات الشريفة لتوضح ذلك أكثر ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٤].

إذ جاء «المكذبين الضالين» بدل «أصحاب الشمال». ومن هنا ندرك أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء، والمكذبون للحق، والضالون.

ويبدو أن هذه الآية فيها إشارة إلى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ... أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾[٥] إذ هي إشارة إلى الذين كذبوا وضلوا واختاروا الشقاء لأنفسهم[٦].

---

(١) سورة الواقعة / ٢٧.

(٢) سورة الواقعة / ٤١.

(٣) سورة الواقعة / ٨ ـ ٩.

(٤) سورة الواقعة / ٩٠ ـ ٩٤.

(٥) سورة المؤمنون / ١٠٣ ـ ١٠٦.

(٦) قال فتح الله الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ سورة المؤمنون/١٠٦، استعلت علينا سيّئاتنا الّتي أوجبت لنا الشقاوة. وهي: سوء العاقبة والمضرّة ←

لقد قلنا فيما مضى أن هذه الآية[١] تخص أهل الشقاء من أتباع الأديان الضالين أو الناكثين لعهد أئمة الحق. أما الكفار المنكرين لله تعالى والأديان، فلا تشملهم هذه الآية. لأن الله لا يضع لهؤلاء ميزاناً أو قيمة، لذلك، لا يوجد لهؤلاء كتاب، ولا حساب، بل يأخذون طريقهم إلى العذاب مباشرة[٢].

اللاحقة. ولّما كانت سيّئاتهم الّتي شقوا بها سبب شقاوتهم سمّيت شقاوة توسّعا.

زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني: ٤/ ٤٦٧، تفسير سورة المؤمنون.

قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ سورة المؤمنون / ١٠٦، أي: استولت علينا وملكتنا شقاوتنا التي اقتضاها سوء استعدادنا كما يومىء إلى ذلك إضافتها إلى أنفسهم.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسي: ٩/ ٢٦٦، تفسير سورة المؤمنون.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ سورة المؤمنون / ١٠٦، أن الشقوة غلبت فأشغلت المحل وكانت الشقوة شقوة أنفسهم، أي شقوة لازمة لسوء اختيارهم وسيئات أعمالهم لأنهم فرضوا أنفسهم خالية عن السعادة والشقوة لذاتها فانتساب الشقوة إلى أنفسهم وارتباطها بهم إنما هي من جهة سوء اختيارهم وسيئات أعمالهم.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٥/ ٧٠، تفسير سورة المؤمنون.

(١) سورة المؤمنون / ١٠٦.

(٢) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ سورة الكهف / ١٠٥، أي: لا قيمة لهم عندنا، ولا كرامة، ولا نعتد بهم، بل نستخف بهم، ونعاقبهم.

مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٣٩٢، تفسير سورة الكهف.

قال القرطبي في تفسير قول الله عز وجل: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ سورة الكهف / ١٠٥، أنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١١ / ٦٦، تفسير سورة الكهف.

والخلاصة، أن أصحاب الشمال هم أهل الشقاء والضالون ــ ولهذا فإنهم يقولون ـ كما ينقل عنهم الباري عز وجل ـ:

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[1] إذ أن ذلك (المال والسلطان) حرفهم عن الحق، رغم اعترافهم وإقرارهم به.

إذن، فكل من الفريقين يدعى بإمامه، فيلتحق به، وبواسطته يؤتى كتابه. والالتحاق بالإمام هو ما ذكرته الروايات بـ«السعادة» و«الشقاء» الذاتيين، والذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

إن أهل الشقاء، يتلقون كتابهم بشمالهم، ومن خلف ظهورهم، لأن أئمتهم أمامهم، لكن وجوههم منقلبة إلى الوراء[2].

والله تعالى يقول حول فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[3] كما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ

(١) سورة الحاقة / ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) قال المشهدي: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ...نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ سورة النساء / ٤٧، قيل: ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة.

تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٢/ ٤٧٠، تفسير سورة النساء.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ سورة الانشقاق / ١٠، ولعلهم إنما يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم على أدبارهم كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ سورة النساء / ٤٧.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٢٠/ ٢٤٣، تفسير سورة الانشقاق.

(٣) سورة هود / ٩٨.

أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾[١] وكـذلك يقـول: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[٢].

وقد ذكرنا فيما مضى أن النور هو الإمام الحق[٣].

إن الإنسان، بوجوده المادي الدنيوي، وبشكله الذي خلقه الله تعالى، يكون وجهه إلى الإمام، وله ظهر وطرف أيمن وأيسر. وعندما يختار الإنسان طريق الشقاء والضلال، ويتبع هواه ورغباته، فهو في الواقع، يشيح[٤] بوجهه عن الحق، وعندما يقف بين يدي ربه، يوم القيامة ويبدأ الحساب، يحشر هذا الإنسان، ووجهه إلى الوراء، وكالأعمى، فلا يرى شيئاً، وهو مذهولاً لا يدري إلى أين يسير، وماذا يفعل، وماذا سيواجه.

إن الإمام الحق، والذين يدعون بواسطته، يملك إشرافاً وهيمنة[٥] قاهرة على

---

(١) سورة النساء / ٤٧.

(٢) سورة الحديد / ١٣.

(٣) أنظر: الفصل الثامن، صحيفة الأعمال.

(٤) أشاح بوجهه: أعرض.

الصحاح، الجوهري: ١/ ٣٧٩، مادة «شيح».

إذا نحى الرجل وجهه عن وهج أصابه أو عن أذى، قيل: قد أشاح بوجهه.

لسان العرب، ابن منظور، ٢/٥٠١، مادة «شيح».

(٥) في لسان العرب: المهيمن: هو الرقيب، يقال هيمن يهيمن هيمنة: إذا كان رقيبا على الشيء.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٤٣٧، مادة «همن».

قال الزبيدي: هيمن على كذا: صار رقيبا عليه وحافظا.

تاج العروس، الزبيدي: ٩/ ٣٦٧.

الإمام الباطل ومجموعة، والله تعالى يقول:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[1] حيث تطلق الآية اسم «الإمام» على الكتاب الذي يضم كل الأمور، بما في ذلك الشقاء والسعادة، والسيء والصالح[2]، والله جل وعلا يقول أيضاً:

﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3]، وعلى أساس هذه الآية، فإن «الإمام» الذي هو «الكتاب»[4]، يتولى القضاء بحق كلا الفريقين، الأشقياء والسعداء، وهو الشاهد عليهم جميعا[5].

---

(١) سورة يس / ١٢.

(٢) عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾سورة الإسراء / ٧١، قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه.

جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٥ / ١٥٨، تفسير سورة الإسراء / ح١٦٩٩٠.

قال ابن كثير في تفسير قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ سورة الإسراء/٧١، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر.

تفسير ابن كثير، ابن كثير: ٣ / ٥٧٤، تفسير سورة يس.

(٣) سورة الجاثية / ٢٩.

(٤) عن أبي عبدالله عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ سورة الحاقة / ١٩ ـ٢٠، الكتاب: الإمام.

تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ٣٠٢، تفسير سورة الإسراء / ح ١١٥.

(٥) قال الطبرسي في تفسير قول الباري عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ سورة المؤمنون / ٦٢، عند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق، أي: يشهد لكم وعليكم بالحق، كتبته الملائكة بأمرنا.

مجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ١٩٨، تفسير سورة المؤمنون.

وهـذا لا يتنـافى مـع مـا قلنـاه سـابقاً حـول الفـرق بـين «الـدعوة إلى الكتـاب» و«الدعوة بالإمام».

ذلـك أن الله تعـالى لم يـصف صـحائف الأعمـال بـ«الإمامـة»، بـل وصـفها بالاقتران والتابعية، فقال:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾[1] بينما وصف «اللوح المحفوظ» فقط بالإمامة، باعتبار أن الأعمال تؤخذ منه. إذ أن صحيفة الأعمال، تؤخذ من هذا اللوح.

ويجب التذكير هنا أن الله تعـالى، فسر الإمامـة، بـ«الولايـة»[2] في العديـد مـن الآيات[3]، لكن استخدم «الولاية» فقـط، عنـدما تحـدث عـن ذاتـه جـل شـأنه، لأن الإمامة تتضمن وحدة النوع[4] بين الإمام والمأموم.

---

(١) سورة الإسراء / ١٣.

(٢) قال الطباطبائي: الإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب البـاطن هـي: ولايـة للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد ارائـة الطريـق الـذي هو شأن النبي والطريق وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٢٧٢، تفسير سورة البقرة.

(٣) نذكر لكم آيات فيها كلمة (الإمامة) والتي أشارة إلى الولاية:
سـورة البقـرة /١٢٤، ونـصها: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.
سـورة الفرقـان/ ٧٤، ونـصها: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

(٤) النوع: أسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص.
التعريفات، الجرجاني: ١٣٥، باب النون، النوع.

←

وخلاصة الأمر أن الإمام الحق، هو ولي المؤمنين، والإمام الباطل، ولي الكافرين[١].

وبدرك هذه الحقائق، سنحل عقدة الكثير من معاني الأحاديث التي تقول أن أصحاب الولاية، يتولون القضاء بين الناس يوم القيامة[٢].

←

النوع في اللغة: الصنف من كل شيء.

والنوع في أصطلاح المناطقة: هو الكلي المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو، كالإنسان لزيد، وعمر، وبكر. وقيل: إنه المعنى المشترك بين كثيرين متفقين بالحقيقة، ويندرج تحت كلي أعم منه، وهو الجنس كالحيوان، فإنه جنس الإنسان.

المعجم الفلسفي، صليبا: ٢/ ٥١١، باب النون، النوع.

(١) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ سورة الإسراء /٧١، المراد بإمام كل إناس من يأتمون به في سبيلي الحق والباطل.

وقال أيضا: أن المراد بإمام كل أناس في الآية من ائتموا به سواء كان إمام حق أو إمام باطل.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣ /١٦٥ ـ ١٦٦، تفسير سورة الإسراء.

(٢) عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ كُنْتُ قَاعِداً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الأَوَّلِ عليه السلام وَالنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا سَمَاعَةُ إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللَّهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ إسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الكافي، الكليني: ٨/ ١٦٢، حديث الناس يوم القيامة /ح١٤.

عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وآله ذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلي على الصراط ويقال لنا أدخلا الجنة من آمن بي وأحبكما وأدخلا النار من كفر بي وأبغضكما وفي لفظ ألقيا في النار من أبغضكما وأدخلا الجنة من أحبكما.

المناقب، ابن شهر آشوب: ٢/ ١٥٨، باب ما تفرد من مناقبه أمير المؤمنين عليه السلام، فصل في أنه جواز الصراط وقسيم الجنة والنار.

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[(١)] و«السابقون المقربون» هم أولئك العباد «المخلصون» الذين تحدثنا عنهم ضمن موضوع النفخ في الصور، و«الإحضار» و«الميزان».

فأمثال هؤلاء يستثنون من إعطائهم كتابهم، كما يستثنون من الفزع وغيره.

وعلى هذا، فإن حكم «إعطاء الكتاب وصحيفة الأعمال» يجري على الذين يرتكبون سيئات، أو حسنات، ويستثنى منه فريقان، الأول: العباد المخلصون والثاني: المعاندون والمنكرون الذين سلف الحديث عنهم.

يقول الله تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[(٢)] وهذا يشمل الذين عملوا حسنات وسيئات وأما «المخلصون» الذين بلغوا في حسناتهم مراتب عليا، وكذلك الذين حبطت أعمالهم، كمكذبي الأنبياء ومنكري يوم القيامة. فهم لا يتعرضون للحساب ولا يعطون كتابهم يوم القيامة.

واستمراراً لنفس الآية السابقة نقرأ ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾[(٣)].

---

(١) سورة الواقعة / ٧ ـ ١١.

(٢) سورة الإسراء / ١٣.

(٣) سورة الإسراء / ١٣.

ويحتمل أن يكون هذا الكتاب، هو غير «الطائر» الذي يعلق في عنق الإنسان (المقترن به)[١] ولو كان هذا الكتاب هو نفسه «الطائر»، لجاءت الآية: ونخرجه كتاباً بينما النص جاء ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾[٢].

وسياق الآية هذا يتفق مع آيات أخرى مثل:

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[٣].

وبعدها الآية:

﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٤].

فمن هذه الآية، يتضح لنا أن «الكتاب» و«طريقة قراءته» يختلفان عما هو معروف في الحياة الدنيا.

يقول الله تعالى:

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٥].

---

(١) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ سورة الإسراء / ١٣، أن المراد بالطائر هو كتاب الأعمال دون كتاب القضاء كما يدل عليه قوله: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ سورة الإسراء/ ١٤.
الميزان في تفسير الميزان، الطباطبائي: ١٥/ ٣٧٤، تفسير سورة النمل.

(٢) سورة الإسراء/ ١٣.

(٣) سورة التكوير/ ١٠.

(٤) سورة الإسراء/ ١٤.

(٥) سورة القيامة / ١٣.

وهـذه الآيـة تتحـدث عـن تفاصـيل أعمـال الإنـسان الـتي ارتكبهـا في حياتـه، والتي يذكر بها يوم القيامة[١].

أما الآية ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[٢] فتتحدث عن وضع الإنـسان بـشكل إجمالي وعام، وتبين أن التفاصيل يعرفها الإنسان بنفسه[٣]. وقد تحدثنا فيما مضى عن كيفية قراءة الإنسان لكتابه[٤]... والله أعلم.

---

(١) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ سورة القيامة / ١٣، أي: يخبر بجميع ما عمله، وما تركه من الطاعات والمعاصي.
التبيان، الطوسي: ١٠ / ١٩٤، تفسير سورة القيامة.
قـال مجاهـد في تفـسير قولـه تعـالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ سـورة القيامـة / ١٣، أي: يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره، فيجازى به.
مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ١٩٥، تفسير سورة القيامة.

(٢) سورة القيامة / ١٤.

(٣) في المجمع: قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ سورة القيامة / ١٤، إن المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.
مجمع البيان، الطبرسي: ١٠/ ١٩٢، تفسير سورة القيامة.
في غريب القرآن: يقال في تفسير قولـه تعـالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ سـورة القيامـة / ١٤، معناه الإنسان بصير في نفسه.
تفسير غريب القرآن، الطريحي: ٢٢٨.

(٤) أنظر: الفصل الثامن، صحيفة الأعمال.



الفصل التاسع

الشهداء في يوم البعث

الشهداء في يوم البَعث

يقول الباري عزوجل عن الشهداء:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1].

وفي آيات أخرى عديدة[2]، أطلق القرآن الكريم صفة الشهداء (بمعنى الشاهدين)[3] على عدة مجموعات، باعتبارهم يشهدون على الأعمال في يوم

(١) سورة الزمر/ ٦٩.

(٢) وردت كلمة «شهداء» في كثير من آيات القرآن الكريم تشير إلى أن هناك من يشهدون على الناس وعلى الأعمال نجزل بعض منها للاستشهاد:

سورة آل عمران / ١٤٠، ونصها: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

سورة الحج / ٧٨، ونصها: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.

(٣) الشاهد: هو في اللغة عبارة عن الحاضر، وفي إصطلاح القوم عبارة عما كان حاضراً في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الوجد، فهو شاهد الوجد، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق.

←

القيامة[١].

إن الشهادة على الشيء، هي إدراكه عن طريق الحضور والرؤية، وهذه هي مرحلة استلام الشهادة والحصول عليها، أما المرحلة الثانية، فهي تأييد وقوع ذلك الشيء وتسمى مرحلة «أداء الشهادة»[٢]. وواضح أن الشهادة على الأعمال، في يوم القيامة.

لا يقتصر على ظواهر الأمور والحوادث والأعمال، بل هي شهادة على بواطنها وخفاياها، من حيث الطاعة والمعصية، أو السعادة والشقاء، ذلك أن الحكم يستند إلى تأييد الشهداء، والذي يقضي هو «أحكم الحاكمين»[٣].

التعريفات، الجرجاني: ٧٢، باب الشين، الشاهد.

(١) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ سورة البقرة / ١٤٣، فيه ثلاثة أقوال:

الأول: إن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة.

الثاني: إن المعنى لتكونوا حجة على الناس، فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا، مؤيداً للدين إليكم، وسمي الشاهد شاهداً لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة.

الثالث: إنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم، بأنهم قد بلغوا، وجازوا لأعلام النبي ﷺ إياهم بذلك.

مجمع البيان، الطبرسي: ١ / ٤١٨، تفسير سورة البقرة.

(٢) الشهادة: هي إخبار المرء بما رأى، أو إقراره بما علم عن يقين.

يطلق لفظ الشهادة على فعل الشاهد، فتقول: شهد على كذا شهادة، أي: أخبر به خبرا قاطعا.

المعجم الفلسفي، صليبا: ١ /٧٠٩، باب الشين، مادة «الشهادة».

(٣) سورة هود / ٤٥.

من هنا فإن الشهادة تأتي على حقائق الأمور وبواطنها[١].

إن الإدراك الكامل لحقائق الأمور، أمر لا يبلغه، إلا الذين يطلعون على جذور الأمور ومنشأها، وكذلك يطلعون على النيات والخفايا والدوافع. ومن هنا، فإن الشهادة في يوم القيامة تمثل تكريماً وتجليلاً لمقام الشاهد[٢].

﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٣].

كما أنها محصورة بأولئك الذين حظوا في الدنيا بمنزلة تؤهلهم للاطلاع على الخفايا والنوايا. يقول الباري جل وعلا ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٤] والصواب، هو عكس الخطأ[٥].

---

(١) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الزخرف /٨٦، الشهادة: هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء، ورد وقبول، وانقياد وتمرد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كل شيء، حتى من أعضاء الإنسان.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/٣٢١، تفسير سورة البقرة.

(٢) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الزخرف / ٨٦، أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست إلا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١ / ٣٢١، تفسير سورة البقرة.

(٣) سورة هود / ١٠٥.

(٤) سورة النبأ / ٣٨.

(٥) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ سورة النبأ / ٣٨، والصواب موافقة الغرض ←

كما يقول تعالى ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

إذن فالشهادة في ذلك اليوم لا تقوم إلاّ للذين نزهت أعمالهم من كل خطأ وزلل.

من جانب آخر، فإننا لو أمعنا النظر في قدرة حواس الإنسان[٢] وقواه الظاهرية، لرأيناها عاجزة عن إدراك بواطن الأمور والأعمال، حتى لو تعاملت معها بشكل مباشر، فضلاً عن الغائبين. والبعيدين عن دائرة إدراكها.

لأن الاطلاع على خفايا الغير، وهم في غياب عن الشاهد، أمر مستحيل إذا افترضنا أن «اطلاعه» يتم بالحواس الظاهرية المعروفة.

لكن هذا الأمر سيكون قابلاً للإقناع، إن إدراك الشاهد لبواطن الأمور والأعمال، يتم بقوة، هي ماوراء قدرة الحواس الظاهرية، قوة يمكنها الأطلاع على النوايا والخفايا، للغائب والحاضر على حد سواء.

الحكمي. ونقيضه الخطأ، وهو مخالفة الغرض الحكمي.

التبيان، الطوسي: ١٠/ ٢٤٩، تفسير سورة النبأ.

(١) سورة الزخرف/ ٨٦.

(٢) قال الراغب الأصفهاني:

الحاسة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية، والحواس: المشاعر الخمس.

مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١١٦، مادة «حس».

قال الطريحي: الحواس: جمع حاسة كدواب جمع دابة، وهي المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. وهذه الحواس الظاهرة.

مجمع البحرين، الطريحي: ١/ ٥١١، مادة «حسس».

هـذه القـوة هـي في الواقـع نـور غـير مـادي، لا يحتـاج إلى مـا يحتاجـه النـور العادي، من مستلزمات الحال والزمان والمكان، بل هـو نـور يمكن بواسطته رؤية باطن الإنسان ونواياه، وتمييز «الطيب» من «الخبيث»، و«الطاهر» من «غير الطاهر».

يقول الله تعالى:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1] وكذلك:

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وقد أشرنا في الفصل السابق إلى أن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، يؤتون كتابهم كل بواسطة إمامه[3]. يقول الله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

---

(١) سورة المطففين / ١٨ ـ ٢١.

(٢) سورة المطففين / ٧ ـ ١٠.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى من سورة الإسراء/ الآية ٧١، ونصها: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

ومن سورة الحاقة/ الآية ٢٥، ونصها: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾.

(٤) سورة التوبة / ١٠٥.

وهذه الآية، لا تخص في خطابها فريق المنافقين، بل تخاطب الناس جميعاً. ومن هنا فإن أعمال المؤمنين أيضاً ستخضع لـ«الرؤية» من قبل الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

كما أن «المؤمنين» الذين وضعتهم الآية إلى جانب الله تعالى ورسوله ﷺ كناظرين للأعمال، هم بالتأكيد فريق خاص من المؤمنين، يتميزون عن غيرهم. كما نفهم من هذه الآية، أن «رؤية» أعمال الناس من قبل النبي ﷺ والمؤمنين، إنما تتم على أساس ما ينبئ الله تعالى الناس، بما كانوا يعملون.

ينقل علي بن إبراهيم القمي[١] في تفسيره؛ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، مفادها أن حسنات العباد وسيئاتهم تعرض على رسول الله ﷺ كل صباح، ولهذا يحذر الإمام عليه السلام العباد من ارتكاب المعاصي ويدعوهم إلى الخجل من أن تعرض معاصيهم على النبي ﷺ[٢].

أما «العياشي»[٣] فينقل رواية عن الصادق عليه السلام حول آية ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أعمال العباد تعرض على رسول الله ﷺ كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا، فليستحيي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح.

تفسير القمي، القمي: ١ / ٣٠٤، تفسير سورة التوبة، خطبة النبي ﷺ في تبوك، توبة أبي لبابة.

(٣) مرت ترجمته.

(٤) سورة التوبة / ١٠٥.

يقول فيها أن المقصود بـ«والمؤمنون»، هم الأئمة[١].

وهناك روايات عديدة أخرى وردت في كتب التفسير والحديث حول هذا الموضوع[٢].

وخلاصة الأمر، أن مرحلتي التلقي والحصول على الشهادة وأداءها، والجزاء على أساسها، كل ذلك يتم استناداً إلى الأعمال ذاتها، وهذه الأعمال هي التي تنطق وتتحدث عن نفسها.

يقول تبارك وتعالى:

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٣].

---

(١) قال أبو عبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة / ١٠٥، هم الأئمة.
تفسير العياشي، العياشي: ٢/ ١٠٩، تفسير سورة البراءة ح / ١٢٥.

(٢) عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أن أبا الخطاب كان يقول: إن رسول صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال أمته كل خميس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو هكذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه أعمال الأمة كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا، وهو قول الله: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة / ١٠٥.
تفسير العياشي، العياشي: ٢ / ١٠٩، تفسير سورة البراءة ح / ١٢٢.
عن الصادقين عليهما السلام عن الله تعالى وقد قال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة / ١٠٥، يعني: الأئمة عليهم السلام.
أوائل المقالات، المفيد: ٧٩، القول في الحساب وولاته والصراط والميزان.

(٣) سورة الزمر / ٦٩ ـ ٧٠.

مراتب الشهداء

الشهداء، مجموعات مختلفة، ومراتب عدة، فالمرتبة الأولى يحتلها الأولياء والمقربون، مثل الأنبياء والصالحون[(١)].

والله تعالى يقول:

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[(٢)].

ولعل الفصل بين النبيين والشهداء هنا، هو لتكريم مقام الأنبياء.

كما يقول جل وعلا ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[(٣)].

فالأمة هنا، هي مجموعة من الناس، وعندما يقرن الحديث عن أمة، بنبي أو زمان أو مكان، فإنها تتميز عن الأمم الأخرى.

وبما أن «الأمة» في الآية السابقة لم تقرن بشيء آخر، فإنها تعني هنا، جميع الأمم، وتشمل في خطابها، ولي وشهيد كل أمة من الأمم.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام:

إن أفضل الخلق يوم يجمع الله الرسل، وإن من أفضل الرسل محمد صلى الله عليه وآله، ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها... ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء... الحديث.

تفسير فرات، فرات الكوفي: ١١٢، تفسير سورة النساء / قطعة من الحديث ١١٣.

(٢) سورة الزمر / ٦٩.

(٣) سورة النحل / ٨٤.

رغم أنه قد يوجد داخل أمة كل نبي عدد من الأولياء[1]، فالله تعالى يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

وعلى أساس ما قلناه سابقاً حول معنى الشهيد، يتضح لنا أن هذا المقام (الشهادة) لا يمنح لكل أفراد أمة محمد ﷺ، بل إن المقصود بذلك، بعض أفراد الأمة، رغم أن ظاهر الآية، يخاطب كل أفرادها. ولعل السبب هو أن هذه المجموعة الخاصة تنبثق من هذه الأمة.

هذا الأسلوب في الحديث، أمر طبيعي ومتداول، فالله تعالى يقول في آية أخرى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[3] إلا أن وصف «الأشداء» لا يشمل كل من هو مع النبي ﷺ، رغم أن ظاهر الآية هكذا.

---

(١) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ سورة النحل / ٨٩، وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة. في كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيا.

وفي كلمة شهيد قولان:

أحدهما ـ أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء.

الثاني ـ أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه.

تفسير القرطبي، القرطبي: ١٠/ ١٦٤، تفسير سورة النحل.

(٢) سورة البقرة / ١٤٣.

(٣) سورة الفتح / ٢٩.

إذ من المؤكد أن المقصود بذلك، بعض أتباع النبي، خاصة وأن هناك إجماع بأن بعض الذين كانوا مع النبي، هم من المنافقين والفاسقين، ولا يمكن لصفة «الأشداء» أن تنطبق عليهم. وهناك حالات مشابهة عديدة، يوجه فيها الخطاب إلى العموم بينما المقصود، هو مجموعة خاصة منهم.

على هذا، فإن شهداء الأمة، مجموعة خاصة، تشهد على الناس، أما رسول الله ﷺ، فهو بدوره شاهد على أفرادها. أي أن هذه المجموعة، تمثل حالة وسطية بين الأمة ونبيها، كما ورد في الآية السالفة الذكر[١].

وفي آية أخرى يقول عز وجل:

﴿...هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾[٢].

فهذه الآية أكثر صراحة في توضيح أن شهداء الأمة، هم مجموعة خاصة. وفي عبارة «هو سماكم المسلمين»[٣] إشارة إلى دعاء إبراهيم عليه السلام[٤] وابنه

(١) سورة البقرة / ١٤٣.

(٢) سورة الحج / ٧٨.

(٣) سورة الحج / ٧٨.

(٤) إبراهيم الخليل عليه السلام أبو الضيفان إبراهيم، وقيل: إبراهام، أو إبراهم، أو إبرهم، أو إبراهوم بن تارح، وقيل: تارخ بن ناحور بن سروج، وقيل: ساروغ بن رعو، وقيل: أرعو، وقيل: راغو بن فالج، وقيل: فالغ بن عابر بن شالح، وقيل: شالخ بن أرفخشد، وقيل: أرفكشاذ بن سالم ابن نبي الله نوح عليه السلام، الملقب بخليل الله، وأمّه أميلة، وقيل: عوشاء، وقيل: بونا بنت ←

إسماعيل[(١)] عليه السلام عند بناء الكعبة: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً

كريتا بن كرثى.

هو أبو الأنبياء، وأحد الأنبياء أولي العزم، أصحاب الشرائع العامّة، وجدّ العبرانيين والعرب المستعربة من ابنه إسماعيل عليه السلام.

ولد في غار بقرية كوُثى، وقيل: كوثار من أرض بابل، وقيل: ولد بغدان آرام من قرى الكوفة، وقيل: بمدينة أور من بلاد الكلدانيين، وقيل: بالسوس، وقيل: ولادته في برزة شرقي دمشق سنة (١٩٩٦) قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

أنزل الله عليه عشرين صحيفة تعرف بصحف إبراهيم عليه السلام.

عرف بين قومه بالحلم ورقة القلب والبر مع الآخرين، ووهبه الله العلم والحكمة والهداية والبركة والرحمة، وجعل النبوة والإمامة في ذريته ونسله عدا الظالمين منهم.

والأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا ينسبون أديانهم إلى دينه.

توفي بفلسطين في أواخر القرن العشرين، أو أوائل القرن الحادي والعشرين قبل ميلاد المسيح، فدفنه ولداه إسماعيل عليه السلام وإسحاق عليه السلام بمغارة المكفيلة في حقل عفرون، وقيل: دفن في قرية أربع أو المربعة قرب بيت المقدس عند زوجته سارة.

أعلام القرآن، الشبستري: ٢٢ ـ ٢٥، إبراهيم الخليل عليه السلام.

(١) نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام: هو إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن تارح بن ناحور بن سروج، ويتصل نسبه بنبي الله نوح عليه السلام، وأمه هاجر المصرية، ويعرف بالذبيح، واسمه بالعبرية يشمعيل أو إسموئيل أو إصموئيل.

أحد الأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس لإرشادهم وهدايتهم إلى الحق والصواب، وكان عظيم الشأن، راسخ الإيمان، ومعروفاً بالصبر والصدق والحلم.

يعد أول من تكلم بالعربية الفصحى وكتب بها، وأول من ركب الخيل.

توفي بمكة، وقيل: بفلسطين، وقبره بمكة قرب قبر أمه هاجر، عند حجر إسماعيل.

أعلام القرآن، الشبستري: ٩٦ ـ ٩٨، نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وبما أن دعاء إبراهيم، هو بحق إسماعيل وأبنائه، وعموماً أهل مكة، فإنما يشمل بالنهاية، قريش، لكن سياق ومضمون الدعاء يدل على أن المقصود ليس قريش كلها. بل مجموعة خاصة، هي تلك التي تتمتع بالطهارة والهداية والوفاء بالعهد الإلهي، وباقي العهود، والإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله.

وما ورد في الآية الشريفة السالفة الذكر[2]، هو ذلك التفسير الوارد في الأخبار المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام.

ففي «الكافي» وتفسير العياشي ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أهل البيت هم أمة وسط، وهم شهداء الله على العباد وحججه في الأرض والسماء[3].

---

(١) سورة البقرة / ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) سورة البقرة / ١٤٣.

(٣) عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام عن قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة / ١٤٣، قَالَ: نَحْنُ الأُمَّةُ الْوَسَطُ وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ... الحديث.

الكافي، الكليني: ١/ ١٩١، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه/ح٤.

عن بريد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت له: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة /١٤٣. قال: نحن ←

وفي «شواهد التنزيل» ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المقصود بـ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] هم «نحن»، أي أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد عليهم، وهم بدورهم شهداء الله على العباد وحجته في الأرض وأنهم الذين قال عنهم الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2][3].

ويروى عن الإمام الباقر قوله أن الشهداء على الناس، لا يمكن إلا أن يكونوا الأئمة والأنبياء (صلوات الله عليهم اجمعين)، أما أفراد الأمة الآخرين فلا يمكن أن يكونوا شاهدين، من قبل الله تعالى، لأن بين أفراد الأمة من لا تقبل شهادتهم في الدنيا، وفي أبسط الأشياء[4]، وفي تفسير العياشي، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود بآية: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[5] ليس كل أهل

الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه.

تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٦٢، تفسير سورة البقرة / ح ١١٠.

(١) سورة البقرة / ١٤٣.

(٢) سورة البقرة / ١٤٣.

(٣) أنظر: شواهد التنزيل، الحسكاني: ١/ ١١٩، تفسير سورة البقرة / ح ١٢٩.

(٤) عن حمران عن أبيه أعين عنه (الإمام الباقر) عليه السلام إنما أنزل الله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة / ١٤٣، قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسل فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل.

مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤/ ١٧٩، باب في إمامة أبي جعفر الباقر عليه السلام.

(٥) سورة البقرة / ١٤٣.

القبلة (المسلمين)، لأن هناك من هؤلاء، من لا تقبل شهادته حتى على «صاع من التمر» ويتساءل: كيف يمكن أن تقبل شهادة مثل هؤلاء، على أعمال العباد، يوم القيامة؟ ويستطرد الإمام عليه السلام أن المقصود بهذه الآية[1]، هم الأئمة الذين استجيب بحقهم دعاء إبراهيم عليه السلام، وهم الأمة الوسط و﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2][3]. وهناك أحاديث عديدة بهذا الشأن[4].

وهكذا يتوضح معنى الآية الكريمة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[5]، وحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكون شاهداً على

---

(١) سورة البقرة / ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران / ١١٠.

(٣) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٦٣، تفسير سورة البقرة / ح ١١٤.

(٤) عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ سورة البقرة / ١٤٣، قَالَ: نَحْنُ الأُمَّةُ الْوُسْطَى وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ، قُلْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ سورة الحج / ٧٨، قَالَ: إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً... الحديث.

الكافي، الكليني: ١ / ١٩٠، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه/ح ٢.

عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة / ١٤٣، قال: نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه.

إرشاد القلوب، الديلمي: ٢ / ٢٩٨، في فضائله من طريق أهل البيت.

(٥) سورة النساء / ٤١.

أفراد الأمة مباشرة، بل يشهد على شهداء الأمة[١]، فإن المقصود بـ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[٢] هم شهداء الأمم، وليس أفراد الأمة أنفسهم، وهؤلاء الشهداء هم الذين يشهد عليهم رسول الله ﷺ[٣]. وهناك آية أخرى، أكثر صراحة في توضيح هذه الحقيقة:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[٤] وتأتي صراحتها في أنها عبرت عن استقدام شهداء الأمم للشهادة يوم القيامة بكلمة «نبعث»، أما عند الحديث عن رسول الله ﷺ فالقرآن يستخدم كلمة ﴿وَجِئْنَا بِكَ ﴾[٥]. كما يستخدم القرآن الكريم عبارة «من أنفسهم» عند الحديث عن

---

(١) قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... الآية ﴾ سورة البقرة/١٤٣، فكون الأمة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس ويشهد الرسول عليهم.
الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ٣٢١، تفسير سورة البقرة.

(٢) سورة النساء / ٤١.

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء / ٤١، وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام.
تفسير العياشي، العياشي: ٢٤٢/١، تفسير سورة النساء/ ح١٣٢.
قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ سورة النساء/٤١، إن الشاهد محمد ﷺ، والمشهود عليهم سائر الإنبياء.
التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٣١/ ١١٦، تفسير سورة البروج.

(٤) سورة النحل / ٨٩.

(٥) سورة النحل / ٨٩.

شهداء الأمم. وهذه الآيات تدل كلها على أن رسول الله ﷺ شاهد على الشهداء، وليس على كل أفراد الأمة. كما أنه شاهد على شهداء الأمم الأخرى أيضاً[١].

يقول القمي[٢] حول عبارة «شهيداً على هؤلاء»[٣]، أن المقصود بـ«هؤلاء» ـ هم الأئمة ـ ورسول الله شهيد على الأئمة، وهؤلاء بدورهم شهداء على أفراد الأمة[٤].

ويورد صاحب «الاحتجاج»[٥] حديثاً عن الإمام علي عليه السلام حول أحوال

---

(١) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ سورة النحل/ ٨٩، يعني من الأئمة، ثم قال لنبيه ﷺ ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ سورة النحل/ ٨٩ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ سورة النحل/ ٨٩، يعني على الأئمة فرسول الله شهيد على الأئمة وهم شهداء على الناس.

تفسير القمي، القمي: ١/ ٣٨٨، تفسير سورة النحل.

قال الطباطبائي: إن بين النبي ﷺ وبين الناس الذين هم عامة من بعث إليهم من زمانه إلى يوم القيامة شهداء يشهدون على أعمالهم وان الرسول إنما هو شهيد على هؤلاء الشهداء.

وقال أيضا: المراد بهؤلاء في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ سورة النحل/ ٨٩، الشهداء دون عامة الناس فالشهداء شهداء على الناس والنبي ﷺ شهيد على الشهداء.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤، تفسير سورة النحل.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) سورة النحل / ٨٩.

(٤) أنظر: تفسير القمي، القمي: ١ / ٣٨٨، تفسير سورة النحل.

(٥) قال الحر العاملي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: عالم فاضل فقيه محدث ثقة، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج، حسن كثير الفوائد.

قال ابن شهر اشوب في معالم العلماء: شيخي أحمد ابن أبي طالب الطبرسي، له الكافي في الفقه حسن، والاحتجاج، ومفاخر الطالبية، وتاريخ الأئمة عليهم السلام، وفضائل الزهراء عليها السلام.

أمل الآمل، الحر العاملي: ٢/ ١٧، باب الألف/ الرقم ٣٦.

أهل المحشر فيقول أن الأنبياء يبعثون في ذلك اليوم ويسألون عن أداء الرسالة التي حملوا بها، فيجيبون بأنهم بلغوا الرسالة الإلهية لأممهم ـ وأدوا مسؤوليتهم ــ. ثم يأتي دور الأمم، فتسأل عن رسالات الأنبياء، فتنكر إبلاغ الرسالة، كما ورد في الآية الكريمة ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1]، فتقول الأمم ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[2]، وهنا يطلب الأنبياء، رسول الله محمد ﷺ للشهادة، فيشهد على صدق جوابهم، وكذب ادعاء المنكرين من الأمم، فيقول لكل أمة: نعم، فقد جاءكم بشير ونذير وبلغكم رسالة الله.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

أي أن الله قادر على أن يجعل جوارحكم تنطق فتشهد على أن الأنبياء بلغوكم رسالات الله.

وهكذا فإن رسول الله ﷺ يكون شاهداً على الأنبياء، والله تعالى يخاطبه بالقول ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[4][5].

---

(١) سورة الأعراف / ٦.

(٢) سورة المائدة / ١٩.

(٣) سورة البقرة / ٢٨٤.

(٤) سورة النساء / ٤١.

(٥) أنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣، احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلا عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

ينقل العياشي في تفسيره، حديثاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه يوم القيامة، فيقول إن جميع الخلائق يجمعون في مكان واحد، ليجرى سؤالهم عن أعمالهم، لن يستطيع أحد الكلام إلا من يأذن له الله تعالى ليقول صواباً[1]، ثم يبعث الله الأنبياء ليسألهم أيضاً، وهذا هو معنى الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[2].

إذن فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الشاهد على الشهداء، وهؤلاء هم الأنبياء[3]. وقد أسلفنا الحديث، عن إنكار الأمم، لرسالات الأنبياء[4].

وهناك مجموعة أخرى من الشهداء، هي الملائكة[5] الذين يسجلون الأعمال، والله تعالى يقول:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[6].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النبأ / الآية ٣٨، ونصها: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

(٢) سورة النساء / ٤١.

(٣) أنظر: تفسير العياشي، العياشي: ١/ ٢٤٢، تفسير سورة النساء / ح ١٣٢.

(٤) أنظر: الفصل الثامن من كتابنا هذا الذي بين أيدينا، بحث صحيفة الأعمال.

(٥) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ سورة ق / ٢١، شهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وشاهده منها وكتبه عليها.

مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ٢٤٣، تفسير سورة ق.

(٦) سورة يونس / ٦١.

وكذلك يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[١].

كما يقول أيضاً ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢].

وآيات أخرى تشير إلى شهادة الملائكة، وأعضاء الإنسان وجوارحه[٣].

يقول الله تعالى في هذا الموضوع: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة ق / ١٦ ـ ٢١.

(٢) سورة الانفطار/ ١٠ ـ ١٢.

(٣) الآيات التي ذكرت شهادة الملائكة والجوارح وأعضاء الإنسان عديدة، نورد منها ما يلي:

سورة النساء/ ١٦٦، ونصها: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

سورة النور/ ٢٤، ونصها: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

سورة فصلت/ ٢٢، ونصها: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(٤) سورة يس/ ٦٥.

وأيضاً:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] وسياق هذه الآيات، يدل على أنها تخص أهل النار. ولهذا فإن شهادة الأعضاء والجوارح إنما تخص أهل النار فقط دون أهل الجنة.

إن موضوع شهادة أعضاء أهل النار وجوارحهم على ذنوبهم يمكن أن تكون دليلاً وشاهداً آخر على أن الكافرين، هم أيضاً مكلفون بفروع الدين وأحكامه، كما أن جلود أهل النار هي التي تشهد عليهم، ولهذا فإنهم يسألونها عن سبب شهادتها. ذلك أن الجلود أقرب إلى عالم المادة[2]، أما الأسماع والإبصار، فهي

---

(١) سورة فصلت/ ١٩ ـ ٢٣.

(٢) المادة في اللغة: كل شيء يكون مددا لغيره، ومادة الشيء أصوله وعناصره التي يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء، ومادة البحث.

المادة: هي الجسم الطبيعي الذي نتناوله على حاله أو نحوّله إلى شيء آخر.

المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ /٣٠٦، باب الميم، المادة.

المادة إصطلاحاً فهي: قال الجرجاني: مادة الشيء: هي التي يحصل الشيء معها بالقوة، وقيل: المادة الزيادة المتصلة.

التعريفات، الجرجاني: ١١٠، باب الميم.

أبعد عن عالم المادة، وأقرب إلى الفهم والإدراك[١].

إن آية: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾[٢] إنما هي جواب الجوارح والأعضاء لأصحابها، ولم تستخدم الآية كلمة «شهادة»[٣]، بل كلمة «نطق»[٤]، وهذا تم بأمر من الله.

---

(١) الإدراك: هو يدل أولا على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجردا أو ماديا، جزئيا أو كليا، حاضرا أو غائبا، حاصلا في ذات المدرك أو آلته.

قال ابن سينا إدراك الشيء: هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك، فأما أن تكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك. أو تكون مثال حقيقته مرتسما في ذات المدرك غير مباين له.

المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ١/٥٣، باب الألف، الإدراك.

(٢) سورة فصلت / ٢١.

(٣) الشهادة: خبر قاطع.

الصحاح، الجوهري: ٢ / ٤٩٤، مادة «شهد».

قال بعضهم الشهادة في الأصل: إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية، فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٢٩١، حرف الشين / الرقم ١١٦٤ الفرق بين الشاهد والحاضر.

الشهادة: الإخبار بما شاهده.

لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٢٤٠، مادة «شهد».

(٤) النطق: إرادة اللسان في الفم بالكلام.

الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٥٤٢، حرف النون/ الرقم ٢١٨١ الفرق بين النطق والكلام.

نطق ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني.

القاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٣ / ٢٨٥، مادة «نطق».

قال الراغب: النطق في التعارف: الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان.

تاج العروس، الزبيدي: ٧/ ٧٧.

ولهذا فإن لوم الجوارح ومعاتبتها على شهادتها، كوجود مستقل، حر التصرف، أمر لا معنى له. لأن نطق كل ناطق، وحديث كل محدث، إنما هو من الله تعالى، وليس هناك أي موجود، يتمتع بالاستقلالية عن قدرة الله وإرادته[١]، ولهذا، فإن سياق الآية يستمر ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

أي أنه بداية وختام كل الأشياء، وبإرادته وأمره تتم كل الظواهر، وهو العالم بكل شيء، ولا يغيب عنه شيء.

وبما أن أخفاء أي أمر، يتم بوسيلة ما، وكذلك كشفه أو الإطلاع عليه[٣]، فإن باقي الآية يأتي:

---

(١) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ سورة فصلت / ٢١، أي: مما ينطق. والمعنى. أعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق.

مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ١٧، تفسير سورة فصلت.

(٢) سورة فصلت / ٢١.

(٣) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ سورة فصلت / ٢١، إخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذي خلقهم في الابتداء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة فصلت / ٢١، في الآخرة إلى حيث لا يملك احد النهي والأمر سواه.

تفسير التبيان، الطوسي: ٩/ ١١٨، تفسير سورة فصلت.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة فصلت/٢١، إن وجودكم يبتدئ منه تعالى وينتهي إليه تعالى فعندما تظهرون من كتم العدم ـ وهو خلقكم أول مرة ـ يعطيكم الوجود ويملككم الصفات والأفعال فتنسب إليكم ثم ترجعون وتنتهون اليه.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧/ ٣٨٠، تفسير سورة فصلت.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ ﴾[١] أي أنكم لم تستطيعوا إخفاء ذنوبكم التي ارتكبتموها بجوارحكم[٢]، لا لأنكم لم تحسبوا للجوارح حسابها، ولم تحذروا شهادتها، بل لأنكم اعتقدتم أن الأشياء مستقلة عن الله تعالى، وأن الله غير مطلع عليها. بينما الحقيقة هي أن أعضاء الإنسان وجوارحه، هي كمين[٣] إلهي، وأداة لمراقبة العباد. وأن اعتقادكم الخاطئ جعلكم تتصورون أن الله غافل عن كثير مما تعملون هذا الخطأ، هو الغفلة بعينها، عن حقيقة أن الله عالم بكل شيء، وشاهد على كل ما يفعل الإنسان[٤] ﴿ وَذَٰلِكُمْ

---

(١) سورة فصلت / ٢٢.

(٢) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧/ ٣١٠، كتاب العدل والمعاد، باب ١٦ تطاير الكتب.

(٣) كمن له يكمن كمونا وكمن: استخفى.

كل شيء استتر بشيء فقد كمن فيه كمونا.

لسان العرب، ابن منظور: ١٣/ ٣٥٩، مادة «كمن».

(٤) قال الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة فصلت/٢٢. وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها.

تفسير التبيان، الطوسي: ٩ / ١١٩، تفسير سورة فصلت.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ سورة فصلت /٢٢ ــ ٢٣، أي: هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن اللّه تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ سورة فصلت / ٢٣، أي: في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤/ ١٠٤، تفسير سورة فصلت.

قال عبد الكريم الخطيب في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ
←

ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1].

وهنا يجب الانتباه إلى أمرين هامين، الأول: أن المبدأ العام القائل أن العلم والقدرة وكل كمالات الوسائط هي نفسها علم الله تعالى وقدرته وكمالاته[2]، له

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ سورة فصلت / ٢٣، أي: هذا الظن الذي ظننتموه بربكم من أنه قد يعلم ما تبدون، ولا يعلم ما تكتمون، هذا الظنّ هو الذي أفسد عليكم معتقدكم في ربّكم، فلم تروه سبحانه إلا على ما ترون به بعض أصحاب الجاه والسلطان، ممن لهم جنود وعيون، يرون القليل، ولا يرون الكثير، فكان إيمانكم باللّه هو هذا الإيمان الفاتر الفاسد.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١٢ / ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨، تفسير سورة فصلت.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ سورة فصلت / ٢٢، وفي قوله: ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ سورة فصلت / ٢٢. المعنى وما كنتم تستخفون في الدنيا عند المعاصي من شهادة أعضائكم التي تستعملونها في معصية الله ولم يكن ذلك لظنكم أنها لا إدراك فيها لعملكم بل لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، أي: لم تستهينوا عند المعصية بشهادة أعضائكم وإنما استهنتم بشهادتنا.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ٣٨٣، تفسير سورة فصلت.

(١) سورة فصلت / ٢٣.

(٢) عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام كَيْفَ عِلْمُ اللَّهِ قَالَ: عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَأَمْضَى فَأَمْضَى مَا قَضَى وَقَضَى مَا قَدَّرَ وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ فَبِعِلْمِهِ كَانَتِ الْمَشِيئَةُ وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتِ الإِرَادَةُ وبِإِرَادَتِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ وبِتَقْدِيرِهِ كَانَ الْقَضَاءُ وبِقَضَائِهِ كَانَ الإِمْضَاءُ وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ وَالإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالإِمْضَاءِ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ وَفِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الأَشْيَاءِ فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالإِمْضَاءِ فَلا بَدَاءَ فَالْعِلْمُ فِي الْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ وَالْمَشِيئَةُ فِي الْمُنْشَإِ قَبْلَ عَيْنِهِ وَالإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ وَالتَّقْدِيرُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا وَتَوْصِيلِهَا عِيَاناً

في القرآن، القرآن له فروع عديدة، وقد وردت له إشارات عدة في القرآن، فمثلاً يقول الباري عز وجل حول العلم:

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١].

كما يقول تعالى:

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٢].

وكذلك يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٣].

وَوَقتاً وَالْقَضَاءُ بِالإِمْضَاءِ هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولاتِ ذَوَاتِ الأَجْسَامِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ مِنْ ذَوِي لَوْنٍ وَرِيحٍ وَوَزْنٍ وَكَيْلٍ وَمَا دَبَّ وَدَرَجَ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَطَيْرٍ وَسِبَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لا عَيْنَ لَهُ فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكُ فَلا بَدَاءَ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَبِالْعِلْمِ عَلِمَ الأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَبِالْمَشِيئَةِ عَرَّفَ صِفَاتِهَا وَحُدُودَهَا وَأَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا وَبِالإِرَادَةِ مَيَّزَ أَنْفُسَهَا فِي أَلْوَانِهَا وَصِفَاتِهَا وَبِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَعَرَّفَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهَا وَبِالإِمْضَاءِ شَرَحَ عِلَلَهَا وَأَبَانَ أَمْرَهَا وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

الكافي، الكليني: ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩، كتاب التوحيد، باب البداء /ح ١٦.

(١) سورة سبأ / ٣.

(٢) سورة الزخرف / ٨٠.

(٣) سورة ق / ١٦ ـ ١٧.

وآيات أخرى عديدة في هذا المعنى[(١)].

مما سلف، يتبين أن علم الباري تعالى وإطلاعه على كل الأمور، يتحقق بتسجيلها في اللوح المحفوظ[(٢)]، ثم يواجه بها العباد كوقائع (وهذه إشارة إلى مبدأ أن سائر كمالات الوسائط، هي فرع من كمالات الحق تعالى)[(٣)].

وعلى أساس ما قلنا، يتوضح معنى الآية ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٤)].

---

(١) هنالك آيات تشير إلى علم الله نذكر منها:

سورة آل عمران / ٥، ونصها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

سورة إبراهيم / ٣٨، ونصها: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

سورة غافر / ١٦، ونصها: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

(٢) قال القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ سورة البروج/٢١ـ٢٢، اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فينظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥، تفسير سورة البروج.

قال الجرجاني: اللوح المحفوظ: لوح القدر، أي: لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول (لوح العقل الأول) ويتعلق بأسبابها.

التعريفات، الجرجاني: ١٠٩، حرف اللام، اللوح.

(٣) أنظر: بحار الأنوار، المجلسي: ١٠٥/٩٠.

(٤) سورة التوبة / ٩٤.

أما الأمر الثاني : فهو أن الآيات السالفة الذكر[١] ، تفيد بأن الحياة ، حقيقة جارية في تمام الموجودات ، لأنه بغير ذلك ، لا يمكن إطلاق اسم «الشهادة» على إنطاق الأعضاء والجوارح. لأن الحديث عن شيء يعتبر شهادة فيما لو صدر عن المتحدث بشكل حقيقي ، وهذا لا يتم إلا بتمتع المتحدث بالحياة. ومن جانب آخر ، فإن الأحياء الذين يدلون يوم القيامة بالشهادة على حوادث وأعمال وقعت في الحياة الدنيا ، لا يمكن أن يدلوا بالشهادة ، إلا أن يكونوا يتمتعون بالحياة أيضاً عند وقوع تلك الأعمال ، بحيث يتمكنون من إدراكها ، إذن فكل ما يشهد يوم القيامة ، لابد وأن يكون حياً في الدنيا. ويستوي في ذلك السمع ، والبصر ، والزمان ، والمكان. وهكذا يمكن ، مما تقدم ، أن ندرك معنى الآية الكريمة :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[٢] ،

---

(١) سورة الانفطار / ١٠ ـ ١٢ ، ونصها : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

سورة يس / ٦٥ ، ونصها : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

سورة فصلت / ٢٠ ـ ٢٣ ، ونصها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

(٢) سورة الأحقاف / ٥ ـ ٦.

وكذلك الآية التي تصف آلهة الكفار[١]:

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٢].

وهناك الكثير من الأحاديث والأخبار والروايات حول المفاهيم الآنفة الذكر، ففي «الكافي» ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الأعضاء والجوارح، تشهد على مستحقي العذاب الإلهي فقط (ولا تشهد على المؤمنين)، أما المؤمن فإنه يتلقى كتابه بيمينه[٣].

وهذه إشارة من الإمام عليه السلام إلى الآية الواردة بعد آيات الشهادة:

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾[٤].

وفي تفسير «القمي» و«من لا يحضره الفقيه» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حول تفسير آية ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴾[٥] قوله أن المقصود بـ«جلود»، هي الفروج والأفخاذ[٦].

(١) قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ سورة الأحقاف / ٦، يعني إن هذه الأوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها، ويكفروا بعبادة الكفار.
مجمع البيان، الطبرسي: ٩/ ١٣٩، تفسير سورة الأحقاف.

(٢) سورة النحل / ٢١.

(٣) أنظر: الكافي، الكليني: ٢/ ٣٢، كتاب الإيمان والكفر/ح١.

(٤) سورة فصلت / ٢٥.

(٥) سورة فصلت / ٢٠.

(٦) ورد نص الحديث في الكافي وقريب منه في من لا يحضره الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أما في تفسير ←

وفي تفسير القمي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة، يعطي كل إنسان صحيفة أعماله، فيطلعون عليها، وينكرون ما فيها من أعمال ارتكبوها.

بعد ذلك تشهد عليهم الملائكة، فيقسم العاصون بأنهم لم يرتكبوا أيا من هذه الأعمال: ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[1]، وعندها يختم الله على أفواههم فتشهد أعضاؤهم وجوارحهم على ما ارتكبوا[2].

القمي فهو في تفسير الآية ٢٢ من سورة فصلت، وليس في تفسير الآية ٢٠ من سورة فصلت.

قَالَ أبي عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ سورة فصلت / ٢٢، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ والأَفْخَاذَ.

الكافي، الكليني: ٢/ ٣٦، كتاب الإيمان والكفر/ باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها/قطعة من حديث ١.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قَول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ سورة فصلت / ٢٢، يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ.

من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٢ / ٦٢٦، باب الفروض على الجوارح/ قطعة من حديث ٣٢١٥.

قَالَ الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ سورة فصلت / ٢٢، والْجُلُودِ: الْفُرُوجَ.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٦٤، تفسير سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

(١) سورة المجادلة / ١٨.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون بالله

ومن الشهداء أيضاً، الزمان والمكان[١]، وهما الأيام المقدسة[٢] والأشهر

ما فعلوا من ذلك شيئا وهو قول الله ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ سورة المجادلة/١٨، وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله ثم أنطق الله ألسنتهم وقالوا هم ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ سورة فصلت/ ٢١ ـ ٢٢، أي: من الله أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ والجلود الفروج.

تفسير القمي، القمي: ٢/ ٢٦٤، تفسير سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

(١) قال الطبرسي: في بعض الأخبار: المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله.

مجمع البيان، الطبرسي: ٣ / ٨٩، تفسير سورة النساء.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل منه: ... أما خياره من الليالي فليالي الجمع، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلتا العيد. وأما خياره من الأيام فأيام الجمع، والأعياد... الحديث.

تفسير الإمام، الإمام العسكري: ٦٦٢، في من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث ٣٧٤.

قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ سورة البروج/ ٣، الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

التبيان، الطوسي: ١٠ / ٣١٦، تفسير سورة البروج.

وفي مجمع البيان: الشاهد: الأيام والليالي.

مجمع البيان، الطبرسي: ٣١٦/١٠، تفسير سورة البروج.

الشريفة[١]، والأعياد[٢] وأيام الجمعة والمناطق المقدسة[٣] والمساجد وغيرها. يقول الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

إن المباحث السابقة تبين لنا كيفية شهادة الأيام، وكذلك توضح معنى الآية الكريمة السالفة الذكر[٥].

كما يتبين لنا أن كلمة «من» في عبارة «ويتخذ منكم شهداء» هي «من» ابتدائية وليست تبعيضية، و«الشهداء» في هذه الآية، هي الأيام.

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام في الأشهر من حديث له: ... أما خياره من الشهور فرجب، وشعبان، وشهر رمضان... الحديث.

تفسير الإمام، الإمام العسكري: ٦٦٢، في من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث ٣٧٤.

(٢) العيد: كل يوم مجمع، من عاد يعود إليه.

كتاب العين، الفراهيدي: ٢ / ٢١٩، مادة «عود».

قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيدا: لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد.

لسان العرب، بن منظور: ٣ / ٣١٩، مادة «عود».

(٣) قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأما خياره من البقاع فمكة، والمدينة، وبيت المقدس.

تفسير الإمام، الإمام العسكري: ٦٦١، في من لا يستجاب دعاؤه / قطعة من حديث ٣٧٤.

(٤) سورة آل عمران / ١٤٠.

(٥) سورة آل عمران / ١٤٠.

وعن شهادة الأماكن والأزمنة أيضاً يقول الله تعالى:

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[١]، وقد أسلفنا الحديث عن المعاني التي تتضمنها هذه الآية، وكيف تشهد الصخور والسموات والأرض.

كما يقول تبارك وتعالى:

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٢].

وفي «الكافي» ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يحل النهار، فإنه ـ أي النهار ـ يقول للإنسان: يا ابن آدم ـ أعمل خيراً لأشهد لك أمام الله يوم القيامة، فأنا لم آتك من قبل، ولن آتيك بعد اليوم.

وعندما يحل الليل، فاته ـ أي الليل ـ يخاطب الإنسان بنفس الخطاب[٣].

---

(١) سورة لقمان / ١٥ ـ ١٦.

(٢) سورة الزلزلة / ٢ ـ ٥.

(٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ النَّهَارَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ فِي يَوْمِكَ هَذَا خَيْراً أَشْهَدْ لَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنِّي لَمْ آتِكَ فِيمَا مَضَى ولا آتِيكَ فِيمَا بَقِيَ وإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.

الكافي، الكليني: ٢/ ٤٥٥، كتاب الإيمان والكفر، باب محاسبة العمل / ح ١٢.

وقد نقل مضمون هذا الحديث ابن طاووس[١] في كتابه «محاسبة النفس» عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام[٢].

وفي «علل الشرائع» ينقل الشيخ الصدوق[٣] قولاً عن الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن طاووس، العلوي، الفاطمي، الشهير بابن طاووس (رضي الدين، أبو القاسم) فقيه، محدث، مؤرخ، أديب، مشارك في بعض العلوم.
من تصانيفه الكثيرة: إسعاد ثمرة الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد، والأسرار في ساعات الليل والنهار، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، والنفيس الواضح من الكتاب الجليس الناصح.
معجم المؤلفين، كحالة: ٧ / ٢٤٨، علي بن طاووس.

(٢) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما السلام قال إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين يا ابن آدم إني خلق جديد إني على ما فيّ شهيد فخذ مني فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا ثم لم تزدد في حسنة ولم تستعتب فيّ من سيئة وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل.
محاسبة النفس، ابن طاووس: ١٤ ـ ١٥، الباب الثاني فيما نذكره من الروايات التي تقتضي الاحتياط بالمحاسبة في الليل والنهار للسلامة من الأخطار.

(٣) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، شيخ الحفظة ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام.
ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عجل الله فرجه ونال بذلك عظيم الفضل والفخر فعمت بركته الأنام وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، له نحو من ثلاثمائة مصنف.
قال ابن إدريس في حقه: انه كان ثقة جليل القدر بصيرا بالأخبار ناقدا للآثار عالما بالرجال وهو أستاذ المفيد محمد بن محمد بن النعمان.
وقال العلامة في ترجمته: شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان، ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار ←

رداً على سؤال حول إقامة النوافل[1] في مكان واحد، أم توزيعها على أماكن عدة. فيجيب الإمام بأن الأفضل توزيعها على عدة أماكن لأن هذه الأماكن ستشهد له عند الله يوم القيامة[2].

ومن الشهداء أيضاً، القرآن الكريم[3]، وكذلك الأعمال والعبادات الشخصية[4].

لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف ذكرنا أكثرها في كتابنا الكبير، مات بالري سنة ٣٨١هـ إحدى وثمانين وثلاثمائة. وقبره رحمه الله في بلدة الري قرب عبد العظيم الحسنى مزار معروف في بقعة عالية في روضة مونقة.

الكنى والألقاب، القمي: ١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، ابن بابويه.

(١) النفل: التطوع. النفل والنافلة: ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه. النفل والنافلة: عطية التطوع من حيث لا يجب، ومنه نافلة الصلاة.

لسان العرب، ابن منظور: ١١/ ٦٧١ ـ٦٧٢، مادة «نفل».

(٢) عن عبدالله بن علي الزراد قال: سأل أبو كهمس أبا عبد الله عليه السلام فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: لا بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة.

علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٤٣، باب ٤٦ العلة التي من أجلها يستحب تفريق النوافل في البقاع / ح ١.

(٣) من الأقوال التي فسرت قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ سورة هود/ ١٧، قيل: الشاهد القرآن، ويتلوه: يكون بعده تالياً شاهدا.

معاني القرآن، النحاس: ٣/ ٣٣٧.

في تفسير القرطبي، قيل: الشاهد القرآن في نظمه وبلاغته.

تفسير القرطبي، القرطبي: ٩/ ١٧، تفسير سورة هود.

(٤) قال الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ سورة البقرة/١٤٣،

إن كل ما قلناه عن شهادة الشهداء (الشهود) يمكن إثباته بالبرهان[1]، ذلك أن كل علاقة تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل.

قيل: معناه باعمالكم يوم القيامة.

المحرر الوجيز، الأندلسي: ١/ ٢١٩، تفسير سورة البقرة.

قال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ سورة البقرة / ١٤٣، شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في المعركة.

الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١/ ١٧٣، تفسير سورة البقرة.

(١) البرهان: بيان الحجة وإيضاحها.

كتاب العين، الفراهيدي: ٤/ ٤٩، مادة «بره».

البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات.

يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لمي، ومن المعلول إلى العلة برهان إنّي.

التعريفات، الجرجاني: ٣١، باب الباء، البرهان.

قال جميل صليبا، البرهان: الحد الأوسط في هذا القياس لا بد من أن يكون علة نسبة الأكبر إلى الأصغر. فإذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن فقد سمي برهان الإن، وإذا أعطاك علة اجتماع طرفي النتيجة في الذهن والوجود معا سمي برهان اللم.

المعجم الفلسفي، صليبا: ١/ ٢٠٦، باب الباء، البرهان.

قال الطباطبائي في كتابه هذا الذي بين أيدينا في إثبات الشهادة بالبرهان: أن كل علاقة تتولد بين الأشياء والأعمال، سيتولد مثلها بين الشيء وذات الفاعل. لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيبقى ما يصدر عنها. وببقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولدة بينها وبين الأشياء. وببقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين.

أنظر: الفصل التاسع الشهداء في يوم البعث، مراتب الشهداء.

لأن وجود الأعمال قائم بذواتها. إذن فبقاء الذات، سيبقى ما يصدر عنها. وبقاء ما يصدر عنها، ستدوم العلاقة المتولدة بينها وبين الأشياء. وبقاء هذه العلاقة، ستبقى الأشياء أيضاً، لأن العلاقة، وجود رابط، لا يتحقق إلا بوجود طرفين.

من جانب آخر، فإنه بالحياة ستحيا جميع الذوات (الأعمال والعلاقات والأشياء). وبحضورها أمام الله تعالى، بشكل كامل وبتمام الذوات[1]، ستشهد بكل ما لديها.

---

(١) عرفهم من ذات نفسه، كأنه يعني به سريرته المضمرة.

كتاب العين، الفراهيدي: ٨/ ٢٠٨، مادة «ذو».

ذات الشيء: نفسه وحقيقته.

مجمع البحرين، الطريحي: ٢/ ١٠٨، مادة «ذو، ذات».

قال الحسيني في الذات: يطلق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء، وهو ما يخص الشيء ويميزه.

معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسيني: ١٤٨، الذات.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي/ ١٤٠٣هـ ـ نشر المرتضى ـ مشهد المقدسة.

٣. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) / الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم.

٤. إرشاد الأذهان إلى أحكام القرآن، الحسن بن يوسف المطهر الحلي/ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ نشر جامعة المدرسين ـ قم.

٥. إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ دار الشريف الرضي للنشر.

٦. الأصفى في تفسير القرآن، محمد محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ منشورات المكتب الإعلام الإسلامي ـ قم.

٧. أصل الشيعة وأصولها، محمد الحسين آل كاشف الغطاء /الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ مؤسسة الإمام علي عليه السلام.

٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي / الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم.
٩. أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي ـ قم.
١٠. أعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي/ الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية ـ قم.
١١. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي / الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ دار الثقافة للنشر ـ قم.
١٢. الأمآلي، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) / الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم.
١٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ قم.
١٤. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي /١٤٠٤هـ ـ نشر مكتبة الأندلس ـ بغداد.
١٥. أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان (المفيد)/ الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم.
١٦. إيضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، علي رباني كلبيكاني / الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ ـ نشر دار الهادي ـ بيروت.
١٧. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي/ الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.
١٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، احمد بن محمد ابن عجيبة / ١٤١٩هـ ـ نشر د. حسن عباس زكي ـ القاهرة.

١٩. بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي / الطبعة ٢١، ١٤٢٤هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
٢٠. البرهان في علوم القران، محمد بن عبد الله الزركشي / الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.
٢١. بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، احمد بن موسى ابن طاووس/ الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ نشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ـ قم.
٢٢. تأويل الآيات الظاهرة، شرف الدين الأسترابادي / مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي / نشر مكتبة الحياة ـ بيروت.
٢٤. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون / الطبعة الرابعة، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٢٥. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي/ الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ نشر مكتب الإعلام الإسلامي.
٢٦. التحرير والتنوير، محمد بن طاهر بن عاشور.
٢٧. تحف العقول، حسن بن شعبة الحراني / الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ مؤسسة النشر الأسلامي ـ قم.
٢٨. تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ نشر مؤسسة الإمام الصادق ـ قم.
٢٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني / دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد.
٣٠. التعليقة على الفوائد الرضوية، القاضي سعيد القمي.

٣١. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل ابن كثير الدمشقي / ١٤١٢هـ ـ نشر دار المعرفة ـ بيروت.

٣٢. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٣. تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

٣٤. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي / نشر دار الفكر ـ بيروت.

٣٥. تفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني / الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ـ مكتبة الصدر ـ طهران.

٣٦. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي /١٣٨٠هـ ـ نشر المطبعة العلمية ـ طهران.

٣٧. تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني / الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

٣٨. تفسير القرآن الكريم (صدرا)، محمد بن إبراهيم (صدر المتألهين) / الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ منشورات بيدار ـ قم.

٣٩. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي / ١٤٠٥هـ ـ مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

٤٠. تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي / الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

٤١. تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية / الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٤٢. تفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي / الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣. تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي / انتشارات الزاهدي ـ قم.

٤٤. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي/ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي.

٤٥. تفسير القرطبي (الجامع لإحكام القرآن)، محمد بن أحمد القرطبي / ١٤٠٥هـ ـ نشر مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

٤٦. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي القمي / الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

٤٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي / نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي / الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ نشر دار الفكر المعاصر ـ بيروت.

٤٩. تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي / الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ ـ نشر مؤسسة اسماعيليان ـ قم.

٥٠. تكملة حاشية رد المختار، محمد علاء الدين بن عابدين / ١٤١٥هـ ـ نشر دار الفكر ـ بيروت.

٥١. التوحيد، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ مؤسسة النشر الأسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

٥٢. جامع الأخبار، تاج الدين محمد بن محمد الشعيري / الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ دار الرضي للنشر ـ قم.

٥٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري / ١٤١٥هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.

٥٤. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي/ الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ ـ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٥٥. الجديد في تفسير القرآن المجيد، محمد بن حبيب الله السبزواري / الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

٥٦. الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي / الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ نشر مؤسسة الإمام المهدي ﷺ ـ قم.

٥٧. الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) / الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

٥٨. دائرة المعارف الشيعية العامة، محمد حسين الاعلمي / الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٥٩. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي / الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ ـ نشر دار المعرفة.

٦٠. دروس في علم الدراية، أكرم بركات العاملي / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ منشورات سعيد بن جبير ـ قم.

٦١. الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة، محمد باقر عبد الكريم البهبهاني / الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

٦٢. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني / الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ نشر دار الأضواء ـ بيروت.

٦٣. رجال ابن داود، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي / ١٣٨٣هـ ـ مؤسسة النشر في جامعة طهران.

٦٤. رجال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
٦٥. رجال العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي / ١٤١١هـ ـ نشر دار الذخائر ـ قم.
٦٦. رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي / ١٣٤٨هـ ـ مؤسسة النشر في جامعة مشهد.
٦٧. رجال النجاشي، احمد بن علي النجاشي / ١٤٠٧هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.
٦٨. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة، محمد جواد البلاغي / الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ نشر دار الزهراء ـ بيروت.
٦٩. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى / ١٤٠٥هـ ـ نشر دار القرآن الكريم ـ قم.
٧٠. الرعاية لحال البداية في علم الدراية، زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ـ قم.
٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود الآلوسي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٢. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي / الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ نشر دار الفكر ـ بيروت.
٧٣. زبدة التفاسير، المولى فتح الله الكاشاني / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم.
٧٤. سعد السعود، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس/ دار الذخائر ـ قم.
٧٥. سيرة العلامة الطباطبائي، كبار العلماء والأعلام / الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ نشر دار الهادي ـ بيروت.
٧٦. شرح الأسماء الحسنى، هادي السبزواري / مكتبة بصيرتي.

٧٧. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني.
٧٨. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد / مكتبة أية الله المرعشي النجفي ـ قم.
٧٩. الشمس الساطعة، محمد الحسين الحسيني الطهراني / الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ نشر دار المحجة البيضاء ــ بيروت.
٨٠. شواهد التنزيل، عبيد الله بن احمد بن محمد الحسكاني / الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ طهران.
٨١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري / الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ـ دار العلم للملايين ــ بيروت.
٨٢. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / ١٤٠٠هـ ـ مطبعة الخيام ــ قم.
٨٣. علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / نشر مكتبة الداوري ـ قم.
٨٤. العلماء في عالم الرؤيا، فارس فقيه / الطبعة الاولى، ١٤٢٥هـ ـ طليعة نور.
٨٥. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبة) / الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، نشر مكتبة آية الله المرعشي ـ قم.
٨٦. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني / عالم الكتب.
٨٧. فتح المعين، حسن بن علي السقاف/ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ــ نشر مكتبة الإمام النووي ـ عمان.
٨٨. فرج الهموم في معرفة نهج الحلال من علم النجوم، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس / نشر دار الذخائر ـ قم.
٨٩. الفهرست، محمد بن الحسن بن علي الطوسي / المكتبة الرضوية ــ النجف الأشرف.

٩٠. في ظلال التوحيد، جعفر السبحاني / ١٤١٢هـ ــ معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج.
٩١. القاموس الجامع للمصطلحات الفقهية، عبدالله عيسى الغديري / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ دار المحجة البيضاء ـ بيروت.
٩٢. القاموس المحيط، الفيروز آبادي.
٩٣. قصص الأنبياء (عليهم السلام)، نعمة الله الجزائري / ١٤٠٤هـ ــ مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم.
٩٤. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني / الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ ــ دار الكتب الإسلامية ـ طهران.
٩٥. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي / ١٣٩٨هـ ـ دار المرتضوية للنشر ـ النجف الأشرف.
٩٦. كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي / الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ــ مؤسسة دار الهجرة.
٩٧. كربلاء منذ العهد البابلي حتى استشهاد الإمام الحسين، علي عبود حسين أبو لحمة / الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٩٨. كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء / نشر مهدوي ـ أصفهان.
٩٩. كشف الغمة في أحوال الأئمة عليهم السلام، علي بن عيس الأربلي / ١٣٨١هـ ــ نشر مكتبة بني هاشم ـ تبريز.
١٠٠. الكشكول المبوب، حسين الشاكري / الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ ــ الناشر المؤلف.
١٠١.الكنى والألقاب، عباس القمي / الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٠٢.لسان العرب، العلامة جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور / الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ نشر أدب الحوزة.

١٠٣.المبدأ والمعاد، محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر المتألهين) / الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ ـ نشر دار الهادي ـ بيروت.

١٠٤.متشابه القرآن، محمد بن شهر آشوب المازندراني / ١٣٦٩هـ ـ نشر دار بيدار.

١٠٥.المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي / الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ فقاهت ـ قم.

١٠٦.مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي / الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

١٠٧.مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

١٠٨.مجموعة ورام، ورام أبن أبي فراس / نشر مكتبة الفقيه ـ قم.

١٠٩.محاسبة النفس، السيد علي بن طاووس الحلي / الطبعة الثالثة ـ نشر دار المرتضوي للنشر.

١١٠.المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي / الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ ـ نشر دار الكتب الإسلامية ـ قم.

١١١.مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي / الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٢.مزارات الأولياء في ارض كربلاء، عامر الكر بلائي / الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ ـ مطبعة الزوراء ـ كربلاء.

١١٣.المسائل السروية، الشيخ المفيد / الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم.

114.مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين المحدث النوري / الطبعة الأولى، 1408هـ ـ نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

115.معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) / 1403هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

116. معاني القرآن، أبي جعفر النحاس / الطبعة الأولى، 1409هـ ـ نشر جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية.

117.معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله / الطبعة الأولى، 1415هـ.

118.معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي / نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

119.معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوي الخوئي / الطبعة الخامسة، 1413هـ ـ مركز نشر الثقافة الإسلامية.

120.معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري/ الطبعة الأولى، 1412هـ ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

121.المعجم الفلسفي، جميل صليبا / الطبعة الأولى، 1385ش ـ ذوي القربى ـ قم.

122.معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله / نشر مكتبة المثنى ـ بيروت.

123.معجم مصطلح الأصول، هيثم هلال / الطبعة الأولى، 1424هـ ـ دار الجيل للنشر والطباعة ـ بيروت.

124.معجم مصطلحات المنطق، جعفر الحسيني / الطبعة الأولى ـ نشر دار الاعتصام.

125.المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني / الطبعة الأولى، 1404هـ ـ دفتر نشر الكتاب.

126.من أعلام الفكر والقيادة المرجعية، عبد الكريم آل نجف / الطبعة الأولى، 1419هـ ـ نشر دار المحجة البيضاء ـ بيروت.

١٢٧.الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني / دار المعرفة ـ بيروت.
١٢٨.المناقب، محمد بن شهر آشوب المازندراني / ١٣٧٩هـ ــ مؤسسة العلامة للنشر ـ قم.
١٢٩.منامات العلماء الصالحين، فارس فقيه / الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ــ طليعة نور.
١٣٠.المنتخب من أعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي / الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ نشر مؤسسة المواهب ـ بيروت.
١٣١. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) / الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ــ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.
١٣٢. المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي / ١٤١٨هـ ــ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.
١٣٣.موسوعة أنساب العشائر العراقية (السادة العلويون)، ثامر عبد الحسن العامري / الطبعة الأولى، ٢٠٠٤هـ ـ منشورات دار الهدى.
١٣٤.موسوعة العتبات المقدسة (قسم كربلاء)، جعفر الخليلي / الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
١٣٥.الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ياسين صلاواتي / الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ نشر مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.
١٣٦.الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي / مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المشرفة.
١٣٧.نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، نظلة الجبوري/ ١٩٩٩م ــ مطبعة اليرموك ـ بغداد.
١٣٨.نقد الرجال، مصطفى بن الحسين التفرشي / الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث ـ قم.

١٣٩.نظرية المعرفة والإدراكات الاعتبارية عند العلامة الطباطبائي، علي أمين جابر آل صفا / الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ نشر دار الهادي ـ بيروت.

١٤٠.النهاية في غريب الحديث، أبي السعادات بن محمد ابن الأثير / الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ش ـ مؤسسة إسماعيليان ـ قم.

١٤١.نهج البلاغة، محمد بن الحسين (الشريف الرضي) / دار الهجرة للنشر ـ قم.

المحتويات

الفصل الأول

الموت والأجل

الفصل الثاني

البرزخ

الفصل الثالث

النفخ في الصور

الفصل الرابع

صفات يوم القيامة

الفصل الخامس

بعث الإنسان للمساءلة

الفصل السادس

الصراط

الفصل السابع

الميزان

الفصل الثامن

صحيفة الأعمال

الفصل التاسع

الشهداء في يوم البعث